

العدد 10
تشرين الثاني
2020

العمال

مجلة فكرية سياسية، يصدرها الحزب الشيوعي العمالي العراقي

العمل المأجور و رأس المال ، بديل الشيوعية العمالية،
المرأة و انتفاضة اكتوبر في العراق، ازمة القوى اليسارية ،
الاسلام السياسي و ازمة الرسوم الكاريكاتيرية ، الاقتتال على
الهوية ، حول زوبعة اردوغان ، حول تاسيس الحزب الشيوعي
العمالي العراقي ، اسبوع منصور حكمت ، وثائق

كارل ماركس

منصور حكمت

فارس محمود

سمير عادل

عواد احمد

نادية محمود

توما حميد

خسرو سايه



العدد / 10 / تشرين الثاني / 2020

مجلة فكرية-سياسية، يصدرها الحزب الشيوعي العمالي العراقي

رئيس التحرير: ➤

فارس محمود

مساعد رئيس التحرير: ➤

توما حميد

تصميم: ➤

خسرو سايه

المساهمون في هذا العدد: ➤

كارل ماركس، منصور حكمت، نادية محمود،

عواد احمد، سمير عادل، فارس محمود،

توما حميد، خسرو سايه

الاتصال برئيس التحرير: ➤

0046762928178

faris.mahmood@gmail.com

الفهرست:

مقالات ومقابلات:

- العامل المأجور ورأس المال
كارل ماركس 1
- بديل الشيوعية العمالية
حوار مع منصور حكمت 21
- بين حضور المرأة في انتفاضة أكتوبر في العراق (2019)
وغياب مطالبها! / نادية محمود 31
- ازمة القوى اليسارية وابعادها
السياسية والاجتماعية / عواد احمد 41
- قضية معقدة... تناول سطحي/ توما حميد 45

الاسلام السياسي وازمة الرسوم الكاريكاتيرية والغرب:

- الاقتتال على الهوية ما بين الاسلام
(المعتدل) والاسلام (المتطرف) / سمير عادل 51
- الاهداف الحقيقية لما خلف زوبعة اردوغان؟!
فارس محمود 61
- الارهاب الاسلامي لنا والامان والعلمانية لهم
سمير عادل 67

تأسيس الحزب الشيوعي العمالي العراقي:

- بصد الارضية السياسية والاجتماعية لتأسيس الحزب!
فارس محمود 73

- تعلیق علی تعلیق رفیق سابق 82 فارس محمود
- ای قیم اتی بها الحزب الشیوعی العمالی؟ 85 توما حمید
- الحزب والمسارات السیاسیة الشیوعیة 91 سمیر عادل
- 27 عاما من تاریخ (حشع) وقضية المرأة! 99 نادیة محمود

اسبوع منصور حکمت:

- قراءة في موضوعات مارکسیة عند منصور حکمت 103 سمیر عادل
- مكانة الممارسة لدى منصور حکمت 112 فارس محمود

وثائق:

- بیانات الحزب 120
- "الاستقالة من الحزب لاترفع احد للفردوس" 132 خسرو سایة



مقالات ومقابلات



كارل ماركس

العمل المأجور ورأس المال

تمهيد

لقد انتقدونا من مختلف الجهات لأننا لم نصف العلاقات الاقتصادية التي تشكل الأساس المادي للنضال الطبقي والوطني المعاصر. فإننا لم نتناول هذه العلاقات بانتظام إلا حين برزت أمامنا مباشرة في الإصطدامات السياسية.

فقد كان المقصود بالدرجة الأولى تتبع النضال الطبقي في مجرى التاريخ يوماً فيوماً والبرهان، على ضوء الاختبار، على ضوء المادية التاريخية القائمة والمتجددة يومي، أن هزيمة الطبقة العاملة التي قامت بثورتي فبراير (شباط) ومارس (آذار) قد كانت في الوقت نفسه هزيمة لأخصام الطبقة العاملة – أي للجمهوريين البرجوازيين في فرنسا والطبقات البرجوازية والفلاحية المناضلة ضد الحكم المطلق الإقطاعي في عموم القارة الأوروبية؛ وأن انتصار "الجمهورية الشريفة" في فرنسا كان في الوقت نفسه هزيمة الأمم التي ردت على ثورة فبراير (شباط) بحروب بطولية من أجل الاستقلال؛ وأن أوروبا، بسبب من هزيمة العمال الثوريين، عادت وهوت في لجة عبوديتها القديمة المزدوجة، العبودية الأنجلو-روسية. معارك يوليو (حزيران) في باريس، وسقوط فيينا ومهزلة-مأساة برلين في نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٨٤٨، وما بذلته بولونيا وإيطاليا والمجر من جهود يائسة، وخنق أرلنده بالجوع، – تلك كانت الأحداث الرئيسية التي انعكس فيها بصورة مركزة النضال الطبقي بين

العمل المأجور ورأس المال

البرجوازية والطبقة العاملة في أوروبا وأتاحت لنا أن نقدم الدليل على أن كل انتفاضة ثورية، مهما بدا هدفها بعيدا عن النضال الطبقي، ستظل تمنى بالإخفاق إلى أن تنتصر الطبقة العاملة الثورية، وأن كل إصلاح اجتماعي يظل مجرد طوباوية ووهم إلى أن تتقابل الثورة البروليتارية والردة الإقطاعية بالسلاح في حرب عالمية. وفي بحثنا كما في الواقع، كانت بلجيكا وسويسرا رسميين من النوع الكاركتوري والمضحك المبكي في لوحة التاريخ الكبرى، الأولى معروضة على أنها الدولة النموذجية للملكية البرجوازية، والثانية على أنها الدولة النموذجية للجمهورية البرجوازية، وكل منهما تتصور أنها مستقلة سواء عن النضال الطبقي أو عن الثورة الأوروبية.

والآن، وقد رأى قرآونا النضال الطبقي يتطور في عام ١٨٤٨ ويرتدي أشكالاً سياسية هائلة، حان الحين للتعلم في دراسة العلاقات الاقتصادية نفسها التي يقوم عليها وجود البرجوازية وسيادتها الطبقيّة كما تقوم عليها عبودية العمال.

وسنعرض في ثلاثة فصول كبيرة: ١- العلاقات بين العمل المأجور والرأسمال، عبودية العامل، سيادة الرأسمالي؛ ٢- حتمية سير الطبقات البرجوازية المتوسطة وما يسمى فئة البورجوازية، في ظل النظام الحالي، في طريق الزوال؛ ٣- استثمار الطبقات البرجوازية في مختلف أمم أوروبا وإخضاعها تجارياً من جانب طاغية السوق العالمية إنجلترا.

وسنحاول أن نقدم بحثاً بسيطاً وشعبياً قدر الإمكان، ودون أن نفترض لدى القارئ سابق معرفة بأبسط مفاهيم الاقتصاد السياسي. فنحن نريد أن يفهمنا العمال. هذا مع العلم أن الجهل المذهل وفوضى الأفكار حول أبسط العلاقات الاقتصادية يسودان في كل مكان في ألمانيا بين المدافعين الرسميين عن الوضع الراهن وحتى بين صانعي المعجزات الاشتراكيين والعباقرة السياسيين المغموطة أفضالهم، الذين عند ألمانيا المجزأة منهم أكثر مما عندها من آباء الوطن. لنعالج إذن المسألة الأولى .

العمل المأجور ورأس المال

ما هي الأجرة؟ وكيف تتحدد؟

إذا سألت عدداً من العمال عن مقدار أجورهم، لأجابتك أحدهم: "إني أقبض من رب عملي ماركا واحداً في اليوم"، وأجابتك الثاني: "إني أقبض ماركين"، وهكذا دواليك. وتبعاً لمختلف فروع العمل التي يعملون فيها، يذكرون مختلف المبالغ المالية التي يتقاضاها كلّ منهم من رب عمله لقاء القيام بعمل معين، مثلاً لقاء حياكة متر من القماش أو صف ملزمة في المطبعة. ورغم تنوع أجورهم فإنهم متفقون بالإجماع حول نقطة واحدة: أن الأجرة هي مبلغ المال الذي يدفعه الرأسمالي لقاء وقت محدد من العمل أو لقاء القيام بعمل معين.

فالرأسمالي يشتري إذن (كما يبدو) عمل العمال بالمال. ولقاء المال يبيعهونه عملهم. ولكن الأمر ليس كذلك إلا ظاهرياً. فإن ما يبيعهونه في الواقع من الرأسمالي لقاء المال، إنما هو قوة عملهم. فالرأسمالي يشتري قوة العمل هذه ليوم واحد، لأسبوع، لشهر، واهلجراً. ومتى اشتراه، استخدمها بتشغيل العامل خلال الوقت المتفق عليه. وبهذا المبلغ المالي نفسه الذي اشتري به الرأسمالي قوة عمل العامل، بماركين، مثل، كان بوسعه أن يشتري كيلو غرامين من السكر أو كمية معينة من بضاعة أخرى.

فالماركان اللذان اشترى بهما كيلو غرامين من السكر هما ثمن الكيلو غرامين من السكر. والماركان اللذان اشترى بهما ١٢ ساعة من استخدام قوة العمل هما ثمن ١٢ ساعة عمل. فقوة العمل إذن بضاعة شأنها شأن السكر لا أكثر ولا أقل. الأولى تقاس بالساعة، والثانية بالميزان.

إن بضاعة العمال، أي قوة عملهم، إنما يبادلونها ببضاعة الرأسمالي، بالمال، وهذا التبادل يتم وفق نسبة معينة. قدر معين من المال مقابل قدر معين من استخدام قوة العمل. مقابل ١٢ ساعة حياكة ماركان. وهذان الماركان، ألا يمثلان جميع البضائع الأخرى التي أستطيع شراءها بماركين؟ وهكذا بادل العامل إذن بضاعة، هي قوة العمل، ببضائع متنوعة، وذلك وفقا لنسبة معينة. فحين يعطيه الرأسمالي ماركين، فكأنه يعطيه قدرا معيناً من اللحم، من الألبسة، من الحطب، من النور، الخ. مقابل يوم عمله. فهذان الماركان يعبران إذن عن النسبة التي يتم بموجبها تبادل قوة العمل ببضائع أخرى، أي أنهما يعبران عن القيمة التبادلية لقوة العمل. إن القيمة التبادلية لبضاعة معينة، مقدرة بالمال، إنما هي بالضبط ما يسمونه ثمنها. فالأجرة ليست إذن سوى الإسم الخاص الذي يطلق على ثمن قوة العمل المسمى عادة ثمن العمل، ليست إذن سوى الإسم الخاص الذي يطلق على ثمن هذه البضاعة الخاصة التي لا يوجد منها إلا في لحم الإنسان ودمه.

لنأخذ أول عامل نصادفه، حائكاً مثلاً. فالرأسمالي يقدم له النول والخيطان. ويشرع الحائك في العمل وتصبح الخيطان قماشاً. ويأخذ الرأسمالي القماش ويبيعه بعشرين ماركا مثلاً. فهل أن أجرة الحائك، في هذه الحال، حصة من القماش، من العشرين مارك، من منتج عمله؟ كلا. لقد تقاضى الحائك أجرته قبل أن يباع القماش بزمان طويل بل ربما تقاضاه حتى قبل أن يصنع القماش بزمان طويل. فالرأسمالي لا يدفع إذن هذه الأجرة من المال الذي حصل عليه من القماش، إنما يدفعها من المال المقدس لديه سلفاً. وكما أن النول والخيطان ليست من نتاج الحائك، إنما قدمها له الرأسمالي، فإن البضائع التي يحصل عليها مقابل بضاعته، قوة العمل، ليست من نتاجه. وقد لا يجد الرأسمالي أبداً شارباً لقماشه. وقد لا يحصل من بيع القماش حتى على المبلغ الذي صرفه لدفع الأجرة. وقد يبيع القماش بفائدة كبيرة جداً بالنسبة لأجرة الحائك؛ غير أن كل هذه الاحتمالات لا علاقة لها أبداً بالحائك. فالرأسمالي يشتري بقسم من ثروته الحالية، من رأسماله، قوة عمل الحائك، بنفس الطريقة التي حصل بها بقسم آخر من ثروته على المادة الأولية - الخيطان، وأداة العمل - النول. وبعد إجراء هذه المشتريات، ومن ضمنها قوة العمل الضرورية لإنتاج القماش، يشرع في الإنتاج بواسطة مواد أولية وأدوات عمل تخصه وحده دون غيره. ومن ضمن هذه الأدوات، بالطبع، أصبح الآن صاحبنا الحائك الذي ليس له، شأنه شأن النول، أي حصة في المنتج أو في ثمنه.

فالأجرة ليست إذن حصة العامل في البضاعة التي أنتجها. إن الأجرة هي قسم من بضاعة موجودة سلفاً يشتري به الرأسمالي كمية معينة من قوة عمل منتجة.

فقوة العمل إذن بضاعة يبيعها مالكه، الأجير، من الرأسمالي. لماذا يبيعها؟ ليعيش. ولكن ظاهرة قوة العمل، أي العمل، إنما هي النشاط الحيوي للعامل، إنما هي ظاهرة حياته بالذات. وهذا النشاط الحيوي هو ما يبيعه لشخص آخر، لكي يؤمن لنفسه وسائل العيش الضرورية. وهكذا فإن نشاطه الحيوي ليس، بالنسبة له، سوى وسيلة تمكنه من العيش. فهو يعمل ليعيش. والعمل، بنظره، ليس جزءاً من حياته، إنما هو بالأحرى تضحية بحياته. إنه بضاعة باعها لشخص آخر. ولذا فإن نتاج نشاطه ليس كذلك هدف نشاطه. فما ينتجه لنفسه، ليس الحرير الذي ينسج، وليس الذهب الذي

العمل المأجور ورأس المال

يستخرج من المنجم، وليس القصر الذي يبني. إن ما ينتجه لنفسه، إنما هو الأجرة، ويتحول الحرير والذهب والقصر بالنسبة له إلى كمية معينة من وسائل العيش، وربما إلى قميص من القطن، أو إلى بعض النقود النحاسية، أو إلى منزل في قبو تحت الأرض. والعامل الذي يحبك طوال ١٢ ساعة، أو يغزل، أو يثقب، أو يخرط، أو يبني، أو يحفر، أو يحطم الحجر، أو ينقل الأثقال، الخ، أترأه يعتبر هذه الساعات الـ١٢ من الحياكة أو الغزل أو الثقب أو الخراط أو البناء أو الحفر أو تحطيم الحجر، ظاهرة من ظاهرات حياته، أترأه يعتبرها حياته؟ بالعكس، إن الحياة تبدأ بالنسبة له حيث يكف عن هذا النشاط، عند المائدة، في الحانة، في النوم على السرير. أما ساعات العمل الـ١٢، فإنها لا تعني إطلاقاً بنظره الحياكة والغزل والثقب، الخ، إنما تعني كسب ما يمكنه من الأكل، والذهاب إلى الحانة، والنوم. ولو كانت دودة الحرير تغزل لتأمين عيشها كدودة، لكانت أجيراً كاملاً. إن قوة العمل لم تكن دائماً بضاعة. والعمل لم يكن دائماً مأجور، أي عملاً حراً. فالرقيق لا يبيع قوة عمله من مالك الأرقاء، كما أن الثور لا يبيع عمله من الفلاح. فالرقيق يُباع، بما فيه قوة عمله، من مالكة، بيعاً تاماً. وهو بضاعة يمكن أن تنتقل من يد مالك إلى يد مالك آخر. فهو نفسه بضاعة، ولكن قوة عمله ليست بضاعته هو. والقن لا يبيع إلا قسماً من قوة عمله، وليس هو الذي يتقاضى أجراً من مالك الأرض، إنما هو بالأحرى الذي يدفع جزية لمالك الأرض.

فالقن من لوازم الأرض وريع لمالك الأرض. أما العامل الحر، فهو بالعكس يبيع نفسه بنفسه، وذلك بالمفروق. فهو يتنازل عن ٨، ١٠، ١٢، ١٥ ساعة من حياته عن طريق المناقصات، يوماً بعد آخر، لأسخى العارضين، لمالك المواد الأولية وأدوات العمل ووسائل العيش، أي للرأسمالي. فالعامل لا يخصص مالكا وليس من لوازم الأرض، ولكن ٨، ١٠، ١٢، ١٥ ساعة من حياته اليومية تخصص من يشتريها. والعامل يترك الرأسمالي الذي استأجره، ساعة يطيب له، والرأسمالي يصرفه ساعة يشاء، حين لا يبتز منه أي ربح أو حين لا يجد منه الربح المأمول. ولكن العامل الذي مورده الوحيد إنما هو بيع قوة عمله لا يستطيع ترك طبقة الشارين بكليتها أي الطبقة الرأسمالية، وإلا مات جوعاً. إنه لا يخصص هذا الرأسمالي أو ذلك، بل يخصص طبقة الرأسماليين برمته، وعليه أن يجد فيها صاحبه، أي أن يجد شارياً في هذه الطبقة الرأسمالية.

وقبل التعمق في بحث العلاقات بين الرأسمال والعمل المأجور، سنتناول الآن بإيجاز الظروف العامة التي تسهم في تحديد الأجرة.

إن الأجرة، كما رأينا، إنما هي ثمن بضاعة معينة، قوة العمل. فالأجرة تحددها إذن القوانين ذاتها التي تحدد ثمن أية بضاعة أخرى. ولذا، فالسؤال الذي يوضع هو السؤال التالي: كيف يتحدد سعر البضاعة؟.

العمل المأجور ورأس المال

ما الذي يحدد سعر بضاعة ما؟

إنها المزاحمة بين الشارين والبائعين، النسبة بين العرض والطلب، بين الطلب وتلبيته. والمزاحمة التي تحدد سعر بضاعة ما ثلاثية.

البضاعة ذاتها يعرضها مختلف الباعة. فالذي يبيع بضائع من الصنف نفسه بأرخص الأسعار واثق

من إزاحة سائر الباعة من ميدان المعركة وتأمين أكبر تصريف لبضائعه. وهكذا فإن الباعة يتنازعون بعضهم بعضا تصريف البضائع، السوق. كل منهم يريد أن يبيع، أن يبيع أكثر ما يمكن، أن يبيع وحده إن أمكن، دون سائر الباعة. ولهذا، فإن أحدهم يبيع بأرخص مما يبيع الآخر. فتقوم بالتالي مزاحمة بين الباعة تخفض سعر البضائع التي يعرضون.

ولكنه تقوم أيضا مزاحمة بين الشارين ترفع، من جانبه، أسعار البضائع المعروضة. وأخير، توجد مزاحمة بين الشارين والباعة؛ فالشارون يريدون أن يشتروا بأرخص الأسعار، والباعة يريدون أن يبيعوا بأعلى الأسعار. أما نتيجة هذه المزاحمة بين الشارين والباعة، فتتوقف على النسبة بين الطرفين المتزاحمين المشار إليهما أعلاه، أي على الواقع التالي: أية مزاحمة ستكون الأقوى – المزاحمة في معسكر الشارين، أم المزاحمة في معسكر الباعة. فالصناعة عبي جيشين لجبين تواجه أحدهما بالآخر، وكل منهما إنما تستخدم معركة في صفوفه، بين قواته بالذات. فالجيش الذي يكون التضارب في داخل صفوفه أقل، يحرز الغلبة على الجيش المخاصم.

لنفترض أن في السوق ١٠٠ بالة من القطن، وأن هناك أيضا في الوقت نفسه شارين يبتغون شراء ١٠٠٠ بالة من القطن. فالطلب في هذه الحال يوازي عشرة أمثال العرض. ولذا فإن المزاحمة بين الشارين ستكون قوية جدا، فكل منهم يريد أن يحصل على بالة، وإن أمكن على المائة بالة. إن هذا المثال ليس بالفرضية الاعتبائية. فلقد عشنا في تاريخ التجارة فترات ساء فيها موسم القطن وسعى فيها بعض الرأسماليين المتحالفين إلى شراء، لا ١٠٠ بالة، بل جميع مخزونات القطن في العالم بأسره. وهكذا، فإن كلا من الشارين، في الحالة المعينة، سيسعى إلى إزاحة شار آخر من السوق بعرضه سعرا أعلى نسبيا لبالة القطن. أما باعة القطن الذين يرون قوات الجيش المخاصم تخوض معركة حامية الوطيس بعضها ضد بعض، والذين تأكدوا إطلاقا من بيع بالاتهم المائة بكلية، فإنهم سيمتنعون عن التضارب والتماسك بالشعر لكي لا ينخفض سعر القطن في فترة يتنافس فيها أخصامهم على رفعه. وإذا السلام يستتب فجأة في معسكر الباعة. إنهم كرجل واحد إزاء الشارين، ويتكفون كالفلاسفة، وتكاد مطالبهم لا تعرف حدا لو أن عروض أولئك الذين أشد ما يلحون على الشراء لم تكن لها حدود معينة، بينة.

وهكذا، إذا كان عرض بضاعة ما أضعف من الطلب عليه، فليس ثمة إطلاقا أو تقريبا أية مزاحمة بين الباعة. وبقدر ما تخف هذه المزاحمة، تنمو المزاحمة بين الشارين. النتيجة: ارتفاع كبير إلى هذا الحد أو ذاك في أسعار البضاعة.

ومعلوم أن الحالة المعاكسة مع نتيجتها المعاكسة أكثر حدوثا: فائض كبير من العرض على الطلب؛ مزاحمة عنيفة بين الباعة؛ قلة في الشارين؛ بيع البضائع بأسعار بخسة.

ولكن ما معنى ارتفاع الأسعار وهبوط الأسعار، ما معنى السعر العالي والسعر الزهيد؟ إن حبة الرمل كبيرة إذا رأيتها عبر مجهر، والبرج صغير بالقياس إلى الجبل. وإذا كان السعر إنما تحدده النسبة بين العرض والطلب، فما الذي يحدد النسبة بين العرض والطلب؟

لنسأل أي برجوازي نشاهده، فإنه لن يتردد لحظة، وسيقطع بضربة واحدة كأنه الإسكندر ذو القرنين هذه العقدة الميتافيزيقية المعقدة بواسطة جدول الضرب وسيقول لنا: إذا كلفني إنتاج البضاعة التي أبيعها ١٠٠ مارك، وإذا بعث هذه البضاعة بـ ١١٠ ماركات – بعد سنة طبعاً، – حصلت على ربح

العمل المأجور ورأس المال

متواضع، شريف، ملائم. وإذا بعثها بـ ١٢٠، ١٣٠ مارك، حصلت على ربح عالٍ؛ وأخيراً، إذا بعثها بـ ٢٠٠ مارك، حصلت على ربح استثنائي، هائل. فأى عامل يستخدمه البرجوازي إذن لقياس ربحه؟ نفقات إنتاج بضاعته. فإذا حصل مقابل هذه البضاعة على قدر من البضائع الأخرى كلف إنتاجها أقل، فقد منى بخسارة. وإذا حصل مقابل بضاعته على قدر من البضائع الأخرى كلف إنتاجها أكثر، فقد حقق ربحاً. وهذا الهبوط أو الارتفاع في الربح، إنما يقيسه بعدد الدرجات التي تهبط بها القيمة التبادلية لبضاعته تحت الصفر أو ترتفع فوق الصفر، باعتبار الصفر نفقات الإنتاج.

لقد رأينا كيف أن تغير النسبة بين العرض والطلب يتسبب تارة بارتفاع الأسعار وطورا بهبوطه، ويؤدي تارة إلى أسعار مرتفعة وطورا إلى أسعار متدنية. فإذا ارتفع سعر بضاعة ارتفاعا كبيرا بسبب من عرض غير كاف أو بسبب من طلب يتزايد بلا حد، فلا بد أن سعر بضاعة أخرى قد هبط، بنسبة معينة، لأن سعر بضاعة ما لا يفعل غير أن يعبر بالنقد عن النسبة التي تتم بموجبها مبادلة هذه البضاعة ببضائع أخرى. فإذا ارتفع سعر متر من الحرير من ٥ ماركات إلى ٦ ماركات، فإن سعر الفضة قد هبط بالنسبة للحرير، كما أن سعر جميع البضائع الأخرى التي ظلت بسعرها السابق، قد هبط أيضا بالنسبة للحرير. فللحصول على الكمية نفسها من الحرير، ينبغي الآن إعطاء كمية أكبر من البضائع مقابلها. فالإلم يؤدي ارتفاع سعر بضاعة من البضائع؟ إن الرساميل ستتدفق بالجملة على الفرع الصناعي المزدهر، وهذه الهجرة من الرساميل إلى الفرع الصناعي الناجح تدوم ما دام الربح في هذا الفرع لا يهبط إلى المستوى العادي أو بالأحرى حتى الفترة التي تهبط فيها أسعار منتجاته، بسبب من فيض الإنتاج، إلى ما دون نفقات الإنتاج.

وبالعكس. إذا هبط سعر بضاعة من البضائع إلى ما دون نفقات الإنتاج، انسحبت الرساميل من إنتاج هذه البضاعة. وباستثناء الحالة التي لا يستجيب فيها فرع صناعي معين لمتطلبات الزمن ولا يبقى له إلا أن يزول، فإن إنتاج هذه البضاعة، أي عرضه، سيأخذ في الهبوط من جراء هرب الرساميل هذا إلى أن يتناسب مع الطلب، فيرتفع بالتالي سعرها من جديد حتى يبلغ مستوى نفقات إنتاجها أو بالأحرى حتى يقل العرض عن الطلب، أي يرتفع سعرها من جديد على نفقات إنتاجها، لأن السعر الجاري لبضاعة ما إنما هو دائما أدنى أو أعلى من نفقات إنتاجها.

إننا نرى أن الرساميل في هجرة دائبة واستيطان دائم، متنقلة من فرع إنتاجي إلى فرع آخر، وأن ارتفاع الأسعار يؤدي إلى استيطان شديد جدا، وهبوط الأسعار إلى هجرة شديدة جدا. وبوسعنا أن نبين من وجهة نظر أخرى أن نفقات الإنتاج لا تحدد العرض وحسب، بل الطلب أيضا. ولكن هذا الأمر يبعثنا كثيرا عن موضوعنا.

لقد رأينا للتو أن تقلبات العرض والطلب تعيد دائما من جديد سعر بضاعة ما إلى مستوى نفقات إنتاجها. إن السعر الفعلي لبضاعة ما هو حقا دائما أدنى أو أعلى من نفقات إنتاجه، ولكن الارتفاع والهبوط يتكاملان، حتى أننا إذا جمعنا حصيلة المد والجزر في الصناعة، في حدود فترة معينة من الزمن، تبين لنا أن البضائع إنما تتم مبادلتها بعضها ببعض وفقا لنفقات إنتاجه، أي أن نفقات إنتاجها هي التي تحدد سعرها.

إن هذا التحديد للسعر بنفقات الإنتاج، لا يجب فهمه كما يفهمه الاقتصاديون. فالاقتصاديون يقولون أن السعر الوسطي للبضائع يوازي نفقات الإنتاج؛ وأن ذلك في رأيهم هو القانون. وهم يعتبرون أنها من

قبيل الصدفه هذه الحركة الفوضوية التي يعوض بواسطتها ارتفاع السعر عن هبوطه، وهبوط السعر عن ارتفاعه. وعلى هذا الأساس، يكون يوسع المرء أن يعتبر بنفس القدر من الصواب أن تقلبات الأسعار هي القانون، وأن تحديد الأسعار بنفقات الإنتاج هو من باب الصدفه. وهذا ما يقول به بعض الاقتصاديين. ولكن الحقيقة هي أن هذه التقلبات التي تفضي، كما يتضح عند النظر فيها عن كثب، إلى أشد التدميرات إرهاباً، وتزعزع المجتمع البرجوازي حتى أسسه، أشبه بالزلازل الأرضية، هي وحدها التي، بقدر ما تحدث، تحدد الأسعار بنفقات الإنتاج. إن مجمل حركة هذه الفوضى هو نظامها بالذات. وفي غمار هذه الفوضى الصناعية، وفي غمار هذه الحركة الدائرة على نفسه، تعوض المزامنة، إذا جاز القول، عن تطرف بتطرف آخر.

وهكذا نرى أن سعر بضاعة ما يتحدد بنفقات إنتاجها بصورة نجد معها أن الفترات التي يرتفع فيها سعر هذه البضاعة فوق نفقات إنتاجها تعوضها الفترات التي يهبط فيها دون نفقات الإنتاج، والعكس بالعكس. وطبيعي أن هذا القول لا يصح على كل من المنتجات بمفرده، إنما يصح فقط على عموم الفرع الصناعي. وبالتالي فإن هذا القول لا يصح أيضاً على صناعي بمفرده، بل يصح فقط على عموم طبقة الصناعيين.

إن تحديد السعر بنفقات الإنتاج مماثل لتحديد السعر بوقت العمل الضروري لإنتاج بضاعة ما، لأن نفقات الإنتاج تتألف، أولاً، من المواد الأولية واستهلاك الأدوات، أي من منتجات صناعية كلف إنتاجها قدراً معيناً من أيام العمل، وتمثل بالتالي قدراً معيناً من وقت العمل، وثانياً، من العمل المباشر الذي يقاس أيضاً بالوقت.

العمل المأجور ورأس المال

بما تتحدد الأجرة؟

وهذه القوانين العامة عينها التي تتحكم عامة بسعر البضائع، تتحكم أيضاً طبعا بالأجرة، بسعر العمل. إن أجرة العمل سترتفع تارة، وتنخفض طور، تبعاً للنسبة بين العرض والطلب، تبعاً لحالة المزامنة بين شاري قوة العمل، الرأسماليين، وباعة قوة العمل، العمال. وتقلبات أسعار البضائع بعامه إنما تُطابقها تقلبات الأجور. ولكن في حدود هذه التقلبات، يتحدد سعر العمل بنفقات الإنتاج، بوقت العمل الضروري لإنتاج هذه البضاعة التي هي قوة العمل.

ولكن ما هي نفقات إنتاج العمل؟

إنها النفقات الضرورية لإبقاء العامل بوصفه عاملاً ولجعله عاملاً. ولهذا، كلما قلّ ما يتطلبه عمل معين من الوقت لأجل التدريب المهني، قلّت نفقات إنتاج العامل، وهبط سعر عمله، وهبطت أجرته. ففي الفروع الصناعية التي تكاد لا تتطلب أي تدريب مهني، والتي يكفي فيها مجرد وجود العامل مادياً، تكاد نفقات الإنتاج الضرورية له تقتصر بوجه الحصر على البضائع الضرورية لإعاشته لحفظ قدرته على العمل. ولهذا يتحدد سعر عمله في هذه الحال بسعر الوسائل الضرورية للعيش.

بيد أن اعتباراً آخر ينضم إلى هذا الاعتبار.

فإن الصناعي الذي يحسب نفقات إنتاجه وعلى أساسها سعر المنتجات، يُدخل في حساباته استهلاك

العمل المأجور ورأس المال

أدوات العمل. فإذا كلفته آلة ما ١٠٠٠ مارك، مثل، وإذا كان سيستهلكها في عشر سنوات، فإنه يضيف كل سنة ١٠٠ مارك على سعر البضاعة لكي يتمكن من الاستعاضة بعد عشر سنوات عن الآلة البالية بآلة جديدة. وعلى النحو نفسه، ينبغي أن تشمل نفقات إنتاج قوة العمل البسيطة على نفقات التناسل الذي يتمكن جنس العمال بواسطته من التكاثر ومن إحلال العمال الجدد محل العمال المستهلكين. وهكذا يُؤخذ استهلاك العمال في الحساب شأنه شأن استهلاك الآلة.

إن نفقات إنتاج قوة العمل البسيطة تتألف إذن من نفقات معيشة وتناسل العمال. وسعر نفقات المعيشة والتناسل هذه تشكل الأجرة. والأجرة المحددة على هذا النحو تسمى الحد الأدنى للأجرة. وهذا الحد الأدنى للأجرة، شأنه شأن تحديد سعر البضائع بنفقات الإنتاج على وجه العموم، إنما يصح على الجنس، لا على الفرد بمفرده. فهناك عمال، ملايين العمال لا يحصلون على ما يكفي للمعيشة والتناسل؛ ولكن أجر الطبقة العاملة بأسرها تساوي هذا الحد الأدنى، ضمن حدود تقلباتها. والآن، وقد أوضحنا أعم القوانين التي تحدد الأجرة وكذلك سعر أية بضاعة أخرى، نستطيع أن نتعمق أكثر في موضوعنا.

العمل المأجور ورأس المال

طبيعة و نمو الرأسمال

يتألف الرأسمال من مواد أولية وأدوات عمل ووسائل معيشة مختلفة، تُستخدم لإنتاج مواد أولية جديدة وأدوات عمل جديدة ووسائل معيشة جديدة. وكل هذه الأجزاء التي تُؤلف الرأسمال إنما هي من مستنبتات العمل، من منتجات العمل، من العمل المكثف. فالعمل المكثف الذي يُتخذ وسيلة لإنتاج جديد، هو رأسمال.

هكذا يقول الاقتصاديون.

من هو الرقيق الزنجي؟ إنسان من العرق الأسود. إن قيمة هذا التفسير تعادل حقا قيمة التفسير السابق. الزنجي هو زنجي. ولا يصبح رقيقا إلا في ظروف معينة. وآلة غزل القطن هي آلة لغزل القطن. ولا تصبح رأسمالا إلا في ظروف معينة. وبدون هذه الظروف، لا تكون رأسمال، شأنها شأن الذهب الذي ليس بحد ذاته عملة، أو السكر الذي ليس هو بسعر السكر.

في الإنتاج، لا يؤثر الناس في الطبيعة فقط، بل يؤثر بعضهم في البعض الآخر أيضا، فهم لا ينتجون إلا بالتعاون فيما بينهم على شكل معين، من أجل النشاط المشترك وتبادل النشاط فيما بينهم. ومن أجل أن ينتجو، يدخل بعضهم مع بعض في صلات وعلاقات معينة، ولا يتم تأثيرهم في الطبيعة، أي لا يتم الإنتاج، إلا في حدود هذه الصلات والعلاقات الاجتماعية.

وتبعاً لطابع وسائل لإنتاج، تختلف بالطبع هذه العلاقات الاجتماعية التي تقوم بين المنتجين، والأحوال التي فيها يتبادلون النشاط ويشاركون في مجمل الإنتاج. فإن اكتشاف آلة حربية جديدة هي السلاح الناري، قد أدى بالضرورة إلى تعديل كل التنظيم الداخلي للجيش؛ وتغيرت العلاقات التي يُؤلف معها الأفراد جيشاً ويستطيعون فيها العمل بوصفهم جيش، كما تغيرت أيضاً علاقات مختلف الجيوش فيما بينها.

بالتالي، إن العلاقات الاجتماعية التي يُنتج الأفراد بموجبها، أي علاقات الإنتاج الاجتماعية، تتغير وتتحوّل مع تغير وسائل الإنتاج المادية وتطورها مع تغير القوى المنتجة وتطورها. وعلاقات الإنتاج تشكل بمجموعها ما يسمى العلاقات الاجتماعية، المجتمع، تشكل مجتمعا في مرحلة معينة من التطور التاريخي، مجتمعا مميزا، معيناً. فإن المجتمع القديم، والمجتمع الإقطاعي، والمجتمع البرجوازي هي مجموعات من علاقات الإنتاج، كل مجموعة منها تُميّز في الوقت نفسه مرحلة خاصة من مراحل تطور الإنسانية التاريخي.

والرأسمال يمثل أيضا علاقات إنتاج اجتماعية، هي عبارة عن علاقات إنتاج برجوازية أي علاقات إنتاج المجتمع البرجوازي. فإن وسائل المعيشة وأدوات العمل والمواد الأولية التي يتألف منها الرأسمال، ألم تُنتج وتُكسب في أحوال اجتماعية معينة، ووفقا لعلاقات اجتماعية معينة؟ ألا تُستخدم لإنتاج جديد في أحوال اجتماعية معينة، وفي إطار علاقات اجتماعية معينة؟ أو ليس هذا الطابع الاجتماعي المعين هو الذي يحوّل المنتجات التي تُستخدم للإنتاج الجديد إلى رأسمال؟

إن الرأسمال لا يتألف فقط من وسائل المعيشة وأدوات العمل والمواد الأولية، لا يتألف فقط من المنتجات المادية؛ إنما يتألف أيضا من القيم التبادلية. فجميع المنتجات التي يتألف منها هي بضائع. فليس الرأسمال إذن مجرد مجموعة من المنتجات المادية، إنما هو أيضا مجموعة من البضائع، من القيم التبادلية، من المقادير الاجتماعية.

إن الرأسمال يبقى هو نفسه، سواء استبدلنا القطن بالصوف، والرز بالقمح، والسفن البخارية بالسكك الحديدية، شرط أن يكون القطن، للرز، للسفن البخارية – جسد الرأسمال – القيمة التبادلية نفسه، السعر نفسه الذي للصوف والقمح والسكك الحديدية التي كان مجسدا فيها سابقا. إن جسد الرأسمال قد يتغير على الدوام دون أن يطرأ على الرأسمال أي تغير.

ولكن إذا كان كل رأسمال عبارة عن مجموعة من البضائع أي من القيم التبادلية، فإن كل مجموعة من البضائع، من القيم التبادلية، ليست رأسمالا.

إن كل مجموعة من القيم التبادلية هي قيمة تبادلية. وكل قيمة تبادلية هي مجموعة من القيم التبادلية. مثل، إن بيتا يساوي ١٠٠٠ مارك هو قيمة تبادلية قدرها ١٠٠٠ مارك. وصفحة من ورق تساوي بفينغا هي مجموعة من القيم التبادلية قدرها ١٠٠/١٠٠ من الفينغ. إن المنتجات التي يمكن مبادلتها بمنتجات أخرى هي بضائع، والنسبة المعينة التي تجري بموجبها مبادلة هذه المنتجات تشكل قيمتها التبادلية، أو، بالتعبير النقدي، سعرها. وإن حجم هذه المنتجات لا يمكن أن يغير شيئا في كونها بضاعة أو كونها قيمة تبادلية أو كونها ذات سعر محدد. وسواء أكانت الشجرة كبيرة أم صغيرة، فإنها تبقى شجرة. وسواء بادلنا الحديد أرتالا وأطنانا بمنتجات أخرى، فهل يغير هذا طابعه، في كونه بضاعة، قيمة تبادلية؟ إن الحديد، بوصفه بضاعة، تتفاوت قيمته وبتباين سعره تبعا لكميته.

ولكن كيف تصبح كمية معينة من البضائع، من القيم التبادلية، رأسمالا؟ إنها تصبح رأسمالا بسبب أنه، بوصفها قوة اجتماعية مستقلة، أي بوصفها قوة تابعة لقسم من المجتمع، تبقى وتنمو عن طريق مبادلتها بقوة العمل المباشرة، الحية. إن وجود طبقة لا تملك غير قدرتها على العمل هو شرط ضروري للرأسمال.

العمل المأجور ورأس المال

إن سيطرة العمل المكثس، الماضي، المتجسد، على العمل المباشر، الحي، هي وحدها التي تحوّل العمل المكثس إلى رأسمال. إن جوهر الرأسمال، ليس في كون العمل المكثس وسيلة للعمل الحي من أجل تحقيق إنتاج جديد، بل في كون العمل الحي وسيلة لحفظ قيمة العمل المكثس التبادلية ولزيادتها.

العمل المأجور ورأس المال

ما الذي يجري عند التبادل بين الرأسمالي والأجير؟

يتلقى العامل وسائل معيشة مقابل قوة عمله، ولكن الرأسمالي يحصل مقابل ما قدمه من وسائل المعيشة، على العمل، على نشاط العامل المنتج، على القوة الخالقة التي بواسطتها لا يرد العامل ما استهلكه وحسب، بل يعطي أيضا العمل المكثس قيمة أكبر من قيمته السابقة. إن العامل يتلقى من الرأسمالي قسما من وسائل المعيشة الموجودة. لأي غرض تفيده وسائل المعيشة هذه؟ لاستهلاكه المباشر. ولكني ما إن استهلك وسائل المعيشة، حتى تضيق إلى الأبد بالنسبة إليّ، إلا إذا استخدمت الوقت الذي تؤمن فيه هذه الوسائل وجودي، لكي أنتج وسائل جديدة للمعيشة، لكي أخلق بعلمي، خلال هذا الوقت، قيمة جديدة عوضا عن القيم التي أزلتها باستهلاكها. ولكن أليست بالضبط هذه القوة الخالقة النبيلة هي التي يتنازل عنها العامل للرأسمال مقابل وسائل المعيشة التي يتلقاها! فهي، بالتالي، تصبح مفقودة بالنسبة له.

لنأخذ مثلا. مزارع يعطي عامله المياوم ٥٠ بفينيغا في اليوم. ومقابل هذه البفينيغات الخمسين، يشتغل هذا العامل كل النهار في حقول المزارع ويؤمن له على هذا النحو دخلا قدره مائة بفينيغ. وهكذا لا يسترد المزارع فقط القيم التي يترتب عليه التنازل عنها للعامل المياوم، بل يضاعفها أيضا. فقد استخدم إذن، استهلك، بصورة مثمرة، منتجة، الفينينغات الخمسين التي أعطاها العامل المياوم؛ فقد اشترى بهذه البفينيغات الخمسين عمل وقوة العامل المياوم اللذين يستنتبان منتجات زراعية ذات قيمة مضاعفة، ويحولان البفينيغات الخمسين إلى مائة بفينيغ. أما العامل المياوم، فإنه يتلقى مقابل قوته المنتجة التي تنازل عن مفاعيلها للمزارع، ٥٠ بفينيغا يبادلها بوسائل معيشة يستهلكها على أشكال مختلفة من السرعة أو البطء. وهكذا استهلك البفينيغات الخمسون بصورة مزدوجة: بصورة منتجة بالنسبة للرأسمال، إذ بودلت بقوة عمل درت مائة بفينيغ، وبصورة غير منتجة بالنسبة للعامل، إذ بودلت بوسائل معيشة زالت إلى الأبد ولا يمكنه أن يعيد قيمتها من جديد إلا إذا كرر التبادل نفسه مع المزارع. فالرأسمال يفترض إذن العمل المأجور، والعمل المأجور، يفترض الرأسمال، فكل منهما شرط الآخر، كل منهما يخلق الآخر.

العامل في معمل للمنسوجات القطنية، أتراه لا ينتج إلا المنسوجات القطنية؟ كلا، إنه ينتج رأسمالا أيضا. إنه ينتج قيمة تُستغل بدورها للسيطرة على عمله لكي يخلق بعمله هذا قيمة جديدة.

إن الرأسمال لا يمكن له أن يتكاثر إلا إذا بودل بقوة العمل، إلا إذا خلق العمل المأجور. إن قوة عمل العامل المأجور لا يمكن مبادلتها بالرأسمال، إلا إذا كانت تزيد الرأسمال، وتعزز بالضبط تلك السيطرة التي تستعدها. وهكذا فإن تكاثر الرأسمال هو بالتالي تكاثر البروليتاري، أي الطبقة العاملة. ولذا، فإن مصلحة الرأسمالي والعامل واحدة – هكذا يزعم البرجوازيون واقتصاديهم. فعلا! إن العامل يهلك إذا لم يُشغَله الرأسمال. والرأسمال يزول إذا لم يستثمر قوة العمل، ولكي يستثمره، لا بد

له أن يشتريها. وبقدر ما يسرع ويتكاثر الرأسمال المعد للإنتاج، الرأسمال المنتج، وبقدر ما تزدهر الصناعة بالتالي، وتغتني البرجوازية، وتتحسن الأحوال، بقدر ما يحتاج الرأسمالي إلى مزيد من العمال، ويبيع العامل نفسه بمزيد من الأجرة. فالشرط الضروري الذي لا غنى عنه لكي يكون العامل في وضع مقبول، إنما هو إذن نمو الرأسمال المنتج نمواً سريعاً قدر الإمكان.

ولكن ما يعني نمو الرأسمال المنتج؟ إنه يعني نمو سيطرة العمل المكثف على العمل الحي، إنه يعني نمو سيطرة البرجوازية على الطبقة العاملة. فحين ينتج العمل المأجور ثروة الآخرين التي تسيطر عليه، القوة التي تعاديه، الرأسمال، فإن وسائل تشغيله (Beschäftigungsmittel)، أي وسائل معيشته، تعود من الرأسمال إليه، شرط أن يصبح، من جديد، قسماً من الرأسمال، المحرك الذي يقذف بالرأسمال من جديد إلى حركة نمو متسارع.

إن الإدعاء بأن مصالح الرأسمال ومصالح العمال واحدة لا يعني في الحقيقة إلا أن الرأسمال والعمل المأجور هما طرفا علاقة واحدة يشترط فيها أحدهما الآخر كما يشترط المرابي والمبدد أحدهما الآخر.

فما دام العامل المأجور عاملاً مأجوراً، ظل مصيره رهناً بالرأسمال. تلك هي وحدة مصالح العامل والرأسمالي المزعومة.

فحين ينمو الرأسمال، يتضخم حجم العمل المأجور، ويزداد عدد العمال المأجورين، أي بكلمة، تمتد سيطرة الرأسمال وتشمل عدداً أكبر من الأفراد. ولنفترض أحسن الأحوال: حين ينمو الرأسمال المنتج، يزداد الطلب على العمل، وبالتالي يتصاعد سعر العمل، الأجرة.

مهما يكن البيت، أي بيت، صغير، فهو يلبي كل ما يُطلب اجتماعياً من البيت، ما دامت البيوت المجاورة صغيرة أيضاً. ولكن ما إن يرتفع قصر منيف إلى جانب البيت الصغير، حتى ينحط البيت الصغير إلى مرتبة كوخ حقير. وإذ ذاك يغدو البيت الصغير الدليل على أن صاحبه لا يمكن له أن يكون متطلب، أو أنه لا يمكن أن يكون له غير متطلبات متواضعة جداً. ويمكن للبيت الصغير أن يكبر قدر ما يشاء في مجرى تطور الحضارة، ولكن، إذا كبر القصر المجاور بالسرعة نفسها أو بمقاييس أكبر، فإن ساكن البيت الصغير نسبياً سيشعر بتزايد عسره، بتعاضد استيائه، بالضيق بين جدران بيته الأربعة.

إن زيادة الأجرة زيادة محسوسة لحد ما تفترض نمواً سريعاً في الرأسمال المنتج. والنمو السريع في الرأسمال المنتج يفضي إلى نمو الثروة، والترف، والحاجات والمسرات الاجتماعية بالسرعة نفسها. وهكذا، إن تكن المسرات في متناول العامل قد ازدادت، إلا أن الارتياح الاجتماعي الذي تبعثه في نفسه قد خف، بالقياس إلى تزايد مسرات الرأسمالي التي ليست في متناول العامل، وبالقياس إلى مستوى تطور المجتمع بوجه عام. فإن حاجاتنا ومسراتنا إنما تنبع من المجتمع، ونحن لا نقيسها بالأغراض التي تليها بل نقيسها بمقاييس اجتماعية. حاجاتنا ومسراتنا تتسم بطابع اجتماعي ولذا فإنها نسبية.

العمل المأجور ورأس المال

والأجرة لا تحددها فقط على وجه العموم كمية البضائع التي أستطيع الحصول عليها بالمقابل. إنما تنطوي على شتى العلاقات.

أولاً، إن ما يتلقاه العامل مقابل قوة عمله، إنما هو مبلغ معين من النقد. ثرى، هل أن الأجرة لا يحددها إلا هذا السعر نقداً؟

في القرن السادس عشر، ازداد المتداول من الذهب والفضة في أوروبا إثر اكتشاف مناجم في أمريكا أغنى وأسهل للاستثمار. ومن جراء ذلك، هبطت قيمة الذهب والفضة بالقياس إلى سائر البضائع. واستمر العمال يتقاضون القدر نفسه من الفضة النقدية مقابل قوة عملهم. لقد ظل سعر عملهم نقداً كما كان عليه، ولكن أجرتهم هبطت رغم ذلك إذ أمسوا يتلقون مقداراً أقل من البضائع الأخرى مقابل الكمية نفسها من الفضة. وكان هذا من العوامل التي يسرت تنامي الرأسمال ونهوض البرجوازية في القرن السادس عشر.

لنأخذ حالة أخرى. في شتاء ١٨٤٧، ازدادت أسعار أهم وسائل المعيشة، الخبز واللحم والزبدة والجبنة وغيره، زيادة كبيرة، بسبب من سوء الموسم. لنفترض أن العمال ظلوا يتقاضون المبلغ نفسه من النقد مقابل قوة عملهم. ألم تنخفض أجرتهم في هذه الحال؟ أجل. فمقابل المبلغ نفسه من النقد، أمسوا يتلقون قدراً أقل من الخبز واللحم، الخ.. وقد هبطت أجرتهم، لا لأن قيمة الفضة قد هبطت، بل لأن قيمة وسائل المعيشة قد ازدادت.

لنفترض أخيراً أن سعر العمل نقداً ظل على حاله دون تغيير، بينما هبطت أسعار جميع المنتجات الزراعية والسلع الصناعية بسبب من استخدام آلات جديدة، وموسم وافر، الخ.. فمقابل المبلغ نفسه من النقد، أصبح بإمكان العمال أن يشتروا قدراً أكبر من شتى البضائع. وهكذا ازدادت أجرتهم، لأن قيمتها نقداً لم تتغير.

وعليه فإن سعر العمل نقد، أي الأجرة الاسمية، لا ينطبق على الأجرة الفعلية، أي على مقدار البضائع الذي يُعطى فعلاً مقابل الأجرة. فحين نتحدث عن ارتفاع الأجرة أو هبوطه، يجب علينا بالتالي ألا نأخذ بعين الاعتبار مجرد سعر العمل نقد، مجرد الأجرة الاسمية فقط.

ولكن لا الأجرة الاسمية، أي مبلغ النقد الذي يبيع العامل نفسه مقابلته من الرأسمالي، ولا الأجرة الفعلية، أي مقدار البضائع الذي يستطيع شراءه بهذا المبلغ النقدي، يستنفذان العلاقات التي تنطوي عليها الأجرة.

فالأجرة إنما تحددها أيضاً بالدرجة الأولى نسبتها مع كسب الرأسمالي، مع ربح الرأسمالي، وبهذا المعنى تسمى الأجرة المقارنة، النسبية.

إن الأجرة الفعلية تعبر عن سعر العمل بالنسبة لسعر سائر البضائع، بينما الأجرة النسبية تعبر عن حصة العمل المباشر في القيمة الجديدة التي خلقها بالنسبة للحصة التي تعود منها إلى العمل المكثس أي الرأسمال.

القوانين العامة التي تحدد ارتفاع وهبوط الأجرة و الربح

قلنا أعلاه في الصفحة ١٤: "فالأجرة ليست إذن حصة العامل في البضاعة التي أنتجها. إن الأجرة هي قسم من بضاعة موجودة سلفا يشتري به الرأسمالي كمية معينة من قوة عمل منتجة". ولكن هذه الأجرة إنما ينبغي أن يستردها الرأسمالي من جديد من الثمن الذي يبيع به المنتج الذي صنعه العامل، ينبغي أن يستردها بصورة يبقى له معها أيضا بوجه عام فائض عن نفقات الإنتاج التي قدمه، ربح. إن سعر مبيع البضاعة التي ينتجها العامل ينقسم بالنسبة للرأسمالي إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول، بدل ثمن المواد الأولية التي قدمها وكذلك بدل استهلاك الآلات والأدوات وسائر وسائل العمل التي قدمها؛ القسم الثاني، بدل الأجرة التي قدمها؛ القسم الثالث، الفائض، ربح الرأسمالي. فبينما القسم الأول ليس إلا بدلا لقيم كانت موجودة في السابق، فمن الواضح أن بدل الأجرة وكذلك الفائض - ربح الرأسمالي يؤخذان بكليتهما من القيمة الجديدة التي أوجدها عمل العامل وأضيفت إلى قيمة المواد الأولية. وبهذا المعنى نستطيع أن نعتبر الأجرة والربح على السواء، حين نقارنهما معا، حصتين من منتج العامل.

وحتى إذا ظلت الأجرة الفعلية كما هي عليه، بل حتى إذا ازدادت، فإن الأجرة النسبية قد تهبط. لنفترض مثلا أن جميع وسائل المعيشة قد هبطت أسعارها مقدار الثلثين، بينما لم تهبط الأجرة اليومية إلا مقدار الثلث، أي أنها هبطت مثلا من ٣ ماركات إلى ماركين. فمع أن العامل يستطيع الآن أن يشتري بالماركين كمية من البضائع أكبر مما كان يشتريه بالماركات الثلاثة، فإن أجرته قد هبطت مع ذلك بالنسبة لربح الرأسمالي. فإن ربح الرأسمالي (الصناعي مثلا) قد ازداد مقدار مارك واحد، أي أنه ينبغي على العامل أن ينتج كمية أكبر مما مضى من القيم التبادلية، لقاء كمية أقل من القيم التبادلية التي يدفعها له الرأسمالي. وهكذا ازدادت حصة الرأسمال بالنسبة لحصة العمل واشتد التفاوت أيضا وأيضا في توزيع الثروة الاجتماعية بين الرأسمال والعمل. إن الرأسمالي يسيطر بالقدر نفسه من الرأسمال على قدر أكبر من العمل. وقد تعاضمت سيطرة الطبقة الرأسمالية على الطبقة العاملة، وتردّى وضع العامل الاجتماعي وهبط درجة أخرى بالنسبة لوضع الرأسمالي.

فما هو إذن القانون العام الذي يحدد هبوط وارتفاع الأجرة والربح في علاقتهما المتبادلة؟ إن علاقتهما متناسبة عكسا. فإن حصة الرأسمال، الربح، ترتفع بقدر ما تهبط حصة العمل، الأجرة اليومية، والعكس بالعكس. إن الربح يرتفع بقدر ما تهبط الأجرة، ويهبط بقدر ما ترتفع الأجرة.

قد يعترض معترض ويقول أن الرأسمالي يستطيع الحصول على ربح من مبادلة منتجاته بمبادلة رابحة مع رأسماليين آخرين، أو من تزايد الطلب على بضاعته من جراء افتتاح أسواق جديدة، أو أيضا من ازدياد الحاجات مؤقتا في الأسواق القديمة، الخ؛ وأن ربح الرأسمالي يمكن له إذن أن يزداد على حساب رأسماليين آخرين، بصرف النظر عن ارتفاع الأجرة أو هبوطه، بصرف النظر عن القيمة التبادلية لقوة العمل؛ أو أن ربح الرأسمالي يمكن له أيضا أن يزداد من جراء تحسين أدوات العمل وتطبيق أساليب جديدة في استخدام قوى الطبيعة، الخ..

ينبغي الإقرار بادئ الأمر أن النتيجة تظل واحدة كما هي رغم التوصل إليها بالطريق المعاكس. والحقيقة أن الربح قد ازداد لأن الأجرة قد هبطت، ولكن الأجرة هبطت لأن الربح قد ازداد. فإن الرأسمالي قد اشترى بالقدر نفسه من عمل الغير قدرا أكبر من القيم التبادلية دون أن يدفع ثمننا أرفع

العمل المأجور ورأس المال

للعمل؛ أي، بالتالي، إن ثمن العمل هبط بالنسبة للربح الصافي الذي يدرّه للرأسمالي.

وفضلا عن ذلك، لنذكر بأن متوسط سعر كل بضاعة أو النسبة التي تبادل بموجبها مقابل بضائع أخرى، إنما تحدده نفقات إنتاج هذه البضاعة، رغم تقلبات أسعار البضائع. ولذا تتعادل بالضرورة الخداعات المتبادلة في داخل الطبقة الرأسمالية. وتحسين الآلات وتطبيق أساليب جديدة في استخدام قوى الطبيعة في الإنتاج، يتيحان، في وقت معين من العمل، وبالقدر نفسه من العمل والرأسمال، خلق قدر أكبر من المنتجات، ولكنهما لا يخلقان إطلاقا قدرا أكبر من القيم التبادلية. فإذا كنت أستطيع، بفضل استخدام المغزل الآلي، أن أسلم في مدى ساعة قدرا من الخيطان يزيد ١٠٠ بالمئة عما قبل اختراع المغزل الآلي، مثلا ١٠٠ رطل بدلا من ٥٠، فإني لا أتلقّى، بصورة وسطية وخلال فترة طويلة نسبي، مقابل الـ ١٠٠ رطل قدرا من البضائع يزيد عما كنت أتلقّاه مقابل ٥٠ رطل، لأن نفقات الإنتاج قد هبطت ٥٠ بالمئة أو لأنني أستطيع أن أسلم بالنفقات نفسها ضعف الإنتاج.

أخير، مهما كانت النسبة التي تتقاسم بموجبها طبقة الرأسماليين، البرجوازية، الربح الصافي من الإنتاج، إما في بلد، وإما في السوق العالمية بأكملها، فإن المبلغ الإجمالي لهذا الربح الصافي ليس، على كل حال، سوى المبلغ الذي أضافه العمل المباشر، بالإجمال، إلى العمل المكثّف. وهكذا، فإن هذا المبلغ الإجمالي يزداد تبعا للنسبة التي يزيد بها العمل الرأسمال، أي تبعا للنسبة التي يزداد بموجبها الربح بالمقارنة مع الأجرة.

مصالح الرأسمال ومصالح العمل المأجور متضادة تماما

وهكذا نرى، حتى إذا بقينا داخل حدود العلاقات بين الرأسمال والعمل المأجور، أن مصالح الرأسمال ومصالح العمل المأجور متضادة تماما.

إن نمو سريعا في الرأسمال يوازي نمو سريعا في الربح. والربح لا يمكنه أن ينمو بسرعة إلا إذا هبط سعر العمل، الأجرة النسبية، بالسرعة نفسها. إن الأجرة النسبية قد تهبط حتى ولو ارتفعت الأجرة الفعلية في الوقت نفسه مع الأجرة الاسمية، مع قيمة العمل نقد، ولكن شرط ألا ترتفع الأجرة الفعلية بنفس النسبة التي يرتفع بها الربح. فإذا ارتفعت الأجرة ٥ بالمئة في مراحل الانتعاش وارتفع الربح ٣٠ بالمئة، فإن الأجرة النسبية لا تزداد، بل تهبط.

وعليه إذا ازداد دخل العامل مع نمو الرأسمال بسرعة، فإن الهوة الاجتماعية التي تفصل بين العامل والرأسمالي تتسع في الوقت نفسه، كما يتعاظم بالتالي سلطان الرأسمال على العمل وتتفاقم تبعية العمل إزاء الرأسمال.

فالقول إن للعامل مصلحة في نمو الرأسمال بسرعة، إنما يعني في الواقع أنه كلما زاد العامل بسرعة ثروة الآخرين، كلما ازدادت الفتات التي يلتقطها عن المائدة؛ وكلما أمكن تشغيل عدد أكبر من العمال وكلما أمكن توليد عدد أكبر من العمال، كلما أمكن زيادة جيش الأرقاء في تبعية الرأسمال. لقد لاحظنا إذن:

إن الظروف الأكثر ملاءمة للطبقة العاملة، نمو الرأسمال بأسرع ما يمكن، لا يقضي على التناقض

بين مصالحي العمال ومصالحي البرجوازيين، مصالحي الرأسماليين، مهما كان التحسين الذي يُدخله في حياة العامل المادية. فالربح والأجرة هم، من بعد كما من قبل، في علاقة متناسبة عكسا. فحين ينمو الرأسمال بسرعة، فإن الأجرة قد تنمو، ولكن ربح الرأسمالي ينمو بما لا يقاس من السرعة. إن حياة العامل المادية تتحسن، ولكن على حساب وضعه الاجتماعي. فالهوة الاجتماعية التي تفصله عن الرأسمالي تزداد اتساعا.

أخيرا:

إن القول بأن الظرف الأنسب للعمل المأجور إنما هو نمو الرأسمال المنتج بأسرع ما يمكن، يعني في الواقع أنه كلما زادت الطبقة العاملة وأمنت القوة المعادية له، ثروة الآخرين التي تسيطر على الطبقة العاملة، كلما تحسنت الأحوال التي يُسمح لها فيها من جديد بالعمل على زيادة الثروة البرجوازية، على تعزيز سلطان الرأسمال، راضية بأن تصنع بنفسها السلاسل الذهبية التي تجرّها بها البرجوازية في ذيلها.

نمو الرأسمال المنتج وزيادة الأجرة، ثرى، هل هما حقا وثيقا الارتباط لا تنقسم عراهما كما يزعم الاقتصاديون البرجوازيون؟ ينبغي لنا ألا نصدق مزاعمهم. بل إنه لا يمكننا أن نصدقهم بتاتا حين يقولون أنه بقدر ما ييسمن الرأسمال، بقدر ما ييسمن عبده. إن البرجوازية بالغة الفطنة والحنكة، فهي تحسب وتجيد الحساب ولا تقلّد السيد الإقطاعي في غروره وأوهامه إذ يتباهى ببريق لباس خدمه. إن شروط حياة البرجوازية إنما تُكرهها على الحساب.

ولذا لا بد أن ندرس هذا الأمر عن كثب:

ما هو تأثير نمو الرأسمال المنتج في الأجرة؟

حين ينمو الرأسمال المنتج للمجتمع البرجوازي بكليته، فذلك يعني أنه حدث بالنتيجة تكديس عمل أعمّ. فالرأسماليون يزدادون عددا والرساميل تزداد حجما. وزيادة الرساميل تعزز المزاحمة بين الرأسماليين. وتنامي مقادير الرساميل يتيح سوق جيوش أضخم من العمال إلى ميدان المعركة الصناعية، مع أعتدة قتالية أقوى وأكبر.

إن الرأسمالي لا يستطيع إزاحة الآخر والاستيلاء على رأسماله إلا إذا باع بأسعار أرخص، ولكي يستطيع أن يبيع بأسعار أرخص دون أن يحل به الخراب، عليه أن ينتج بكلفة أقل، أي أن يزيد إنتاجية العمل قدر الإمكان. ولكن إنتاجية العمل تزداد على الأخص من جراء زيادة تقسيم العمل، من جراء إشاعة الآلات على نطاق أوسع فأوسع وتحسينها على الدوام. فبقدر ما يزداد جيش العمال الذين يُقسّم العمل بينهم، وتشتاع الآلات على نطاق أوسع، بقدر ما تنخفض نفقات الإنتاج أسرع نسبيا، ويغدو العمل أوفر مردودا. ولذا تقوم بين الرأسماليين مباراة متنوعة المظاهر لزيادة تقسيم العمل وإشاعة الآلات ولاستثمار هذين العنصرين على أكبر نطاق ممكن.

ولكن إذا استطاع رأسمالي، بفضل تقسيم العمل على نطاق أوسع، واستخدام الآلات الجديدة وتحسينه، واستغلال قوى الطبيعة على وجه أفيد وعلى نطاق أكبر، إذا استطاع هذا الرأسمالي أن يصنع بالقدر نفسه من العمل أو من العمل المكسب قدرا من المنتجات، من البضائع، أكبر مما يصنعه مزاحموه؛ إذا استطاع مثلا أن ينتج مترا كاملا من القماش في فترة معينة من الوقت بينما ينتج مزاحموه نصف متر من القماش نفسه في الفترة ذاته، فما عساه أن يفعل؟

العمل المأجور ورأس المال

إنه يستطيع أن يبيع نصف المتر من القماش بالسعر السابق في السوق. ولكن تلك لن تكون الوسيلة لإزاحة أخصامه وزيادة تصريفه. والحال، بقدر ما يتسع إنتاجه، تتعاظم بالنسبة له الحاجة إلى التصريف. والحقيقة أن وسائل الإنتاج الأقوى والأعلى التي أوجدها تتيح له أن يبيع بضاعته بأسعار أرخص، ولكنها تكرهه في الوقت نفسه على بيع مزيد من البضائع، على الاستيلاء على سوق لبضائعه أكبر بما لا يقاس. وهكذا فإن صاحبنا الرأسمالي هذا سيبيع نصف المتر من القماش بسعر أرخص مما يبيع مزاحموه.

ولكن هذا الرأسمالي لن يبيع المتر الكامل من القماش بنفس الثمن الذي يبيع به مزاحموه نصف المتر، رغم أن إنتاج المتر بكامله لا يكلفه أكثر مما يكلف مزاحميه إنتاج نصف المتر. وإل، فإنه لن يحصل على أي ربح زائد ولن يسترد بالمقابل إلا نفقات إنتاجه. فإذا ازداد دخله في هذه الحال، فلأنه وظّف وشغل رأسمالا أكبر لا لكونه استحصل من رأسماله أكثر مما يستحصل الرأسماليون الآخرون. ثم إنه يبلغ الهدف الذي ينشده لمجرد أن يبيع بضاعته بسعر يقل بعض الأجزاء من مئة جزء من سعر مزاحميه. وهكذا يزيحهم من السوق، أو ينتزع منهم على الأقل قسما من تصريفهم، إذ يبيع بأسعار أدنى من أسعارهم. وأخير، لنذكر أن السعر الجاري هو دائما أكبر أو أقل من نفقات الإنتاج، حسبما يتم بيع البضاعة في فصل يلائم الصناعة أو لا يلائمها. وحسبما يكون سعر متر القماش في السوق أكبر أو أقل من نفقات إنتاجه السابقة العادية، فإن الرأسمالي الذي استخدم وسائل إنتاج جديدة أفيد، سيبيع بأسعار تزيد على نفقات إنتاجه الفعلية بنسب مئوية مختلفة.

ولكن امتياز صاحبنا الرأسمالي لا يدوم طويلا؛ فإن الرأسماليين المنافسين الآخرين يستخدمون الآلات نفسها وتقسيم العمل نفسه، وعلى النطاق نفسه أو على نطاق أوسع، وهذا التحسين ينتشر ويعمّ حتى يهبط ثمن القماش لا إلى ما دون نفقات إنتاجه السابقة وحسب، بل أيضا دون نفقات إنتاجه الجديدة. وهكذا يجد الرأسماليون أنفسهم بعضهم إزاء بعض، في ذات الوضع الذي كانوا فيه قبل تطبيق وسائل الإنتاج الجديدة، وإذا كانوا يستطيعون بهذه الوسائل أن يسلموا ضعف الإنتاج بالثمن السابق نفسه، إلا أنهم مكرهون الآن على بيع ضعف إنتاجهم بسعر أدنى من السعر السابق. وإذ تبلغ نفقات الإنتاج هذا المستوى الجديد، تتجدد اللعبة: زيادة تقسيم العمل، زيادة عدد الآلات، اتساع نطاق استخدام تقسيم العمل، والآلات. والمزاحمة تفضي من جديد إلى رد الفعل ذاته ضد هذه النتيجة.

العمل المأجور ورأس المال

أثر المنافسة الرأسمالية على الطبقة الرأسمالية و الطبقة الوسطى والطبقة العاملة
وهكذا نرى كيف يتغير على الدوام أسلوب الإنتاج ووسائل الإنتاج بشكل ثوري؛ كيف يؤول تقسيم العمل بالضرورة إلى تقسيم العمل على نطاق أوسع، واستخدام الآلات إلى استخدام الآلات على نطاق أكبر، والإنتاج على نطاق ضخم إلى الإنتاج على نطاق أضخم.

ذلك هو القانون الذي يقذف على الدوام بالإنتاج البرجوازي خارج طريقه السابقة، ويكره الرأسمال دائما على أن يشدد أيضا وأيضا قوى العمل المنتجة وذلك لأنه قد شدها من قبل، القانون الذي لا يدع للرأسمال أي فرصة للراحة وما ينفك يهمس في أذنه: إلى الأمام! إلى الأمام!

وما هذا القانون إلا القانون الذي يجعل بالضرورة سعر بضاعة ما مساويا لنفقات إنتاجه، وذلك ضمن حدود تقلبات التجارة من فترة إلى فترة.

ومهما بلغت وسائل الإنتاج التي يضعها الرأسمالي قيد العمل، من الضخامة والقوة، فإن المزاحمة لا تلبث أن تعمم وسائل الإنتاج هذه، ومتى تعمدت، فإن النتيجة الوحيدة للمردود الأكبر لرأسماله هي أنه يصبح مضطرا الآن أن يسلم، لقاء الثمن نفسه، منتجات تزيد عشر مرات، أو عشرين، أو مئة مرة عما في السابق. ولكن، بما أنه ينبغي له أن يصرف الآن قدرا من المنتجات ربما يزيد ألف مرة لكي يعوض بقدر أكبر من المنتجات المصروفة عن انخفاض سعر البيع، وبما أن بيع مقادير أكبر من البضائع غدا الآن ضروريا له لا من أجل مزيد من الكسب وحسب، بل أيضا من أجل استعادة نفقات الإنتاج - إذ إن أدوات الإنتاج نفسه، كما سبق ورأين، يزداد سعرها أكثر فأكثر - وبما أن هذا البيع بكميات كبيرة أصبح الآن مسألة حيوية لا بالنسبة لهذا الرأسمالي وحسب، بل بالنسبة أيضا لمنافسيه، فإن النضال السابق يشتد عنفا بقدر ما تصبح وسائل الإنتاج المخترعة أكثر فعالية. وهكذا ما ينفك تقسيم العمل واستخدام الآلات يتطوران في نطاق أوسع بما لا حد له.

فمهما تعاظمت إذن قوة وسائل الإنتاج المستخدمة، فإن المزاحمة تحاول أن تنتزع من الرأسمال الثمار الذهبية الناجمة عن هذه القوة بتخفيض سعر البضاعة إلى مستوى نفقات إنتاجه، جاعلة بالتالي من ترخيص الإنتاج وتسليم مقادير أكبر فأكثر من المنتجات مقابل مجموعة الأسعار السابقة، قانونا إلزامي، وهذا بقدر ما تظهر إمكانية الإنتاج بنفقات أقل، أي إمكانية إنتاج قدر أكبر من المنتجات بواسطة القدر نفسه من العمل. وهذا إذن لا يكسب الرأسمالي، بجهوده، سوى واجب تقديم مزيد من الإنتاج في الوقت نفسه من العمل، أي أنه، بكلمة، لا يكسب إلا شروطا أصعب لزيادة قيمة رأسماله. وبما أن المزاحمة تلاحق الرأسمالي على الدوام بواسطة قانون نفقات الإنتاج، وبما أن كل سلاح يشحذه ضد أخصامه يعود ضده بالذات، فهو يحاول أبدا أن يتغلب على المزاحمة بأن يستعويض بلا توقف عن الآلات القديمة والطرائق القديمة لتقسيم العمل بالآلات والطرائق الجديدة التي هي أكثر كلفة ولكنها ترخص الإنتاج، ولا ينتظر حتى تجعل المزاحمة من هذه الآلات والطرائق الجديدة آلات وطرائق قديمة ولى عهدا.

فإذا تصورنا الآن هذه الحركة المحمومة في السوق العالمية بأسره، أدركنا كيف يؤدي نمو الرأسمال وتكدسه وتمركزه إلى تقسيم في العمل يجري بصورة لا انقطاع فيه، بصورة يغير فيها نفسه بنفسه، وعلى نطاق يزداد اتساعا على الدوام، وإلى استخدام الآلات الجديدة وتحسين الآلات القديمة. ولكن كيف تؤثر هذه الظروف الملازمة لنمو الرأسمال المنتج، في تحديد الأجرة؟

إن تقسيم العمل على نطاق أكبر يتيح للعامل الواحد أن يقوم بعمل ٥ عمال، و ١٠، و ٢٠؛ فيزيد المزاحمة إذن بين العمال ٥ مرات، و ١٠، و ٢٠ مرة. إن العمال لا يتزاحمون فقط بأن يبيع بعضهم نفسه بأسعار أرخص من البعض الآخر؛ إنما يتزاحمون أيضا لأن عاملا واحدا يقوم بعمل ٥ عمال، و ١٠ و ٢٠، وتقسيم العمل الذي أدخله الرأسمال ولا يزال يوسعه على الدوام هو الذي يكره العمال على هذا النوع من المزاحمة فيما بينهم.

وفضلا عن ذلك، فإن العمل يغدو بسيطا بقدر ما يزداد تقسيم العمل. ولا يبقى لمهارة العامل الخاصة أية قيمة. فالعامل يتحول إلى قوة منتجة بسيطة، رتيبة، إلى قوة لا يُطلب منها أية كفاءة جسدية أو فكرية ممتازة. ويغدو عمله في مقدور الجميع. ولذا يضغظ المزاحمون على العمل من كل الجهات. ثم لنذكر بأنه بقدر ما يكون العمل بسيطا وسهلا تعلمه، وبقدر ما تقل نفقات الإنتاج لاستيعابه، بقدر ما

العمل المأجور ورأس المال

تهبط الأجرة، لأن الأجرة إنما تحددها نفقات الإنتاج، شأنها شأن سعر أية بضاعة أخرى.

فبقدر ما يصبح العمل، إذن، أقل لذة وأشد تنفير، بقدر ما تزداد المزاحمة وتهبط الأجرة. فيسعى العامل إلى الاحتفاظ بمجمل أجرته وذلك بالعمل أكثر مما مضى، إما بالعمل ساعات أكثر، وإما بإنتاج قدر أكبر في الساعة نفسها. فهو إذن بدافع البؤس يزيد أيضا وأيضا من مفاعيل تقسيم العمل المشؤومة. والنتيجة هي أنه كلما اشتغل أكثر، كلما تقاضى أجرة أقل، وذلك لمجرد أنه، بقدر ما يكثر عمله، بقدر ما يزاحم رفاقه في العمل، ويجعل منهم مزاحمين له يبيعون أنفسهم بشروط سيئة كشروطه، ولأنه، في آخر المطاف، يزاحم نفسه بنفسه، يزاحم نفسه بوصفه عضوا من أعضاء الطبقة العاملة.

والآلات تحدث المفاعيل نفسها على نطاق أكبر، إذ أنها تستعيز عن العمال الماهرين بعمال غير ماهرين، وعن الرجال بالنساء، وعن الراشدين بالأحداث، وإذ أنه، لمجرد ظهوره، تلقى العمال اليدويين بالجملة إلى الشارع، وإذ أنه، في مجرى تطورها وتحسينها وإتقانه، تطرد العمال فئات كاملة. لقد رسمنا أعلاه لوحة عاجلة للحرب الصناعية بين الرأسماليين؛ إن هذه الحرب تتميز بميزة خاصة، وهي أن المعارك فيها إنما تُكسب عن طريق تقليل جيش العمال أكثر مما تكسب عن طريق زيادته. فالقادة، الرأسماليون، يتنافسون لمعرفة من يستطيع أن يسرّح أكبر عدد من جنود الصناعة. صحيح أن الاقتصاديين يزعمون أن العمال الذين تجعلهم الآلات في عداد الفائضين، يجدون عملا في فروع صناعية جديدة، ولكنهم لا يجروون على التأكيد مباشرة أن هؤلاء العمال الذين سُرّحوهم يجدون عملا في فروع عمل جديد. فالوقائع تصرخ عاليا ضد هذا الكذب. وحقا نقول أنهم يؤكدون فقط أنه ستتوافر وسائل شغل جديدة لأقسام أخرى من الطبقة العاملة، مثل، لقسم الأجيال الفتية من العمال، الذين كان على وشك أن يدخل في الفرع الصناعي المتلاشي. وذلك، طبع، عزاء كبير، كما يزعم، للعمال المقذوف بهم إلى الشارع. فلن يعدم السادة الرأسماليون لحما ودما طازجين للاستثمار، و"دع الموتى يدفنون موتاهم". ذلك حقا عزاء يعزّي البرجوازيين أنفسهم به أكثر مما هو عزاء للعمال. فلو قضت الآلات على كل طبقة الأجراء، فأية كارثة رهيبة تحل بالرأسمال، إذ أنه، بدون عمل مأجور، يكف عن أن يكون رأسمالا!

ولكن، لنفترض أن العمال الذين طردتهم الآلات مباشرة من العمل، وكل قسم الجيل الجديد الذي كان على وشك أن يدخل هذا الفرع من العمل، يجدون عملا جديدا. فهل يُظن أنهم سينقاضون عن هذا العمل الجديد الأجرة نفسها التي كانوا يتقاضونها عن العمل الذي فقده؟ إن هذا الظن ليناقض كل القوانين الاقتصادية. ولقد رأينا كيف أن الصناعة العصرية تسعى دائما إلى الاستعاضة عن العمل المعقد، الأعلى، بعمل أبسط، أدنى. فكيف تستطيع إذن فئة من العمال قذفت بها الآلات خارج فرع صناعي معين، إن تجد ملجأ لها في فرع صناعي آخر إلا إذا دُفع لها أجر أقل، أسوأ؟ لقد استشهد على سبيل الاستثناء بالعمال الذين يشتغلون في صنع الآلات بالذات. وقيل: طالما أن الصناعة تتطلب وتستهلك مزيدا من الآلات، فلا بد للآلات بالضرورة أن تزداد عددها، وأن يزداد بالتالي صنع الآلات، وكذلك إذن عدد العمال العاملين في صنع الآلات، والعمال العاملون في هذا الفرع الصناعي هم عمال أخصائيون، وحتى متعلمون. ولكن هذا القول الذي كان قبل عام ١٨٤٠ نصف صحيح فقط، قد فقد مذ ذاك كل قيمة، إذ أن الآلات قد استخدمت، بصورة أعم فأعم، في صنع الآلات كما في إنتاج الخيطان القطنية، وأن العمال العاملين في مصانع الآلات لم يبق بوسعهم أن يضطلعوا، بجانب الآلات المتقنة الراقية، إلا بدور آلات بدائية للغاية.

ولكن، ألا يشغل المصنع، بدلا عن الرجل الذي طردته الآلة، ربما ثلاثة أطفال وامرأة واحدة! والحال، ألم يكن من الواجب أن تكفي أجرة الرجل لإعاشة ثلاثة أطفال والزوجة؟ ألم يكن يجب أن يكفي الحد الأدنى من الأجرة لإعالة الجنس وتناسله؟ فما تعني إذن هذه الطريقة في التعبير التي يحبها البرجوازيون؟ إنها لا تعني غير الأمر التالي: إن أربع حياتات عمالية، بدلا عن حياة عمالية واحدة، تقني الآن لكي تعيل أسرة عمالية واحدة.

لنوجز: بقدر ما ينمو الرأسمال المنتج، بقدر ما يتسع تقسيم العمل واستخدام الآلات. وبقدر ما يتسع تقسيم العمل واستخدام الآلات، بقدر ما تنتشر المزاحمة بين العمال، وبقدر ما تهبط أجورهم. ونضيف أيضا أن الطبقة العاملة إنما تنضم إلى صفوفها جماعات من فئات أعلى في المجتمع، جماعات من صغار الصناعيين وصغار أصحاب الريع، ممن ليس عندهم مخرج آخر إلا رفع أيديهم إلى جانب أيدي العمال. وهكذا فإن غابات الأيدي التي ترفع طلبا للعمل تتكاثر أكثر بينما الأيدي ذاتها تزداد نحولا وهزالا.

وبديهي تماما أن الصناعي الصغير لا يستطيع الصمود في حرب من شروطها الأولى الإنتاج على نطاق يتعاطم على الدوام، أي أن يكون الصناعي بالضبط صناعيا ضخما لا صناعيا صغيرا. وليس ثمة حاجة إلى مزيد من الشرح إن فائدة الرأسمال تتخفف بقدر ما ينمو الرأسمال، بقدر ما يزداد حجمه وعدده، وأنه لا يبقى بالتالي في وسع صاحب الريع الصغير أن يعيش من ريعه، فيضطر للجوء إلى الصناعة، أي أنه ينضم إلى صفوف صغار الصناعيين، وعلى هذا النحو، يزيد عدد المرشحين للانتقال إلى صفوف البروليتاريا. وأخير، بقدر ما تكرر حركة التطور الموصوفة أعلاه الرأسماليين على استثمار وسائل الإنتاج الجبارة القائمة واستغلالها على نطاق متسع أبداً، وعلى تحريك جميع نوايا التسليف من أجل تحقيق هذا الغرض، بقدر ما تزداد الزلازل الصناعية التي لا يحافظ العالم التجاري على نفسه فيها إلا إذا ضحى على مذبح شياطين الجحيم بقسم من الثروة ومن المنتجات وحتى من القوى المنتجة – أي بقدر ما تزداد الأزمات. وهذه الأزمات تتقارب أكثر فأكثر وتشتد عنف، لأن السوق العالمية ما تنفك تضيق بقدر ما ينمو مقدار المنتجات وتنمو بالتالي الحاجة إلى أسواق موسعة، ولأن الأسواق الجديدة التي يمكن استثمارها تقلّ يوماً بعد يوم، إذ أن كل أزمة سابقة تفتح أمام التجارة العالمية أسواقاً جديدة أو أسواقاً لم تستثمرها التجارة حتى ذلك إلا بصورة سطحية.

ولكن الرأسمال لا يعيش من العمل وحسب. فهو كالسيد البربري من مالكي الأرقاء يجتذب إلى قبره جثث أرقائه، وهم جماهير العمال الذين يهلكون خلال الأزمات. وهكذا نرى أنه، حين ينمو الرأسمال بسرعة، تنمو المزاحمة بين العمال بصورة أسرع بما لا حد له، أي أنه بقدر ما يسرع الرأسمال في نموه، بقدر ما تتخفف بمقادير أكبر نسبياً أبواب الرزق، وسائل معيشة الطبقة العاملة؛ ومع ذلك فإن نمو الرأسمال بسرعة هو الشرط الأنسب للعمل المأجور.

العمل المأجور ورأس المال

* كتبه ماركس على أساس المحاضرات التي ألقاها من ١٤ إلى ٣٠ ديسمبر (كانون الأول) ١٨٤٧
نشر لأول مرة في جريدة "Neue Rheinische Zeitung"، الأعداد ٢٦٤-٢٦٧ و ٢٦٩ و ٥-٨ و ١١
أبريل (نيسان) ١٨٤٩ وكراس خاص مع مقدمة بقلم فريدريك انجلس وبتحريره، في برلين عام ١٨٩١



منصور حكمت

بديل الشيوعية العمالية

حوار اذاعة انترناسيونال مع منصور حكمت *

ترجمة: فارس محمود

جوادي: في هذا القسم من البرنامج، نتحدث مع منصور حكمت ليدر الحزب الشيوعي العمالي الايراني. منصور حكمت، اهلاً وسهلاً بك في البرنامج.

حكمت: شكراً جزيلاً.

جوادي: منصور حكمت، لقد تحدثت امس بخصوص التحولات التي جرت في العام المنصرم عن افق التحولات السياسية للعام المقبل، يبدو ان عام حافل بالتحولات قد انصرم، وامامنا عام حاسم. في العام المنصرم، فشلت حركة 2 من خرداد، والتفتت انظار الجماهير الى الحركة الداعية لاسقاط النظام والى تحرك الاحزاب النشطة في هذه الحركة. الجماهير تبحث عن سبيل حل، والحزب الشيوعي العمالي الايراني قوة جديدة مطروحة في هذه الحركة، لماذا يجب ان يختار احد ما هذا الحزب؟

منصور حكمت: يمثل كل من الاحزاب السياسية اهدافاً ما دون شك، تنشئ تغييرات ما. الحزب الشيوعي العمالي ممثل المساواة، الحرية، العدالة الاجتماعية، مجتمع عصري، مساواة المرأة

بدیل الشيوعية العمالية

بالرجل، الاعتناق من استغلال العمل الماجور وغير ذلك. ينبغي ان تختار الجماهير الحزب الشيوعي العمالي الايراني لانه السبيل الوحيد الموجود برابي من اجل الحرية السياسية و حياة اجتماعية وانسانية، ومن اجل الرقي الثقافي في ايران. بوسع الجماهير ان تضع احزاب سياسية اخرى في عمود وتكتب مطالبها في ذلك العمود وتقيس مطالب وسياست الحزب الشيوعي العمالي، لتري لماذا يجب عليها اختيار الحزب الشيوعي العمالي الايراني. هل ان رجل دين معتدل يفترض انه، بدل من ان تنفذ 18 مرة عملية الرجم، سيقدر الى تخفيضها الى (6) مرات. هل هذه امنية ينبغي على جماهير ايران ان تتطلع اليها؟ او ان تضع النساء الحجاب وسط الشعر، اي ان تسحبهن للخلف قليلاً؟! ام تلك المطالب الى على جماهير ايران ان تمضي اليها لبناء مجتمع حر ومتساو يكون انموذجاً للعالم المعاصر؟ ان هذا الاختيار، توفر لجماهير ايران لأول مرة الان بعد سنوات (وقصده وجود الحزب-م)، وبوسعها تغيير النظام السياسي-الاجتماعي، وينبغي برابي اتخاذ قرارات كبيرة. ان الحزب الشيوعي العمالي الايراني هو ممثل هذا التغيير الاساسي في المجتمع.

ماجدي: تحدثت عن "رجل دين يخفض حالات الرجم الى 6 مرات والحجاب و.."، اعتقد لنذهب نحو الميادين المختلفة. يعني اي امرء ذا صلة معينة بامر ما وفي ميدان معين من الحقوق المدنية والاقتصادية بوسعه ان يجد مايريد. اول سؤال يطرح هو ان الجماهير تنشُد الرفاه الاقتصادي، حياة مرفهة وسعيدة، ماذا يقول الحزب الشيوعي العمالي الايراني، وماهو برنامج بهذا الخصوص؟

منصور حكمت: ان الدعوى اساساً بين معسكرين اساسيين في المجتمع. معسكر يؤمن بان الانسان ياتي للعالم للعمل لكائن اسمة الرأس، و بحد يسد رمقه لصباح يوم غد، يمضي للسوق ليستلم راتبه ويذهب لامرار معيشته، ومعسكر يقول ان الناس متساوين، الافراد احرار، متساوين، وعلى المجتمع ان يستفاد من كل شخص بقدر استعداده، وان يضع امام كل شخص ما يحتاج. مجتمع لا يكون الانسان فيه سلعة، لا يأخذوا قوة عمله ليبيعوها في السوق. ولانه مواطن، ولانه اتي للعالم، لديه حقوق من الناحية الاقتصادية، ينبغي تأمينها، من الغذاء، العيش، المسكن، وغير ذلك وصولاً للحاجات السياسية والثقافية، حاجات التربية والتعليم، الصحة، الطب وغيره. نظام يعتبر هذه حقوق الجماهير. وعليه، الصراع بين قطبين اساسيين: الراسمال والاشتراكية. في معسكر الراسمالية، هناك ممثلين مختلفين. احدهم يريد رمي السوق الحر بكل قباحتها على الناس، واخر يقول على سبيل المثال، ناخذ قسم من الصحة من ايدي السوق ونضعه كجزء من مهمات الدولة.

وعليه، من الناحية الاقتصادية، يطرح الحزب الشيوعي العمالي نظاماً، ويسعى من اجل ارساء نظام يشارك فيه الناس بوصفهم مواطنين احرار، وينبغي ان ينالوا من حصيلة المجتمع بقدر حاجاتهم. ان هذا هو الاساس العام للشيوعية. برنامج اقتصادي قصير المدى ومحدد على سبيل المثال لهذا العام او العام المقبل. بوسعنا الحديث عن جزئياته اذا اردنا، بيد ان هذا هو الاطار العام الذي ينبغي على اي امرء ان يضعه بباليه. نظامان احدهما يستند الى استغلال الفرد من قبل الراسمال، والاخر يستند الى التعاون الحر للبشر لبناء المجتمع. ان كلا النظامين مختلفين. نؤمن بان احدهما يجلب الفقر والمصائب مثلما يقوم به لحد الان، والاخر يجلب الرفاه والحرية.

جوادى: رداً على نقطتك هذه، يطرح عادة ان هذه التغييرات منشودة، تغييرات نموذجية، لكن غير ممكنة، لايسمحوا بذلك، لايدعوا ذلك، ليست عملية.....

حكمت: ان هذا الكلام ليس عجبياً وغريباً دون شك. اعتقد ان اول عبد قال: اخي يجب ان تلغى العبودية، من المؤكد ان مئة شخص ردوا عليه: "اخونا، ماذا تقول؟! ان هذا كلام جميل ولكن ليس عملياً!" او ذلك الرعية الذي قال: "لا اريد ان اكون رعية لاقطاعي"، رُدَّ عليه: "سيعصفوا براسك ان قلت هذا، انه حلم وخيال وغير ذلك". عاش الناس الفين او ثلاثة الاف عام في ذلك النظام العبودي، وبعدها رات انه يمكن تغييره. الاشتراكية امر عملي منذ زمن. ان يجلس الافراد ويقرروا ماذا عليهم ان ينتجوا، وكيف عليهم توزيعه، لا يعمل احد عن احد، بل يعمل الجميع للجميع وللجميع، ان لأثرهن معيشة احد، اي عليك ان تجد عمل، تضحي كي يسمح لان يكون لك مسكن او اطعام طفلك. ان هذا امر عملي وليس فيه شيء غريب. ان قال امرء ما ان هذا لايمكن تحقيقه، اقول له ان هذه دعاية. "لايمكن تحقيق هذا" هو جزء من مسار الحيلولة دون حدوث هذا التحول. ان المرء الذي يقول ان هذا لايمكن تحقيقه، هو، برائي، انسان حلَّ من المعسكر المقابل ليقوم بدعايات سلبية، جاء ليقوم بحرب نفسية. لماذا ليس عملياً؟ امور كثيرة جداً اخرى يمكن تحقيقها، لماذا هذه غير عملية؟ ان الوضع الانتاجي، ونعني للمجتمع الراهن، بشكل يمكن معه تماماً تنظيم المجتمع الاشتراكي، تحقيقه، اعداد الخطة والبرنامج له. ليس ثمة حاجة لقوى عمياء باسم السوق وعوامل مثل الفقر والحاجة ان تصوغ المصير الاقتصادي للمجتمع. انه بوسع القرار الواعي لاناس يشعرون بالحبور والغبطة ومتساوين ان يتخذوا هذا القرار.

ماجدي: ثمة سؤال يطرح في كل مكان: كيف بوسعك فعلاً تامين الاشتراكية وهذا الرفاه الذي نتحدث عنه بصورة واقعية: مسكن للجميع، الصحة المجانية، التربية والتعليم المجاني، وان على كل امرء ان يذهب بطواعية وحرية للعمل؟ ان هذا لايتناغم مع وضعية المجتمع وطبيعة الانسان. ماذا تقول عن ذلك؟

حكمت: ان بحث طبيعة الانسان هو امر يبعث على الاستهزاء برائي. ان اخلاقيات الانسان، معاييرها، ضوابطه وقيمه تابعة للمرحلة الزمانية والتاريخية التي يعيش فيها. ان الكثير من قيم ما قبل الفين عام لايمكن تصديقها الان، تصديق ان الانسان كان يفكر بهذا الشكل. ولهذا فان الكثير من الاحكام البديهية والقيم التي نعتقد اليوم انها بديهيات، وان الانسان هو بصورة عامة كذلك، سيقول الناس عنها بعد مئة عام اية افكار بدائية كان يحملها الناس في القرن الحادي والعشرين. وعليه، ينبغي ان نضع جانباً موضوعة القيم. ماذا يكون عليه البحث من الزاوية العملية كي يتحقق المجتمع هذا. ان عوائق اقامة مثل هذا المجتمع هي حزمتين اساسيتين: احدهما العوائق السياسية، اي ان الطبقة الحاكمة ليس لها مصلحة في خلق تغيير هذا النظام، وتبغي بصورة جلية ان تحول دون ذلك بطرق سياسية. دور الحكومات، الكنيسة، مؤسسة الدين، الجرائد ووسائل اعلام الطبقة الحاكمة التي تسعى بصورة سياسية لتحول دون نجاح القوى التي تريد ارساء مجتمع حر ومتساوي، مجتمع اشتراكي. من التعذيب والسجون والاعدامات واطلاق الرصاص وصولاً الى الدعايات اليومية لوسائل الاعلام هي جزء من سعي واعى للطبقة الحاكمة لصيانة نظامها. من الواضح انك اذا اتيت وقلت: اخي العزيز، ليس من الضروري ان تكون وسائل الانتاج ملك شخص، اي بالوسع ان تكون ملك المجتمع، بالوسع ان تكون من ممتلكات المجتمع وينظم المجتمع الانتاج من خلالها، ماهي ضرورة ان تكون بيد الحاج الفلاني او بيد ذلك الراسمالي، وانا اعمل لديه كي يمنحني راتبتي، ولكنه يأخذ البضائع ليبيعها لنفسه. بوسع المجتمع ان لاينظر الى منتجاته بعين بضاعة. من الواضح عندها ستنتاب مشاعر الحاج عدم الارتياح، وسيعم عدم الارتياح اتحاد الراسماليين، وان دور الدولة في المجتمع الراسمالي هو بالاساس ان تتصدى للطبقة العاملة والحركة الداعية للمساواة والعدالة الاجتماعية ولاتسمح لها

بدیل الشيوعية العمالية

بالظفر. عبر الحملة على احزابها، عبر خنق حرية التعبير، عبر خلق اجواء القمع والاستبداد، عبر الدعايات المحرفة من الصباح حتى المساء. اجلس يوماً امام التلفاز ووسائل الاعلام الغربية، ستدرك اي خزعات يضخوها للجماهير والاجيال اللاحقة على انها الحقيقة، وعبر هذا السبيل يصونون نظامهم.

وعليه، فان العائق الاول الذي ينبغي ان نزيله هو العائق السياسي. ينبغي انتزاع السلطة. اولاً، ينبغي على الطبقات التي هي ذات مصلحة في ارساء مثل هكذا مجتمع حر، واسباساً الطبقة العاملة واولئك الذي يشاطروها افقها ان تنتزع السلطة، ان تنتزعها من الحكومة البرجوازية، من حكومة الراسمال. وبعدها نبلغ المسائل الاقتصادية. هل من الناحية الفنية، من الناحية الانتاجية، التكنولوجيا، من ناحية منظومة الحمل والنقل، من ناحية قدرة البرمجة، يمكن تنظيم مجتمع ياتي الناس فيه عبر طريق ما بوصفهم مستهلكين ليقولوا ماذا هم بحاجة اليه، ومن باب اخر يذهبون، بوصفهم منتجين، لانتاج تلك القائمة من الاشياء التي يحتاجوها؟ ان هذا عملي جداً من الناحية الاقتصادية.

برايي، ان صعوبة الشيوعية اليوم والاشتراكية اليوم لا يكمن في بعدها الاقتصادي، ولا في بعد تنظيم الاقتصاد الاشتراكي، بل بالبعد السياسي. هل يمكن تحقيق هذا النصر السياسي؟ على النقيض من مئة عام قبل. برايي، قبل مئة عام، ان الشيوعي الذي بوسعه انتزاع السلطة في بلد مثل روسيا كان يواجه بحقيقة انه يعد امراً صعباً من الناحية الاقتصادية ان ينظم المجتمع مثل هذا الاقتصاد، اقتصاد الحرية والمساواة. بيد ان عصرنا هو عصر اخر. لقد تنامت القدرة الانتاجية للبشرية اليوم بصورة لامثيل لها. وتطورت صلة الارتباط والمعلومات بين البشر الى حد كبير. اي بوسعك اليوم ان تسال جميع الناس رايها. من الناحية الفنية، يعد امراً عملياً، بوسع الجميع ان يراجع مكان ما، يكتبون سطرين في الكمبيوتر، تذهب كلها لمكان ما يصبح معلوماً ماذا يريد الجميع، حجم حذاء مواطن ما، كم بنطال يحتاج، هل يحتاج الى تلفاز ام لا، هل يحتاج الى فواكه، حذاء رياضي و... ماذا يريد؟ بوسع كل امرء ان يبلغ المجتمع حاجياته. ليس ثمة ضرورة لوجود سوق يضع المرء نقود في جيبه وبعدها يذهب الى السوق ليرى هل تكفي بنطالين ام لا؟ بوسع الناس ان يقولوا ماذا يريدون، تقول المدارس ماذا تريد، وبوسع المؤسسات ان تقول ماذا تريد وبعدها نبلغ قائمة من السلع المطلوبة، نبلغ قائمة من المنتجات التي على المجتمع انتاجها او توفيرها. من ذاك الطرف، يقف الناس بوصفهم منتجي هذه القائمة وينظموا الانتاج الاجتماعي بهذا الشكل.

ان كان يبدو عجباً وغريباً، فان ذلك يعود الى اننا اعتدنا هذا النظام القائم. تعودنا ان الدولة موجودة، تعودنا ان امر وناهي من فوقنا، اعتدنا ان راسمال موجود، وانه لامر مثير حين تفكر بهذا. اذا اراد معاون وزير زيادة معاشه، لن ينطق الوزير بكلمة، سيوجه الغاز المسيل للدموع على غرفة معاونه. ولكن حين يقول العامل "اخي، اعطينا اجرنا، اعطينا اجرنا الذي لم تدفعه من العام المنصرم"، يشنون حملة على المجتمع، لانه يطلب ان يحترم صاحب القرار والاتفاق اتفاهه، يشنون الهجوم عليه. تقول "انا عامل لم تمنحني اجوري منذ سنة"، يشنون حملة عليك. ولشدة مايمسك هذا العنف، وهذه الضغوطات، وهذه التحريفات البرجوازية ووسائل الاعلام والدين وغيره بخناق المجتمع القائم، يجعلنا لانصدق ان من الممكن العيش بطريقة اخرى. انه ليس امراً صعباً. اذا تخلصت من شر هذه الامور، بوسعنا ان نعيش بصورة اخرى تماماً. ان عائلة امننت معاشها ويجلب من السوق لبيته شيئاً ليستهلكه، عندها علاقة الاجر بين افراده غير موجودة. نعرف انه بوسع عدة ان يعيشوا مع بعض ويستهلكوا مع بعض ذلك الشيء الذي يحصلوا عليه. في المجتمع القائم، ما ان تخرج من العائلة،

عليك ان تعمل لدى احد ما. اذا تفنقت المال، ليس من حقك ان تعيش، لا يحق لك ان تشتري، لا يحق لك ان تستهلك. ان الاشياء التي هي حقك ينبغي ان تذهب لتحصل على اذن باستهلاكها عبر العمل لدى احد، الذي هو يعطيك امراً محدداً من القدرة الشرائية بوصفه اجر كي تذهب لتشتري، اذا استطعت.

ان هذا نظام طبقي، اعتدنا عليه هكذا. اذا استطعنا من الناحية السياسية تحطيم هذه المقاومة، ان كنا احراراً لاتخاذ القرار في المجتمع، عندها لن يكون برائي اقامة مجتمع اشتراكي امراً صعباً كثيراً. يمكن تمحيص جوانب اخرى منه من مثل هل بوسع نظام اشتراكي ان يستمر في عالم راسمالي او ماذا يحل بالتجارة الدولية وغير ذلك. ولكن يمكن حل هذه الامور. برائي لازالت المشكلة في البعد السياسي والايدولوجي. هل بوسعنا تحطيم المقاومة الكبيرة للطبقة الحاكمة، نستولي على السلطة ونرسي مجتمع حر ونستلم زمام امورنا بايدينا ام لا.

جوادي: سؤالي هو ليس ثمة اي انسان عاقل يرفض صحة هذه المطالب، مجتمع مرفه مقابل مجتمع يعمه دمار وفقر و... المسألة المطروحة هنا: كيف ووفق اي عملية بوسع الجماهير ان تختار، تختار هذا البديل، الصلة بين بدائل السيء والاسوأ الموجودة عادة في المجتمع او تطرح له؟

حكمت: اولاً، المسألة ليست بالشكل التالي: اي ان كل الجماهير تختار هذا. اذا اخذنا جميع افراد المجتمع بنظر الاعتبار، ليس لاجليتها مصلحة في الوضع الراهن. ليس بوسعك ان تكون قائد حملة عسكرية مهمتها ان تلجم العمال في اطار العمل وان تلزم المتقف الصمت وتحول دون كتابة مقالة او حديث احد، تقمع الاحزاب وتكون لديك مصلحة في نظام عقلاني يكون فيه الناس احراراً. ان هذا الطرف يسعى لتأمين امتيازاته عبر هذا السبيل. وعليه، فان قسماً من المجتمع، اقلية، ذا مصلحة في النظام الموجود وتقاوم كي لا تفقد امتيازاتها، اذا تغيرت. ولكن كيف تختار الجماهير؟ برائي ان سبيل هذا هو ليس المضي مثل دين، مثل فنة دينية تطرق ببيوت الناس باب باب وتبشرهم بالمجتمع الجديد. انه مسار سياسي. تضع احزاب طليعية اقدامها في الميدان، تعلن برنامجها، تجمع حاداً ادنى من القوى حولها بحيث تنتصر في هذا النضال السياسي، ترببهم بعد ذلك في هذا المسار الجماهيري الهائل بمثل هذا الافق وامكانية تحقيقه. اذا يعتقد احد ما ان الشيوعية دين، تسعى لارشاد الناس ووعظهم وليس له ربط بمكان ما، فان المرء لا يتخلى عن حياته الراهنة بهدى ذلك الارشاد ويعتكف في صومعة اشتراكية. ينبغي ان تكون الشيوعية حركة سياسية حية يراها الناس. ان بوسع هذه القوة ان تنتصر. بوسعها على سبيل المثال ان تتغلب في ايران على الحركة الاسلامية، ان تتغلب على اليمين الموالي للغرب، الملكيين، المحافظين القومييين، والذين نرى اية مجتمعات اقاموا. بوسعها ان تقيم علاقات مع امريكا والغرب بحيث تتمكن من صيانة بقائها، بوسعها ادارة المجتمع، بوسعها ان تتصدى للطبقة الحاكمة على نطاق واسع. اذا رأت الجماهير ذلك، عندها سيقول حتى اكثر من هم عديمي الايمان بها، لنجرب هذا النظام. اذا كان من المقرر ان نرشد، و فقط ان نرشد، فان هذا ليس بجواب برائي. ينبغي ان نؤسس حزب سياسي، وينبغي ان نشارك في صراع السلطة. ان مفتاح هذا الامر برائي هو الشيوعية بوصفها حزب سياسي حي تبدوا على ملامحه امكانية الانتصار، وان اول ذلك هو ان يطرح نفسه. ان جرى ذلك، سيحل عندها بدل الكثير من اللاقاعة، الترحيب والانضمام والانخراط في هذه العملية برائي.

ماجدي: لنتناول الان مسألة الحرية، الحقوق المدنية والحقوق الانسانية. ماذا تقول الشيوعية

بدل الشيوعية العمالية

العمالية بهذا الخصوص، ولماذا ينبغي على الجماهير ان تختارها-الشيوعية العمالية-؟

حكمت: برايي ثمة سؤال بسيط على كل امرء يفكر بطرح مقولة الحرية والتحرر امام نفسه وان يجد جواب لذلك، وهو لماذا القمع والاستبداد موجود اساساً؟ لماذا ان جمع ما لهم مصلحة في ان لا تكون هناك احزاب سياسية، ان لاتصدر جرائد، ان لايسمح لاحد ان يقول مايبود ان يقوله، ولماذا يتم التصدي لحرية التعبير اساساً؟ ماهي المشكلة، واين تكمن؟ ثمة جواب بسيط حول الامور التي تحدثنا عنها. ثمة جمع ليست له مصلحة، من الناحية الاقتصادية، في الحرية. ان كانت هناك حرية ان ينتظم العمال، ان تؤسس احزاب يسارية، ان تطرح افكار جديدة، وتنتقد الناس الخرافات وغير ذلك، ستضعف اسس سلطة وحكم الراسمالية وطبقية اقلية في المجتمع. وعليه، فان القمع لايعود الى سوء اخلاق ديكتاتور ما، وانما يعود الى حاجة الراسمال والراسمالية والريخ. لقد وجد اول سؤال جوابه هنا. ولكن اي تيار اجتماعي، واية قوة طبقية بوسعها ان تجلب الحرية؟ ان تلك القوى التي بوسعها ان تجلب الحرية هي التي يكون مجتمعها لايسند الى الريخ والاستغلال واستغلال الاخرين. ليس لها مصلحة في اخراس الاخرين. ليس لها مصلحة في الحيلولة دون الاراء الحرة للجماهير والافكار الجديدة وغيرها.

عندها نبليغ ونصل الشيوعيين والاشتراكيين والطبقة العاملة، الشيوعية مجتمع ينشد عدم استغلال احد لآخر، وان لا يكون لاحد يد طولى على اخر، في مجتمع مثل هذا، ليس من المقرر ان يوجد العامل مجتمع استغلالي جديد بدل للذي قبله، من المقرر ايجاد مجتمع ليس فيه استغلال، ليس لشخص مصلحة في استغلال الاخرين لانه ليس بوسعها ان يكون مالكا لشيء الذي هو راسماليه. كل الراسمال هو ملك مجتمع مواطنيه احرار. وعليه، فان الشيوعية والاشتراكية ذات مصلحة بصورة حقيقية في حرية التعبير، في حرية الاحزاب، في ان يقول الافراد مايبودون قوله. وذلك لانه ليس من المقرر ان تكون الحيلولة دون حديث الجماهير اساس السلطة او اساس بقاء النظام الاقتصادي.

ان هذا اول سؤال. ان جاء امرء على سبيل المثال ليقول "انا ممثل الراسمال الصناعي او امثل الراسمال الغربي او نحن تجار السوق، اننا مناصري حرية الراي والتعبير"، ان السؤال الذي اوجهه له اذا كانت صادقاً فيما تقول اولاً لماذا لم يطرح مجتمعك لحد الان مثل هذا الشكل من المجتمع، بالاحص في ايران. ثانياً، اذا كنت نصير حرية التعبير وتحديث القائد العمالي الفلاني غداً عن اننا نريد حقوقنا، ننفذ ايادينا من العمل، نضرب، نؤسس نقابة، نؤسس مجلس، هل ان قصدك هو ان تتركهم يعبرون عن رايبهم، ان يحشدوا قواهم، يوحدوا العمال ويحصلوا على اجورهم؟ الاتعتقد، بعد ذلك، انه سيجمع اصحاب المعامل ليتصلوا بامريكا، يهرعون للجيش ليقوم بانقلاب على من تفوه بهذا الكلام؟ طالما الراسمال موجود فالحرية في خطر. طالما الراسمال موجود، بوسعهم، متى شاءوا، ان ينقضوا حرية التعبير. لقد راينا مراراً حكومات شبه ليبرالية وشبه ديمقراطية في بلدان في الحكم لسنتين، ما ان تصاعدت الاضرابات وما ان نمى زغب الحركة الطلابية واتسع نطاق توزيع الجرائد، قام جنرال، جيش، امرء ما بانقلاب اعاد الامور للوضع السابق وذلك لان الراسمال لن ينفق ويغدق الاموال عليه. في مكان مثل اوربا الغربية، حيث يوجد نوع من الديمقراطية وذلك لان العالم قد تم تقسيمه، طرف يكشف عن استبداده وديكتاتوريته في بلدان العالم الثالث ويوفر، عبر ذلك، درجة من الدعم السياسي والثقافي لمجتمعهم. اذا قرر للاقتصاد هناك ان يغط في تلك الضائقة، فان اياديبهم ليست قصيرة في القمع كذلك. اضرابات مناجم بريطانيا على سبيل المثال هو نموذج لذلك. اذ اوقف امرء ما، يبغى ان يمضي ستمئة كيلومتر صوب تلك الجهة من مدينته لينظم الى اضراب عمال

المناجم، في بيته دون اي مبرر. وضعت الماكينة الدعائية الحكومية لتنفيذ الحملات القذرة والسموم بحق عمال المناجم وقادتهم. وعليه، الاستبداد جزء من نظام الرأسمالية وان النقطة المقابلة لها هي الحرية والحقوق المدنية هما شرط تحقيق مجتمع حر واشتراكي.

قد يجادلونا بالقول: حسناً، ان هذا لم يتحقق في نظام الاتحاد السوفيتي والصين. برابي، على مستمعكم ان يعلموا ان هذه لم تكن انظمة شيوعية. بدء المجتمع السوفيتي بثورة عمالية، ولكن وقعت حكومة هذه الثورة خلال 10 اعوام عملياً بيد القوى القومية التي تريد مرة اخرى ارساء شكل اقتصادي جديد للرأسمالية يستند الى العمل الماجور. لم تكن الصين في اي وقت من الاوقات اشتراكية. كانت الماركسية والشيوعية أنذ راية يمكن جمع العمال والكادحين حولها من اجل اهداف سياسية. وحملت الكثير من الحركات التي كانت، في المطاف الاخير، غير شيوعية من حيث ماهيتها، هذه الارية. مثلما هو الان كذلك، حيث الديمقراطية هي الموضة، يطلق الكثيرون على انفسهم صفة ديمقراطيين حتى الفاشيون كذلك يطلقون على انفسهم ديمقراطيين. في ذلك الحين، كانت الشيوعية، اواسط القرن العشرين، ذا اعتبار بحد كان تطلق الحركات القومية، الحركات الداعية الى تاسيس البلدان، الحركات القومية، الحركات الموالية لدولة الاقتصاد على نفسها اشتراكية وقامت بعملها ومضت نحو اهدافها تحت هذا الاسم. ولهذا ينبغي ان لانكتب هذا على جبين الشيوعية.

ان المجتمع الاشتراكي الذي نتحدث عنه هو مجتمع منفتح وحر بوسع المرء ان يقول مايشاء. في المطاف الاخير، ان حق التعبير عن الراي هو حق كل انسان اتى للعالم، وبوسعه ان يقول مايشاء. ليس من حق احد ان يحول دون ذلك. ان هذا امراً مسلماً به عندنا، ونعتقد ان المجتمع الاشتراكي هو من يحققه. واعتقد ان التيار الوحيد في الساحة السياسية لايران من يدافع عن مثل هذه الحرية غير المقيدة والمشروطة وان لاتكون هناك اي شروط على الافكار والتعبير عنها هو الحزب الشيوعي العمالي. انصت لما تقوله الاحزاب السياسية، ستسمع فوراً شروطهم: على شرط ان لاتمس المقدسات القومية، ان لاتتناول على المقدسات الوطنية، ان لاتدوس على المقدسات الدينية، ان تتلائم مع ثقافتنا، ان لاتخرق التقاليد القومية والاعراف والتقاليد، ان لانعرض الدولة لعدم الاستقرار. ويعلنون اوضاع طواريء بمجرد الاحساس، ولو ذرة، ان مكانتهم في وضع خطر. حتى ان نفس الناس الذين يوعدون بالارتقاء والانفتاح السياسي، سيعلمون اوضاع طواريء ويقوموا بانقلاب. ان الجناح الاصلاحى للحكومة، الذي هو مهزلة اساساً، لا يبعد بحرية الراي، ناهيك عن تحقيقه. انهم يريدون نظام اسلامي استبدادي تنظف ايديه الدموية بالمناديل الورقية بين فترة واخرى. ان هذا مايريدوه.

جوادي: اعود لجانب اخر من القضية. فيما يخص صف المعارضة، نرى سبل حل معينة. هناك بحث حقوق الانسان، وانه نحن دعاة وانصار اعلان حقوق الانسان، وجعلوا هذا رايتهم. ماهي الاختلافات المطالبية التي للحزب الشيوعي العمالي بهذا الصدد وتشابهه مع اعلان حقوق الانسان.

حكمت: ان اساس اعلان حقوق الانسان هو الاقرار بالملكية ويدافع عن حق الملكية لوسائل الانتاج. انه لمسلمة لديه ان المجتمع يستند الى السوق، وان المجتمع راسمالي. حين تقرأ اعلان حقوق الانسان، تراه يتحدث عن الحقوق المدنية في مجتمع راسمالي. ان بحثي هو انه طبقاً لذلك ستبقى الحقوق المدنية على الورق. بالنسبة لـ90% من سكان العالم لم يتحقق حتى شكل شبه ملموس له. اذ تبين عشرة بلدان في اوربا الغربية عن درجة من ديمقراطية وتحمل هيئتها الحاكمة، فيما يزرع 90% من سكان العالم في ظل حكومات استبدادية ويعيش الاقتصاد الراسمالي العالمي اجمالاً

بدیل الشيوعية العمالية

عبر هذا السبيل. يتمثل بحثنا بان ما يعد به اعلان حقوق الانسان هو زاوية صغيرة، ظل من تلك الحريات الواسعة التي تؤمنها الاشتراكية.

ان السؤال المطروح هو، مثلما ذكرت، ليس حول كم وبأي شيء يعد. ان السؤال اليوم هو: ارتباطاً بالمكانة الاجتماعية والمكانة الاقتصادية لحركته، من بوسعه تحقيق ذلك؟ اني لاقبل وعداً من امرء بمنح الحرية ممن يريد ان يعطيني اجراً كي اعمل عنده. وذلك لانه اذا اردت اجراً أعلى، سيكون مجبراً على قمعي. ان هذه ببساطة هي الصيغة التي تقف خلف الموضوع. كلما اراد العمال زيادة اجورهم بحد ما، مما يعني اجبار الطرف الآخر على خفض ارباحه، يجدون سبباً للوقوف بوجه هذا الاضراب والحيلولة دون التنظيم. ولا يقتصر الامر عند هذا الحد. اذا اراد العمال ان يتحلوا بالوعي بما ينبغي ان يكون عليه العالم، ان ارادوا استئصال الدين من محيطهم الاجتماعي واجواء عائلتهم، ان كان من المقرر ان تتساوى المرأة بالرجل، ان تكون هناك حرية نقد المعتقدات البالية والخرافية والتقاليد القومية والدينية، تعرض هذه الامور كلها استقرار الطبقة الحاكمة للخطر، ويبين هذا عن نفسه بتخفيض الارباح. اذا رفعت هذه القيود من الافراد وازلتها من كواهلهم، لن يعملوا لاحد مجاناً.

وعليه، يُقَمع الابداع والتقدم الفكري جميعها بدرجات. كما تقمَع ايضاً في البلدان الراسمالية المتقدمة. لاتظن انه فقط في ايران يحولون دون انتقاد الدين على سبيل المثال، فاذا كانت معلم وتحدثت مرتين ضد عيسى المسيح، ستفقد عملك غداً. المسألة هكذا ببساطة. واذا كنت صحفي وتحدثت في غمرة حرب امريكا على العراق وتقول لماذا اطلاق الصواريخ على بغداد وعلى المدنيين، ستفقد عملك. او ان قلت لماذا في المطاف الاخير لم يقدم احد الى المحكمة الجنائية الدولية اثر القاء القنابل في هيروشيما وناكازاكي. ليس معلوماً اية مصيبة ستحل على هذا المرء في امريكا واوربا الغربية. انها هذه هي المجتمعات التي عندهم.

برايي، ينبغي ان لانقبل بوعد من يتعقب الربح. بوسع امرء ما ان يكون تحريراً في حالة كونه على استعداد لان يكون داعية مساواة على صعيد الاقتصاد. والا فان اللامساواة الاقتصادية تترجم فوراً الى لامساواة سياسية. وبوصفي محتجاً على اللامساواة السياسية، فان لذلك الطرف حكومة، ويقمَع ثمة درجات مختلفة، ولكن الامر كذلك في كل مكان.

ماجدي: تحدثنا عن الرفاه والسعادة والرفاه الاقتصادي والاجتماعي. المقولة المطروحة الاخرى هي المساواة: انتهاء التمييز بين المرأة والرجل، بين الامم والاعراق. ما تقول الشيوعية بهذا الصدد؟

حكمت: اساس الشيوعية هو انتهاء التمييز. اي ان مسلمة كل الفكر الشيوعي هو ان الناس متساوين بغض النظر عن اللون، العرق، الجنس او العمر. الناس متساوون، ينبغي ان يتمتعوا بحقوق متساوية، ولا ان يتمتعوا بحقوق متساوية فحسب، بل ان يكونوا في مكانة متساوية لتحقيق امالهم. قد يكون من حقي وحقك في امريكا ان نكون رؤساء جمهورية، بيد ان 60 مليون هو المال اللازم للدعاية، وهو ما يجعل احد ما قادر على الذهاب لترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية، وان تكون له حظوظ الفوز بالانتخابات. حسناً، اذن من المؤكد ان كل امرء لديه 60 مليون دولار بوسعه ان يرشح نفسه، ولكن لا اعلم كم امرء في امريكا يتمتع بحق ان يكون رئيس جمهورية. لقد ذكرت انه ثمة نماذج كثيرة. لحد هذه اللحظة لم تصبح امرأة رئيس جمهورية، او حتى ليس للملون اي جرة لترشيح

نفسه. ان هذه كلها تتحدث عن حال وواقع ان الناس لا يتمتعون بمكانة متساوية في المجتمع وذلك لانهم يستفادون من الحقوق السياسية واللفظية التي يقال ان الجميع يتمتع بها. ان بحث الحزب الشيوعي العمالي وبحث الشيوعية عموماً هو المساواة -الشكلية والسياسية على السواء، سواء في القوانين و في الاجواء الاجتماعية، ان يكون بشكل بحيث ان يتمتع كل امرء بمكانة اجتماعية متشابهة لتحقيق اماله وامانيه.

جوادي: لقد تحدثنا عن المساواة الاقتصادية، يطرح بهذا الصدد، ان الناس غير متساوين، لا يقومون باعمال متساوية، يتحلون بامكانيات وقابليات متفاوتة، لماذا يكونوا متساويين في الحصول على ماينتج؟

حكمت: لاينالون بشكل متساو. ينالون بشكل متساو يعني ان عليهم ان يحصلوا جميعاً على كيلوغرامين من الرز على سبيل المثال، او ان يحصلوا جميعاً على تلفاز 25 بوصة. ان هذا ليس تصورنا للمساواة.

في الشيوعية، يقصد ان كل انسان يقف في مكانة متشابهة لنيل حاجاته. ونظراً لكون حاجات الانسان ليست واحدة، ولهذا فان ماينالوه من المجتمع لن يكون واحداً. نحن لانعتقد بوجود ان يكون الناس ذا شكل واحد ومتشابه ومتساوي. على العكس، نقول ان اشكال التنوع والتفاوت يجب تحقيقها بصورة متساوية. تريد ان تكون صباغاً، وتحب ان تكون كذلك، ينبغي ان يكون بوسعك ان تكون صباغاً. امرء يود ان يكون طبيباً، ينبغي ان يكون بوسعه ان يكون كذلك. ينبغي ان يكون بوسع الناس تحقيق تنوعهم واختلافهم، وان يكون بوسعهم ان يكونوا هم انفسهم. بالمناسبة ان النظام الراسمالي من يجعل البشر شيء واحد ويمثلهم. يغذي الجميع شكل معين من الطعام، شكل معين من اللبس، يضع حياة معينة من البداية امامنا، سيناريو هاته متشابهة تقريباً. ارتباطاً بقدمك للعالم في عائلة فقيرة او عمالية او غير ذلك، رسم لك مستقبلاً سلفاً، وتسير انت وغيرك، ماعدا استثناءات ما، لتخط الطريق الذي رسم لك. ان الاشتراكية بالعكس على وجه الدقة، لاتريد ان يكون البشر متمثلين وبشكل واحد، بل تنشئ وضعهم في مكانة متساوية ليحققوا ما يعتقدون فيه انه انفسهم، ويرتقوا بقابلياتهم. انه ليس الحديث عن شكل واحد، بل وحدة حقوقهم وتساوي مكانتهم.

ماجدي: ثمة سؤال يطرح كثيراً في الاجتماعات المختلفة للندوات او يرسل الى اذاعة انترناسيونال ومفاده اذا انتزعت الشيوعية العمالية في ايران السلطة، حين تصل السلطة، كيف بوسعها مجابهة حملات الغرب، الدول الغربية وامريكا؟ مسألة اطلاق القنابل والصواريخ والسعي لاطاحة ذلك النظام. لقد راينا ان امريكا والدول الغربية والناتو قد قامت بذلك في اماكن مختلفة. ماهو ردكم على هذا؟

حكمت: ينبغي التمييز ما بين الشيوعية العمالية وبين ذلك الامر المتعارف عليه للييسار الشرقي القديم. من الناحية الثقافية، من وجهة النظر الاجتماعية، من زاوية المثل السياسية ونماذجها، فان الجذور التاريخية للشيوعية العمالية في الغرب، في الاشتراكية العمالية لاوربا. وعليه، اننا نتحدث عن مسار وتيار ثوري واشتراكي غربي ياتي للسلطة في ايران. ان عقائد ماركس، عقائد انجلس، الايديولوجيا الشيوعية لعامل صناعي هي اوربية غربية. انه ليس حديث عن حركة قومية على سبيل المثال صينية ترفع هامتها بوجه الغرب او رفع الحركة الاسلامية لقامتها بوجه الغرب المسيحي. بل يتعلق

بدیل الشیوعية العمالية

الامر برؤية اخرى، جذورها في تاريخ المدنية الغربية، بمعنى ان تهب بوجه الراسمالية. وعليه، فان هذا الشق الذي قد يفكر امرء ما بوجوده لدى الحركة الاسلامية من الناحية الثقافية مع الثقافة السائدة في الغرب، ليس لدى الشيوعيين مثل هذا الشق والفاصلة. قد يكون هناك شيوعيين بدائيين، اناس لا يتحدث عنهم كشيوعيين. بيد ان الشيوعية العمالية حركة معاصرة. ان جذورها في تاريخ المدنية الغربية. جذورها في ظهور العمال الصناعيين والمجتمع الصناعي المعاصر. ولهذا، بمعنى ما، فان الاستفزازات الثقافية ضد مجتمع تسنم الحزب الشيوعي العمالي السلطة فيه هو امر غير عملي. انه مجتمع منفتح، بوسع المواطن الاوربي والامريكي ان يتفهم ذلك تماماً. ليس مطروحا الحديث عن: ان هؤلاء غامضين، لانعرف عن ثقافتهم، وبالتالي يخلقوا منها كائناً خرافياً. بوسع كل من يريد ان يتجول في طهران الاشتراكية، ويرى كيف تعيش الناس، اي موسيقى يسمعون، اي حفلات يقيمون، ماذا يدرسون في المدارس، وماهي علاقاتهم الفردية. ولهذا امرأ صعباً جداً بالنسبة للغرب ان تقدر شيطاناً من المجتمع الاشتراكي في ايران في نظام شيوعي عمالي. اي ان الراي العام في الغرب هو احد حماتنا، اذ يقولون انه مجتمع حر. ثانياً، ينبغي ان نسعى من الان للعمل من اجل حشد الحركة الاممية للطبقة العاملة. المسألة ليست كما لو ان بوسع الطبقة الحاكمة في امريكا واوروبا الغربية ان تقوم بكل ماتريده. ليس الامر بهذه البساطة.

مجتمع منفتح، حر، ليس مغلقاً، لا يكمن خلف جدار حديدي، مجتمع عصري، مجتمع انساني يمكن رؤيته بشفافية من قبل العالم الغربي، برايي، مصان امام الاستفزازات العسكرية للاجنحة اليمينية في المجتمع الغربي. اني متفائل بهذا الصدد، واعتقد انه امرأ صعباً. ليس بوسعهم ان يقولوا على ايران حكومة صدام حسين او ليبيا، وذلك لان جميع مراسلي العالم هناك يعكسون انه مجتمع متمدن، متساو، وحر. مكان الغيت فيه عقوبة الاعدام، اعلنت مساواة المرأة والرجل، الصحة حق الجميع، التربية والتعليم مجانيان للجميع، النقل مجاني لكل من يريد ان يذهب لمكان في المدينة. ليس امرأ سهلاً شن حملة على مجتمع مثل هذا. ليس مجتمعاً مغلقاً بحيث تنقل عنه ماتشاء من صور.

ليس مجتمعاً مغلقاً حتى تصوره كيفما شئت. ان الحرية والانفتاح هما افضل رأسمال لمجابهة الغرب. زد على ذلك، من الناحية الدبلوماسية، لن نناصبها العدا.. انه لجلي كثيراً ان الثورة في هذه البلدان هي مهمة الطبقة العاملة لتلك البلدان، ونحن نمد يد العون، كل عون، بهذا الخصوص. بيد انه ليس من المقرر لحزب شيوعي عمالي في دولة اشتراكية ان يقوم باعمال استفزازية ضد العالم الغربي وضد الهيئة الحاكمة الغربية والناو ويدفعهم للحرب. ينبغي اتخاذ اسلوب عقلاني. ينبغي ارساء مجتمعك. ينبغي ارساء الحرية هناك، وتطرح نموذجاً ياتي اناس العالم بشوق ليسعون لتحقيقه في بلدهم كذلك. ان هذا امرأ عملياً.

* ان النص الاعلاه هو نص شفاهي بالاساس. تمت الترجمة عن النص الفارسي المنشور في سايت منصور حكمت: <http://hekmata-public-archive.net>

نشر لأول مرة بالعربية في جريدة الى الامام اعداد (150، 152) الصادرة في (منتصف ايلول ومنتصف تشرين الاول 2011)



نادية محمود

بين حضور المرأة في انتفاضة اكتوبر في العراق(2019) وغياب مطالبها!

من المعروف ان انتفاضة اكتوبر في العراق كانت حدثا تاريخيا استثنائيا من حيث الانخراط الجماهيري والاجتماعي الواسع فيه. حسب علمي، لم يمر العراق بانتفاضة من هذا القبيل. بدأت الجماهير تسيطر على ساحات في المدن في وسط وجنوب العراق واعلنت انها ساحاتها (التحرير، الحبوبي، البحرية، الصدرين، الساعة). واقامت بها خيامها، ومطاعمها، وملتقيات الخطابية، وقاعات اجتماعاتها، وتجمعاتها، وعلقت الزينة، والاعلام، واقامت الاذاعات، ومكبرات الصوت لالقاء الخطابات والاغاني الحماسية، وعقدت الندوات، واشترك الرجال والنساء، الشباب والشبان، من مختلف مدن العراق. تزاور المنتفضون، تعرفوا على بعضهم البعض، اصبحت تلك الساحات مدنا قائمة بذاتها. اعيد رسم جدرانها بصور المنتفضون لتعبر عن روح الانتفاضة.

ساهمت النساء بمختلف الادوار وخاصة بعد 25 اكتوبر. قد يكون لثورة لبنان ومساهمة النساء فيها في 17 اكتوبر دورا في الهام الشبابات في العراق لحدو حدو رفيقاتهن في لبنان. فكانت ادوارهن المشاركة في المسيرات، الهتافات، رفعن الشعارات المختلفة، نظمن انفسهن وخرجن بجماعات نسوية، عملن كمسعفات، وطبيبات، وصلن الخطوط الامامية لصد قوات الشغب، ركضن مع رفاقهن من الشبان، دون ان يلتفت احد الى كونهن "اناث". عملن في تنظيف الساحات والخيم، في الطبخ،

حضور المرأة في انتفاضة اكتوبر ..

غسيل الملابس، الرسم على الجدران والكرافيتي. قمن ببيع الكتب في الساحات، عملن اسواق بازار لبيع منتجاتهن. قدمن تبرعات مالية، حتى مصوغاتهن الذهبية. الطالبات تبرعن بمصروفهن الشخصي، وتحدين ادارات مدارسهن وانخرطن في التظاهرات. طالبات الجامعة انخرطن فيها. اضافة الى قيامهن بالتحشيد عبر السوشيال ميديا، وخاصة اولئك اللواتي حرمن من المشاركة بسبب رفض اسرهن لمشاركتهن في الانتفاضة. المتقدّمات في السن كن ناشطات ومفعّات بالحياة يشاركن بأشكال مختلفة بجهود الانتفاضة.

جراء هذه المشاركة متعددة الاشكال، تعرضت النساء الى القتل والاختطاف، والترهيب والتهديد، وتشويه السمعة والتضييق من قبل الاطراف الحكومية وميليشيات احزابها. في الوقت الذي نجحت هذه الاسلحة في ردع عدد من الشبابات، الا انها لم تنجح في ردع الجميع. في ذكرى احياء الانتفاضة في اول اكتوبر 2020، قامت النساء بعمل استعراض نسوي كبير وهن يرددن "لم ننسى ان نعود".

ألا اننا ونحن نحيا ذكرى الانتفاضة او " استمرار " الانتفاضة كما يحب ان يطلق عليها، لا بد من القاء نظرة متفحصة على نواقص انتفاضتنا فيما يتعلّق بدور ومطالب النساء فيها. تنتقد هذه المقالة، مع هذا الظهور الواضح والجديد لنساء العراق، الا ان المطالب النسوية كانت غائبة. ان هذا الغياب لم يكن صدفة، لذا يتوجب تعقب اسباب هذا الغياب.

لقد اعزّي غياب المطالب النسوية الى "أن رفع مطالب نسوية في الانتفاضة سيؤدي الى تشتت مطالب المتظاهرين!" او " ان عدم رفع مطالب النساء لا ضرورة له، لان "التغيير" ان جاء سيعم الجميع بخيراته وبشكل اوتوماتيكي". اضافة الى التصور بان مشاركة النساء في التظاهرات كانت لمساندة " اخيهن الرجل"، لتقوية عزمته، للشد من ازره، لمساعدته على المطالبة للاستمرار في الانتفاضة وليس للدفاع عن حقوقهن المهضومة والتي تزيد اضعافا مضاعفة عما يتعرض له اخيهن الرجل .

من هنا يتوجب ان نطرح الاسئلة التالية هل ان مشاركة النساء مطلوبة من اجل تحقيق " مشاركة واسعة" في الانتفاضة؟ اي لزيادة العدد اكثر مما هو ظهور من اجل تعقب اهداف تخص المرأة باعتباره الجنس الذي يعاني من الاضطهاد والتمييز ضده. وهل يتوجب تأجيل المطالب النسوية ودفعها الى المرتبة الخلفية على اعتبار ان المطالب الاوسع للجماهير هي ما يجب ان تحتل المكانة الرئيسية، في حالتنا هذه شعار " نريد وطن؟" على الرغم من ان(اعتصام الخريجات من ذوات الشهادات العليا). هو "الشرارة" التي اوقدت انتفاضة تشرين الشبابية وبقطع النظر عن التراكمات الاحتجاجية التي اختطها المتظاهرون منذ ٢٠١١ حيث اختزلت واقتصرت "حقوق ومطالب النساء" ب(نريد وطن)!! لم نر، مطالب الخريجات العاطلات عن العمل، والخريجون العاطلون عن العمل، الذين كانت اعتصاماتهم لمدة تقارب من 100 يوم، بفرص عمل ترفع، سواء من هذه الحكومة او اية حكومة ستحل محلها.

لنتطرق الى الاوضاع التي تعيشها النساء حتى نتمكن من معرفة هل يجب ان يكون هنالك مطالب خاصة بالنساء ام يجب ان نبحر كلنا في " قارب واحد" تجاه تغيير النظام، دون ان تعلن النساء عما يردنه من النظام الجديد. لا تنوي هذه المقالة وضع استقطابا بين النساء والرجال باي حال من الاحوال. فرغم اننا كلنا في " نفس القارب" بمواجهة نظام رأسمالي نيوليبرالي ذو ايدولوجية دينية

طائفية، قائمة على المحاصصة والفساد، ولكن الاعباء التي تتحملها المرأة والانتهاكات التي تتعرض لها حقوقها هي اضعاف مضاعفة عن زميلها الذي هو معها في نفس القارب. وسنوضح ذلك بما يلي.

العبودية، الفقر والتعامل الدوني ضد النساء في العراق:

النساء يعشن العبودية في العراق. العبودية تعني انعدام الخيارات التي تضطر الانسان الى الخضوع للامر الواقع بكل ما فيه من فقر وعنف واهانة وتكيل بالشخصية. ما يعزز هذه العبودية هو الفقر، عدم وجود الفرص، عدم وجود بدائل، قلة الخيارات او حتى انعدامها. القوانين التي تشرع استخدام العنف ضد النساء، القوامة على النساء، سيطرة الاحزاب الاسلامية وميلشياتها وتحكيم سيطرتها على سلوك النساء والذي ابتداء بعد 2003 وبشدة. التقاليد الاجتماعية وثقلها على المرأة. والتي تحكم سيطرتها على المرأة بسلسلة مترابطة الحلقات منذ الولادة وحتى الموت.

النساء تعاني من الفقر في العراق مقارنة بالرجال: فمن ناحية الفقر بين النساء، فهو واسع جدا. نسبة عمل النساء العاملات هي اقل بكثير من نسبة عمل الرجال. هذا يعني ان النساء يعانين الفقر مقارنة بالرجال كتحصيل حاصل. عدد النساء العاملات في العراق في القطاع الرسمي حسب الاحصائيات الرسمية يقارب ال 15% وفق لاحدث الاحصائيات. من المؤكد ان النساء العاملات في القطاع غير الرسمي او الهش هو اكبر من هذا العدد بكثير. ويعشن ظروف عمل مأساوية من حيث طول ساعات العمل وشدته ومن حيث قلة الاجور. انها تصل لدرجة تقترب من العبودية. 10% من نساء العراق هن المسؤولات عن اعالة اسرهن، 80% من هؤلاء النساء ارامل. يمارس التمييز الجنسي بشكل صارخ ضد النساء. مثلا لا يسمح للنساء في القطاع النفطي ان يشكلن اكثر من 10% من الايدي العاملة في هذا القطاع الرئيسي في العراق، ولا يسمح لاكثر من 15% للدراسة في معاهد النفط في البلاد. اجور النساء في القطاع الخاص وغير الرسمي الذي يشكل 2/3 القطاعات الاقتصادية في العراقية تصل اجور النساء الى نصف اجور الرجل. المرأة التي تعترض يقال لها "بامكانك ترك العمل". اما الفتيات والنساء لهن حصة من الامية ضعف ما بين الذكور. 1/3 الفتيات بعمر يزيد عن 12 سنة يفتقدن للتعليم او اميات.

تتعرض النساء للابتزاز الجنسي حين تقدم على عمل. اصبحت مساومة النساء الطالبات لفرص عمل على اجسادهن ظاهرة منتشرة في حالة بحثهن عن فرص عمل حتى في مقابلة العمل. يطلب منهن وبشكل مباشر ليس بيع قوة عملهن فقط بل وبيع جسدهن ايضا مقابل "نفس الاجر" كما عبرت عنه احد الشابات بسخرية مريرة. تقع المرأة امام خيارين احلاهما مر. فاما عبودية الجلوس في البيت وتحمل الفقر والعنف من جراء ضعف الوضع الاقتصادي، او ان تذهب للعمل وتبيع قوة عملها وجسدها معا. انها تخسر كرامتها في الحاليتين. التحرش الجنسي في العمل اصبح ظاهرة منتشرة الى الحد الذي اضطر قانون العمل رقم 37 ان يخصص فقرة تتصدى لهذا الامر.

تتعرض النساء للعنف المنزلي. ليس من المبالغة بشيء القول بانه ليست هنالك امرأة لا تتعرض للعنف المنزلي، باي شكل من الاشكال ومن قبل افراد الاسرة. النساء يتعرضن للعنف بمختلف اشكاله بدءا من التضييق عليهن من الخروج من المنزل الى القتل والحرق، النسبة التي ازدادت في اوضاع جائحة كورونا في 2020. وبالتاكيد نسبة العنف الذي يتعرض له الرجال مقارنة بالنساء، لا يمكن ان تتجاوز الا نسبة ضئيلة جدا. العنف ضد النساء مشرع بشكل قانوني. المادة 169 من قانون العقوبات

حضور المرأة في انتفاضة اكتوبر ..

تعطي الحق للرجل لتأديب زوجته واطفاله. وحسب احصائيات منبر الصحافيات العراقيات فان 8 من 10 من النساء يتعرضن للعنف الجنسي. تعفي المادة القانونية رقم 398 من قانون 111 لسنة 1969 المغتصب من العقوبة في حالة الزواج من ضحيته وتعتبره عذرا مخففا لفرض عقوبة على جريمته. اما اللامساواة ومعاملة المرأة كنصف رجل فهو امر " دستوري"، اي ينص عليه الدستور، حيث ان الاخير يستند الى الشريعة الاسلامية. المرأة لها نصف حصة الرجل بالميراث. تعدد الزوجات، وكان النساء لسن بشرا على نفس الدرجة وبنفس المرتبة مع الرجال. ويفرض على المرأة تقبل وجود زوجات اخرى في حياة الزوج، وكأنا نعيش في زمن الحريم. وهو شكل اخر من اشكال العنف المنزلي، حيث يفرض على المرأة ما لا تريده، ولا تملك الا خيارات محدودة تجاهه. هذا ناهيك عن تزويج الاطفال القاصرات، وتعريضهن للاغتصاب وبشكل منظم، الذي يعد بحد ذاته جريمة ترتكب ضد الاطفال وامام اعين الجميع.

النساء محرومات من ممارسة ابسط حقوقهن الشخصية والمدنية: حسب الاحصائيات فان نسبة النساء اللواتي يحتجن الى اذن من اجل الذهاب وزيارة الطبيب تبلغ في المدن 64% وبين النساء الريفيات 74%، علما ان المتوقع ان تكون النسبة اعلى من ذلك بكثير. حق الخروج من المنزل دون استئذان الذكور لقضاء اي امر شخصي ليس امرا وحقا معطى للنساء، بل تعاني منه الفتيات والنساء على السواء. تقول احدى النساء "احتاج الى تقديم طلب من اجل الخروج للتسوق او لزيارة صديقة، لينظر بها جميع افراد الاسرة للحصول على موافقتهم. المكان يجب يكون معلوما ووقت الزيارة محدد. وليس لي الحق ان اعيد الطلب الا بعد مرور شهر والا سيجري تذكيري بانني خرجت من المنزل في التاريخ الفلاني". ان هذا لا يقل وصفا عن اي سجن يمكن ان يوضع خلف قضبانه الافراد. عدم امتلاك حرية الخروج والقرار عليه، ينتقص من عقلية واحترام المرأة ولاستقلاليتها وامتلاكها لقرارها على نشاطاتها. ولهذا منعت اعداد كبيرة من الفتيات والنساء من الخروج من المنزل والمشاركة في التظاهرات في ايام الانتفاضة.

النساء مرغمات على اداء العمل المنزلي والعمل الرعائي لكبار السن والمرضى والاطفال. لا تمتلك المرأة الحق في رفض القيام بالعمل المنزلي. انها مجبرة وبشكل قسري على القيام به وبغض النظر عن ارادتها. في حالة رفضها او عدم ادائها لهذه الاعمال قد يؤدي بها الى القتل كما تعرضت بعض الضحايا للقتل في اسر أزواجهن. لزيادة الطين بلة، نص الدستور العراقي على ان واجب الابناء والبنات رعاية ابائهم وامهاتهم. تنص الفقرة الثانية من المادة 29 على " ان للوالدين حق على اولادهم في الاحترام والرعاية، ولاسيما في حالات العوز والعجز والشيخوخة" اي هنا تقوم الدولة بنقل مسؤولية العمل الرعائي من كاهل الدولة الى كاهل الاسر. وحين نقول الاسرة هنا، فان المقصود به المرأة بشكل اساسي.

ان سلسلة معاناة النساء - التي لا يتعرض لها الرجال- لا تنتهي هنا من حيث التضيق في العمل والحصول على فرص عمل، التحرش في العمل، العنف المنزلي، الحرمان من الحقوق الفردية والمدنية. بل تمتد الى اختطاف النساء والاتجار باجسادهن. تعرض النساء الى الاغتصاب وخاصة من أزواجهن والسماح بهذا الامر قانونيا واجتماعيا بحجة ان هذا "حق معطى للزوج". لا تقسر النساء الرجال على زنا المحارم، الا ان الفتيات والنساء يتعرضن لهذا القسر من اقرب افراد اسرتهم بما فيه الاباء البيولوجيين انفسهم. وبالتأكيد ليس هذا الا شرح موجز عما تعانيه النساء مقارنة بالرجال، فالسلسلة اطول من ان تغطيها هذه المقالة القصيرة.

ان جوهر "الحركة النسوية" هو وعيها اولاً بالاضطهاد التي تتعرض له النساء في الاسرة ، في مكان العمل وفي المجتمع، ووقوفها وتصديها للاضطهاد والتمييز الجنسي الذي تتعرض له النساء لكونهن من جنس " الاناث" بمختلف الوسائل والاشكال. ومن اجل ازالة هذا الظلم متعدد الاشكال واستلاب الحقوق تقوم ناشطات الحركة النسوية بمختلف الاعمال والنشاطات من اجل انهاءه. ان ما يقع في صلب عمل الحركة النسوية وهو اولى اولويات هذه الحركة ومنظماتها وشخصياتها هو ابراز معاناة النساء والانتهاكات التي يتعرضن لها في حياتهن اليومية وعلى امتداد سنين والمطالبة بالسياسات والاجراءات الكفيلة بانهاء المعاملة الدونية ومختلف اشكال الاضطهاد. فهل قامت الحركة النسوية في العراق في خضم انتفاضة اكتوبر بابراز هذه الانتهاكات وفضحت هذا التمييز وطرحت المطالب والاجراءات التي تريدها من اجل احقاق حقوق النساء؟ فهل ذكرت معاناة المرأة متعددة الاشكال و بشكل واضح في الانتفاضة؟ وهل جرى اسماع صوت الازلال الذي تتعرض له النساء في قلب تلك الانتفاضة؟ هل اكتفت النساء في التظاهرات في الخروج الى التجمعات، وكأنهن اجتزن الخط الاول، ليمضين قدماً ليصلن الخط الثاني وهو ان يرفعن مطالبهن ايضاً، ولا يكتفين بالحضور والمشاركة. الجواب هو كلا.

من المعلوم ان المنظمات النسوية في العراق قامت بالعديد من الاعمال بهذا الاتجاه من قبيل رفض احلال الشريعة الاسلامية محل قانون الاحوال المدنية والذي طرحته الاحزاب الاسلامية في ديسمبر 2003. وفتت ضد المادة 41 من الدستور العراقي الذي سنّ الذي يسمح بتطبيق القوانين المتعلقة بمختلف الطوائف فيما يتعلق بالاحوال الشخصية. في عام 2010 طرح مسودة لقانون تجريم العنف المنزلي، في عام 2014 وقف ضد القانون الجعفري، في عام 2020 وقفن ضد المادة 57 من قانون الاحوال الشخصية 188. وبالتاكيد تصدين لقضية المعاملة السلبية للمرأة كما جرى في استبدال 50 امرأة في ما يسمى بالعشائرية عام 2015. الا ان هذه المطالب لم تبرز في انتفاضة اكتوبر. بل غابت حتى المطالب التي عملت من اجلها تلك المنظمات في السنوات المنصرمة. ولم تتعدى الهتافات التي رددتها النساء الشعارات العامة وهي " نريد وطن"، "ايران برا برا" او "العن ابو ايران لا بو امريكا".

ان ابرز الهتافات النسوية في الانتفاضة والتي تكررت في عموم المدن المنتفضة هي مايلي: "هاي بناتك يا وطنك هاية..ضحن بدمهن ورفعن الراية" و "اليوم الكذلة تسولف..خلي عكالك للدكات"، " منهو الكال صوتك عورة..صوتك مفتاح لكل ثورة". ان طبيعة ومحتوى هذه الهتافات تؤكد على اهمية وجود المرأة، على التضحيات التي قمن بتقديمها، وانهن شريكات في الثورة، وانه يراد لهن الاعتراف وانتزاع الاعتراف بهذا الوجود. خاصة وان النساء في العراق ظهرن بشكل لم يسبق له مثيل من قبل. (الانتفاضة بحد ذاتها لم نجد لها مثيلاً من قبل في العراق). لكنها لم توصلنا لحقيقة مالذي تعاني منه النساء، ومالذي تطالب به ومالذي تريده من النظام الجديد الذي يراد به احلال النظام الحالي؟

الا ان ما يجب الاشارة اليها هو "المسيرة الوردية" التي نظمتها الشابات على وجه الخصوص بعد تغريدة مقتدى الصدر في 8 شباط والتي طالب فيها فصل النساء عن الرجال في الخيم في ساحات الاعتصام. لقد نظمت هؤلاء الشابات وبشكل مستقل تنظيم تظاهرة مليونية اطلقن عليها "المسيرة الوردية" تحدياً ورفضاً لتغريدة الصدر. وهن اللواتي احتلن الساحات جنباً الى جنب الرجال في عمل يومي مواظب وتحملن القتل والخطف والتهديد والعمل متعدد الاشكال استمر من الاسبوع الاخير من

حضور المرأة في انتفاضة أكتوبر ..

شهر أكتوبر وحتى الايام الاخيرة من الانتفاضة قبل بدء الحجر الصحي بسبب وباء كورونا. لذلك كان تنظيم المسيرة المليونية، وحسب تعبير الناشط و الاكاديمي فارس حرام هو " اطروحة اعطت ملمحا لوجود حركة نسوية". لقد كانت تلك المسيرة عملا نسويا من الطراز الاول والذي رفضت فيه الشابات " الفصل الجنسي". وحظيت تلك التظاهرة التي نظمت في الثالث عشر من شباط اي خمسة ايام بعد تغريدة الصدر، بدعم واسع من قبل المنتفضين الذين وفروا الحماية لها وعبر سلسلة بشرية طويلة لحماية المتظاهرات. لذا، يصبح من الضروري الان مناقشة الحجج التي سبقت في مسار عدم رفع مطالب نسوية في تلك الانتفاضة والتي يمكن تلخيصها بما يلي.

- رفع مطالب نسوية في الانتفاضة سيشتت

مطلب المتظاهرين الرئيسي:

لقد رزم المتظاهرون كل مطالبهم التي امتدت على مدار سبعة عشر عاما من سعيهم للحصول على سبل العيش وفرص عمل، وخدمات، والقضاء على المحاصصة والفساد والطائفية، والمحسوبية والزبائنية ومن اجل الحريات السياسية والفردية والامان برزمة واحدة بحزمة وشعار واحد وهو " نريد وطن". وهذه مطالب يشترك فيها الجميع الرجال والنساء. الا انه بجانب هذه المطالب، هنالك 50% من المجتمع، والذي يبلغ تعداداه 20 مليون انسانا، ولدن اناثا، قد قرر لهن وعلى امتداد حياتهن من المهدي الى اللحد الى ان يعشن تحت " وصاية" وحكم الرجل. يعيشن كمواطنات من الدرجة الثانية. حقوقهن اقل. يمارس ضدهن التمييز الجنسي بشكل منظم كما ذكرنا اعلاه. فلماذا وكيف يمكن ان تشتت مطالب الانتفاضة مطالب الخلاص من عبودية نصف سكانه؟ كيف حدث وان اعتبر انعتاق الناس من التمييز الجاري بحقهم هو هدف ثانوي يشتت انتباه المتظاهرة وهدفها الرئيسي؟ ان لم يكن تحرر البشر من هذه العبودية هو احد اهداف انتفاضة بهذا الحجم، فاي هدف حري بهذه الانتفاضة ان ترفع؟ لقد شاركت النساء بمختلف الاشكال في هذه الانتفاضة، وقدمن حياتهن ثمنا، ليس لاجل المطالب المشتركة مع الرجال فقط، بل ومن اجل المطالب غير المشتركة والتي تعاني من وطأتها النساء باعتبارهن اناثا. هنالك ثورة نسوية عبرت عن نفسها بخروج النساء وانخراطهن غضبا على السلطة، على السلطة الابوية والذكورية، سواء ذكرنها بشكل مكتوب ومنطوق ام لم يقلنها. الا ان ما كان يجب ان يحدث وان ترفعه النساء والمنظمات النسوية والحركة النسوية، حتى تكون جديرة بهذا الاسم، ان ترفع لائحة بمطالب النساء ومعاناتهن حتى يكون صوتهن مسموعا لهذه الحكومة ولاية حكومة تخلفها. فتجاربا النسوية في اماكن اخرى من العالم الناطق بالعربية لا تبشر بأي خير. على سبيل المثال التعامل النفعي والمصلحي والانتهازي الذي قامت بها حركات التحرر من الاستعمار في العالم الناطق بالعربية والذي شاركت فيه النساء. وتجربة الجزائر والتي شاركت فيه النساء المقاتلات مثلا جميلة بوحيرد ورفيقاتها خير دليل على هذه المشاركة. ولكن بعد ان انجز التحرر من الاستعمار، "تناسوا ونسوا" الدور الذي قامت به المرأة، فاعيدت مرة اخرى الى البيت. بل واصدرت الحكومة الجزائرية في عام 1980 مرسوما يمنع المرأة من السفر بدون موافقة ولي امرها من الذكور، وفي عام 1984 اصدرت قانون الاسرة الذي سلبت فيه الكثير من حقوق النساء مما اطلقت عليه النساء ب" قانون العار". هكذا جرى ويجري التعامل الانتهازي مع دور المرأة ومشاركتها. والكثير يتذكر كيف ان نظام صدام حسين اشاد ب" الماجدة العراقية" التي ادارت عجلة الانتاج، بينما الرجال في سوح الحرب، وحين توقفت الحرب، وعاد الرجال، اخرجت النساء من العمل تحت اسم" فائض عن الحاجة" في نهاية 1988. والامثلة عديدة. لذا، لا يتوجب رفع المطالب النسوية فحسب، بل ومواصلة النضال حتى لا تصادر تلك الحقوق التي انتزعتها النساء في فترات

لاحقة كما جرى في العديد من بلدان العالم.

- لا حاجة لرفع مطالب خاصة بالنساء فالتغيير الحكومي ان حصل سيجلب حقوق الجميع: النساء والرجال!

ان التصور بانه "اذا جرى تغيير في النظام فان التغيير سيقدم حقوقا افضل للنساء وبشكل اوتوماتيكي" يحتاج الى وقفة جديّة من قبل ناشطات الحركة النسوية والقوى الداعية للمساواة وللأسباب التالية:

اولا: ليست هنالك اية ضمانات بان التغيير الحكومي اذا حدث فانه سيجلب معه حقوقا اكثر للنساء. التمييز و العنف ضد النساء، الافكار، العبودية، ليس نتاج سياسة حكومة واحدة، بل نتاج حقبة تاريخية طويلة من الهيمنة الذكورية والرأسمالية والدينية والتي وضعت المرأة في المرتبة الثانية. لقد كان لنساء ايران في عام 1978 دور عظيم في الثورة انذاك، الا انهن بعد ان فرض الحجاب الاجباري عليهن بعد تشكيل الجمهورية الاسلامية: بدأن يتسائلن "هل قمنا بالثورة من اجل ان نرتدي الحجاب؟" الثورات التي حدثت في بداية هذا العقد في مصر جلبت القوى الاسلامية للسلطة، وجرى هدّ منظم لحقوق النساء. فهل هذا ما ثارت النساء من اجله، ودفعن حياتهن ودمهن ثمنا في تلك الثورات ليس كل تغيير حكومي سينتج عنه حكومة تقرّ بحقوق النساء. ان الاقرار بحقوق النساء وفرضها يأتي عبر نضال نسوي ومن قبل القوى التي تؤمن بالمساواة من اجل تحقيق تلك الحقوق.

ثانيا: اي تغيير قادم في اوضاع المرأة يرتبط بشكل تام وكامل بمدى مساهمة النساء انفسهن بفرض هذا التغيير وانتزاعه عنوة وبالقوة من القوى الرجعية المعادية للمرأة. ان هذه حرب ضروس، وهي حرب ضد الذكورية والابوية بالدرجة الاساس، التي ترى ان الرجل متفوق على المرأة، وانه اكثر عقلا منها، وانه يجب ان يقوم بالسيطرة على سلوكها وتصرفاتها، وانه يجب ان تخضع لولايته وهيمنته واورامه. وهذا ليس امر شخصي يمارس داخل الاسرة بل نظام اجتماعي مشرّع ومكرس بقوة القانون. لذلك سلسلة الحرمانات التي تعاني منها المرأة من فقدانها لحقوقها المدنية والشخصية مرتبطة بخضوعها لاوامر الرجل في البيت والذي يسنده القانون والعرف والتقاليد من كل حذب وصوب. وعدم الخضوع المرأة لهذه القوانين والاعراف يؤدي بها حتى الى عقوبة الموت. لذا ان انهاء السيطرة الابوية هي ما تتعقبه الحركات النسوية المدافعة عن حقوق المرأة ومساواتها، بغض النظر عن الحكومات التي تستلم السلطة. سيتوقف هذا النضال النسوي في اللحظة التي ينتهي في التمييز بين البشر على اساس الجنس.

ثالثا: "تغيير النظام" لن يؤول الى تحسين اوضاع المرأة فقط بتغيير الوجوه، او حتى تغيير النظام من ديني الى علماني. ان نظام علماني بالتاكيد هو افضل من نظام ديني من حيث اخراجه للوائح الدينية من الاحوال الشخصية وبقية الحقوق المدنية والفردية من حياة البشر. ولكن لن يتحقق تحرر المرأة من الفقر والجوع والبطالة فقط بتغيير النظام من ديني الى علماني، بل الخلاص من نظام اقتصادي رأسمالي غير مسؤول عن حياة البشر. هذا النظام لا يبالي ان باعت المرأة جسدها من اجل لقمة العيش او تهدر كرامتها، ما لم تكن هنالك قوة بشرية نسوية ورجالية حقيقية على الارض قادرة على تحميل هذا النظام المسؤولية عن حياة البشر. اخراج المرأة من الفقر والعبودية مرتبط بوجود نظام اقتصادي يضمن اشباع الحاجات المادية للانسان وعلى قدم المساواة بدون اية تفرقة بين المرأة

حضور المرأة في انتفاضة اكتوبر ..

والرجل للقضاء على الفقر وعلى امتداد مراحل حياتهم من الولادة وحتى الموت.

- خروج المرأة في التظاهرات كان دعماً ل أخيها الرجل - ضرورة فك الالتباس!

نصل هنا الى معالجة خطأ التصور التالي وهو ان المرأة خرجت للمشاركة في التظاهرات لمساندة " اخيها الرجل"، لتقوية عزيمتهم، للشد من ازهرهم، لمساعدتهم على المطاولة للاستمرار في الانتفاضة. قد يعزز هذا التصور غياب لائحة مطالب المرأة وبرامجها وعدم وضوحها، يظهر وكأن التحاق النساء بالانتفاضة و التظاهرات من باب "فزعة"!! لمنصرة اخيهن الرجل وعدم تركه وحيداً في الميدان. أو ديكورا للواجهة الإعلامية. ان المرأة خرجت للتظاهرات من اجل تغيير النظام اسوة بغيرها من الرجال، الا ان هنالك قائمة من الانتهاكات التي تتعرض لها المرأة باعتبارها امرأة: حرمانها من فرص العمل، اجور اقل للنساء مما يتقاضيه الرجال، العنف المنزلي، التحرش الجنسي، الحرمان من الحريات الفردية، حق التحكم في الجسد، حق الملبس، والخ من عشرات الحقوق التي استلبت من المرأة بسبب وجود نظام ابوي ذكوري. هذه السلسلة من الانتهاكات تحتاج سلسلة من النضالات لايقافها وانهاها، لا يتشارك بها معها "فيزيقيا اخيها". فهي، على الاقل من ناحية نظرية، خرجت من اجل ثورتها النسوية، سواء عبرت عنها بصوت واضح ومسموع او لم تعبر. ان النظر الى ان دور المرأة هو داعم ومساند، امتداد لذات التصور بان المرأة في المنزل له دور مساند للرجل في السراء والضراء. انتقل هذا الدور المساند الى ساحات الانتفاضة تحولت الى عنصر مساند للرجل ايضا، ولم يرقى دورها الى انها جاءت لتدافع عن مطالبها هي.

من هنا، غابت عن اجتماعات صياغة السياسات او كتابة البيانات النساء الا فيما ندر، خاصة وان الاجتماعات كانت تعقد في ساعات متأخرة من الليل، بسبب انشغال الرجال في امور اخرى اثناء النهار، وعدم ايلاء الرجال اية اهمية لتنظيم الوقت بحيث يتاح للمرأة الحضور في تلك الاجتماعات باعتبارها شريك وليس داعم او مساند. وهذا حرم النساء من فرصة المشاركة واسماع صوتهن. صار الابقاء على الادوار الروتينية، مساند، مساعد، داعم، او ثانوي، للمرأة امراً شائعاً. واذا كان حضور المرأة مميزاً في المدن، فان حضور المرأة في الاقضية والنواحي لا يكاد يرى. هذا يوضح اي تهميش وانزواء يعيشه نصف المجتمع فقط لانهن ولدن "اناث"!

مشاركة المرأة في العمل السياسي و دورها في الحركة النسوية-

فك الالتباس الثاني:

ان هذه النظرية قديمة وملتسبة. خرجت النساء في التظاهرات من اجل قضايا سياسية عامة ومنذ اواسط القرن الماضي. على سبيل المثال ما قامت به رابطة المرأة العراقية من مشاركة في التظاهرات ضد النظام الملكي، من اجل النظام الجمهوري، من اجل الديمقراطية، من اجل السلام، ضد الفساد، من اجل الخدمات والخ. الا ان مشاركة النساء في هذه الاحداث وفي التعبير عن مواقفها السياسية بالقضايا التي تخص المجتمع هي شيء، و التصدي للتمييز الجنسي الجاري بحقها باعتبارهن اناث- بالضبط كما يتعرض الملونين والسود للترقة في مجتمعات يحكمها العنصريون- هو شيء اخر تماماً.

ان وضع القضيتين في سلة واحدة، امر خاطيء. لانهما موضوعتان مختلفتان. مثلا مشاركة النساء في المجالس المحلية، او في المحافظة، او كوزيرات او حتى رئيسة جمهورية لا يعني ازالة التمييز الجنسي ضد المرأة كتحصيل حاصل. ان انخراط النساء في هذه الهيئات لا يخلق اي فرقا او تغييرا باوضاع النساء. انها تكمل بقية ديكور السلطة الحاكمة وتطعمه بوجوه نسوية لا اكثر ولا اقل. ان نسعى الى ان تحتل النساء اماكن في صنع القرار، يطرح السؤال التالي اي قرار سيقمن بصنعه لصالح اعتناق المرأة من اوضاع العبودية؟ هذا هو السؤال. ان نموذج مارغريت تاتشر التي صادرت الكثير من حقوق النساء العاملات، لا تمثل، رغم كونها انثى، مصالح النساء العاملات. كانت تمثل مصالح طبقتها، وليس مصالح بنات جنسها. نرى الكثير من المنظمات النسوية تعمل وتبذل جهودها في "مشاركة المرأة في صنع السلام، او في صنع القرار السياسي". الا ان السؤال الاهم هو هل العمل السياسي سيسهم بتحرر المرأة وخلصها من الموقع الدوني الذي وضعت فيه؟ ماذا يعني مشاركة المرأة في صنع السلام، او محاربة الفساد، وترك قوانين الاحوال الشخصية بل وترك الدستور يستند الى القوانين الدينية التي تنتظر للمرأة باعتبارها مواطن يجب "تأديبه" من قبل الرجل، كما في المادة القانونية 169؟ ان الحركة النسوية معنية بازالة كل القوانين التي تضعها في موقع مواطن من الدرجة الثانية، هذه هي وظيفتها. اما المشاركة في البرلمان، كما ترينا التجربة في العراق وكوتا ال 25% افادت بكل تاكيد البرلمانيات وغيرت اوضاعهن الاقتصادية من حال الى حال، ولكن بقيت النساء في العراق تعاني الأمرين.

الخلاصة:

لقد خرجت النساء مع الرجال من اجل التغيير، تغيير النظام السياسي ولاحق الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في حزمة واحدة اطلق عليها " نريد وطن". الا ان عدم ابراز اضهاد النساء ومطالبهن في قلب هذه الانتفاضة العظيمة يدل على ان حتى في قلب هذه الانتفاضة لازال هنالك تهميش لقضية المرأة وحقيقة عبوديتها واضهادها. بالتاكيد الحركة النسوية هي المسؤولة الاولى عن هذا النقص والتهميش. هذا التهميش لم يكن صدفة. انه متأتي من تهميش دورها ومعاناتها ومطالبها في حياة اقتصادية واجتماعية تليق بالانسان. انه نتيجة سياسات التهميش الذي تعرضت له المرأة، الحجر، اقصائها عن الحياة الاجتماعية والسياسية للحد الذي اصبح غياب المرأة، وكأنه امر طبيعي وروتيني، بحيث حتى في قلب الانتفاضة والثورة ينظر لمطالبها على انها ثانوية، خارج السياق، ليست مركزية، ويجب تاجيلها لاشعار اخر. لذا، نخلص في نهاية المقالة الى ان مشاركة النساء في الساحات كانت بحد ذاته امر جديد في العراق وكان دورا مميزا ويبهج القلب، خاصة ان النساء اللواتي انخرطن جئن من بيئات اقتصادية واجتماعية متباينة. الا ان ما كان ينقص هذه المشاركة هو الظهور النسوي المستقل باهداف نسوية تعبر عن رفض العبودية التي تتعرض له النساء وتطالب بصياغة لائحة حقوق اخرى، مختلفة عما وردت في القوانين والدستور، وان تطالب بحكومة توفر الامان الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للنساء، وان تجعل هذه المطالب واضحة ومسموعة في قلب الانتفاضة حتى يستطيع الجميع سماعها. وان تواصل العمل عليها، ليس فقط في اوضاع الانتفاضة بل ومابعداها. ان انتهاء وحل قضية النظام الديني الطائفي وإعادة هيكلته لاتعني حل الأشكال النسوي بالعراق ذاتيا أو كتحصيل حاصل!! دون عمل نسوي إيجابي فاعل بدون هوادة، عمل يطرد الاستكانة واليأس ونفض غبار عقود مرة من العسف الابوي الذكوري تجاه هضم حقوق المرأة والطفل معا... وهنا يكمن دور العامل الذاتي النسوي الفاعل في إحقاق حقوق النسوة. انه من البالغ

حضور المرأة في انتفاضة اكتوبر ..

الاهمية، أن يقف قادة الانتفاضة وناشطيها مع المرأة في إحراز حقوق النساء المشروعة والقائمة على المساواة سواء في قانون أحوال شخصية منصف او كل القوانين الاخرى المتعلقة بالمرأة وابتداءا من تثبيتها في دستور يقر بالمساواة وبشكل غير مشروط.

في ختام هذه المقالة نرد بعض المقاطع من هتافات وشعارات نساء لبنان في ثورة 2019 كنموذج على ما اقتقدناه في انتفاضتنا لعام 2019. ولكن من المؤكد اننا تعلمنا الدرس منه، وسنرفع صوتنا ومطالبنا عاليا، حيث ان طريق النضال من اجل انهاء التمييز الجنسي طويل.

نحن صوت الحرية | وثورتنا ثورة نسوية
للحرية للحرية | ثورة ثورة نسوية
بدنا نغضب بدنا نثور | حتى الذكورية تزول
علي صوتك علي صوتك | هالنظام بدو يموتك
علي صوتك تينبح | هالنظام حنقلو بح
ما منريدو ما منريدو | النظام الأبوي بدنا نبيدو

حق المرأة بالجنسية | هول مطالب شعبية
حق المرأة بالحرية | هول مطالب شعبية
حق المرأة بالحضانة | هول مطالب شعبية
حق اللاجئة تعيش بكرامة | هول مطالب شعبية
حق المرأة بالأمان | هول مطالب شعبية
حقنا نعيش بلا تحرش | هول مطالب شعبية
حق المرأة تملك جسما | هول مطالب شعبية
حق المرأة تحكي باسمها | هول مطالب شعبية
حق المرأة بالنشوة | هول مطالب شعبية
حق المرأة بالاشغال | هول مطالب شعبية
حق المرأة بالاجهاض | حق المرأة انتفاض
منمشي سوا والإيد بالإيد | وعن نسويتنا ما منحيد

عليهم يا حرات | هيدي ثورة البنات
عليهم يا نسوية | هيدي ثورة ع الأبوية

جنوا جنوا الذكورية | لما طلبنا الحرية
وقفنا بوجه التمييز | بوجه السلطة الأبوية
جنوا جنوا الحزبية | لما طلبنا الحرية
وقفنا بوجه الذكورية | بوجه السلطات الدينية
جنوا جنوا الطائفية | لما طلبنا الجنسية
جنوا جنوا العونية | لما طلبنا الحرية



عواد احمد

ازمة القوى اليسارية وابعادها

السياسية والاجتماعية

المقصود هنا بالقوى اليسارية هو الاحزاب والحركات الاشتراكية والشيوعية المتنوعة والمتعددة على اختلاف مشاربها ومسمياتها والتي تتبنى قضية الطبقة العاملة وبقية الشرائح الاجتماعية الكادحة والمهمشة من اجل التغيير الثوري للنظام الرأسمالي واستبداله بنظام اجتماعي اكثر عدالة ومساواة هو النظام الاشتراكي .

ازمة احزاب ومنظمات الطبقة العاملة عموما وفي المقام الاول ليست ازمة سياسية محضة تفسر مثلا بغياب النظرية الثورية او البرنامج او التنظيم بل ان هناك مجموعة من الاسباب الموضوعية التي نتجت عن التغيرات والتبدلات الطبقية والاجتماعية خلال المراحل التاريخية السابقة والحالية فالرأسمالية تمكنت من ابعاد أي تصور لامكانية الحل الاشتراكي لأزماتها المستعصية عن اذهان الغالبية من العمال والجماهير على نطاق العالم . اليسار وخاصة اليسار الجديد العمالي والثوري والاجتماعي ليس رهين ازماته الذاتية (النظرية والتنظيمية) الى حد ما وبدرجة ما بقدر ماهو هو اسير واقع موضوعي معقد وقاسي مليء بالتحويلات والتغيرات المادية والفكرية والحروب والفوضى التي سببتها الرأسمالية والانظمة القمعية وتسببت بضغط هائل على نضال القوى اليسارية وادت الى تقليصه وانحساره الى حدود ضيقة للغاية .. وربما ادت الى نوع من العزلة السياسية او (الضياع) الفكري والعجز في بعض الاحيان لدى بعض الحركات الشيوعية واليسارية عن تفسير التحويلات والظواهر والتحديات الجديدة والطارئة التي برزت امام عمل ونضال القوى اليسارية . وكانت

ازمة القوى اليسارية ..

الانشقاقات والانقسامات اهم الظواهر التي نجمت عن تلك التحديات والمشاكل التي واجهت القوى اليسارية ولم تستطع الرد عليها برؤية سياسية وتنظيمية موحدة وواضحة .

ان العولمة وثورة الاعلام والاتصالات وانتشار مواقع التواصل الاجتماعي والميديا في كل اصقاع الكرة الارضية وفر المزيد من الفهم والتصور للتحويلات الحاصلة على مستوى العالم ووفر اوسع ما يمكن من تبادل المعلومات والخبرات والافكار والنظرية الثورية ورغم ذلك نرى كل يوم مجموعات واحزاب يسارية تستغرق في الانقسام والعصبوية كل واحد منها يدعي انه يمثل التوجه الثوري الصحيح ويمتلك الحقيقة . في واقع الامر تمثل حالات الانقسام والتشتت في صفوف اليسار خدمة كبيرة للرأسمالية وبقاءها واستمرارها . في نفس الوقت تتسبب في تشويه صورة قوى اليسار ذاتها امام الجماهير التي فقدت الثقة بها . ومع انه لا يجب ان نقلل من ضرورة واهمية الخط السياسي الثوري والجدري المتمثل بالنظرية الثورية والبرنامج والتنظيم الثوري والتحزب الجدي . الا ان ذلك لا يكفي وحدة لتزكية أي تنظيم سياسي دون معرفة تأثير ذلك التنظيم ودوره وفعله في الواقع الاجتماعي المحدد ، حيث لا تقاس مصداقية القوى السياسية من خلال برامجها وتصريحاتها وتصورها عن نفسها بل وكما اكد ماركس في نقد برنامج غوتا عن دورها وفعلها في الواقع الاجتماعي والسياسي .

ان التغييرات التي حدثت بعد سقوط جدار برلين وانهيار الاتحاد السوفياتي وغيرها من الاحداث الهامة في العقد الاخير من القرن العشرين كانت لها نتائج سلبية ومدمرة اولها تغييب الوعي الطبقي في صفوف الطبقة العاملة والجماهير وابعادها عن فكرة الاشتراكية والتغيير ، بفعل وسائل الدعاية البرجوازية الهائلة التي عملت بدأب على تشويه صورة الاشتراكية وربطها بالدكتاتورية والقمع استنادا الى التشوهات والعثرات والمشاكل التي واجهت تجربة ثورة اكتوبر الاشتراكية وفيما بعد الانظمة التي تشكلت على نمط التجربة السوفييتية نافية أي جوانب تقدمية وإيجابية فيها .

فضلا عن ذلك وفي بداية القرن الحالي ازداد الامعان في تخريب الوعي الطبقي بواسطة تسويق سياسة (فرق تسد) الاستعمارية القديمة من خلال ترويج مختلف اشكال النزعات القومية والدينية والمذهبية . وتم بعث الصراعات الطائفية المذهبية العرقية والعنصرية واشعال الحروب الارهابية في الشرق الاوسط (والعالم الاسلامي) وفي كل مكان من العالم.

وثانيها حدوث تحولات عميقة في العلاقات الطبقيّة والتوازنات على صعيد العالم . والصراع بين الدول الرأسمالية وضغطها المتواصل لاستنزاف وتخريب اقطار المحيط الرأسمالي عن طريق الحروب والارهاب واستنزاف الثروات واعادة تقسيم مناطق النفوذ والهيمنة عليها سياسيا واقتصاديا .

ويجب ان لا ننسى التأثير العميق لانهيار التجارب التي كانت تمثل (الاشتراكية والشيوعية) وخاصة انهيار الاتحاد السوفياتي او تحول ما بقي منها تحت تأثير وضغط النظام الرأسمالي العالمي . وبالتالي حدوث بلبلة سياسية هائلة واختلاف في الموقف بين صفوف اليسار في قضية تقييم طبيعة تلك الانظمة والموقف منها .

لقد تراكمت مجموعة من الظواهر الاجتماعية والسياسية في العالم منذ السبعينيات حتى قبل انهيار الاتحاد السوفياتي لعل ابرزها اعادة انتاج الظاهرة الدينية فيما اطلق عليه (الصحة الاسلامية) التي

مولتها المخابرات الاميركية وادت في نهاية المطاف الى انتاج ظاهرة الاسلام السياسي بجميع اتجاهاته المعتدلة والمتطرفة وبالتالي شيوع ظاهرة الاسلمة والتعصب الطائفي والمذهبي والجهل في صفوف غالبية الجماهير البسيطة الامية وحتى المتعلمة ، هذه الظواهر ادت الى تحول انظار الجماهير عن النضال الطبقي والافكار التقدمية والعصرية وابتعادها عن قوى اليسار ، كانها وجدت ضالتها المنشودة في الموروث الديني التاريخي وهكذا تفاقمت ظاهرة تراجع المدنية في مجتمعاتنا وشيوع افكار وقيم القرون الوسطى التي اعادت ترويجها وتسويقها قوى وحركات الاسلام السياسي بمباركة ودعم من القوى الامبريالية . ليس هذا فحسب بل ان الانظمة الديكتاتورية والقمعية التي سميت في مراحل معينة (تقدمية) مارست اشد اساليب الارهاب والقمع والتغيب والقتل ضد الشيوعيين والاشتراكيين واليساريين في بلدان الشرق الاوسط وفي اسيا وافريقيا واميركا اللاتينية وايضا بدعم ومباركة القوى الامبريالية مما ادى الى تراجع جميع القوى اليسارية والتقدمية وبمختلف اشكالها ومسمياتها سياسيا واجتماعيا .

ان ازمة القوى اليسارية الثورية في منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا خاصة تفسرها مرحلة تراجع المجتمعات والقمع والاسلمة والتعصب وشيوع ظواهر التقسيم الطائفي والعنصري والديني للمجتمعات والحروب الارهابية الشرسة واعادة حضور نفوذ اميركا والقوى الاستعمارية السابقة فرنسا وبريطانيا خاصة وسعيها لاعادة تقسيم مناطق النفوذ وتحطيم استقلال (الدول القومية) واعادة الهيمنة عليها وتوجيه سياساتها ولعل احتلال العراق عام 2003 في حرب الغزو الامريكية البريطانية كان مقدمة للسنياريو الاسود وخط الاوراق وتدمير العراق وبلدان اخرى في المنطقة والعالم .

في مثل هذه الاوضاع الشديدة التعقيد يجب ان لا نستغرب من تراجع اليسار بصفة عامة اذا ادركنا ان الاحزاب الشيوعية المرتبطة سابقا بالمرجعية السوفييتية تحولت وضمن سيرورة تاريخية طويلة الى احزاب اصلاحية وديمقراطية برجوازية ولم تعد تمثل الشيوعية سوى بالاسم فقط . اما قوى اليسار الجذري والريديكالي ومنها على سبيل المثال الحزب الشيوعي العمالي العراقي فرغم التراجعات والنواقص على المستوى التنظيمي والسياسي الا ان دوره السياسي والفكري ومواقفه المبدئية من مختلف القضايا الاجتماعية والسياسية والاحداث المختلفة كان مبدئيا واضحا وصريحا على مستوى الخطاب والتحريض والمواقف السياسية .

ان قضية بناء الحزب العمالي الماركسي الطبقي الخالص التي تنادي به وتسعى لبناءه اطراف يسارية متعددة كل يدعي شرعيته واحقيته واهليته لذلك ، لا تحلها مجرد التنظيرات او الانفاسمات بل تستلزم اولا معالجة المشاكل والنواقص الذاتية والبحث عن مسببات التراجع وانصراف الجماهير عن التنظيم والتحزب من جهة ومن جهة ثانية قراءة دقيقة للظروف الموضوعية والعمل على تحويلها بالفعل النضالي الميداني الى ظروف مناسبة وملائمة للعمل الثوري وينبغي ان ندرك انه لا بد من تسخين الصراع الطبقي بشكل مستمر من خلال دعم وتبني النضالات الجماهيرية المطالبة في بلدان الشرق الاوسط والعالم بما سيفضي تدريجيا الى تغيير حاسم في موازين القوى الطبقية وفي مزاج الجماهير وثقافتها وتصوراتها السياسية وفي اندفاعها نحو تغيير اوضاعها القديمة المأساوية وايجاد اوضاع جديدة افضل اوضاع مرتبطة بالتصورات الاشتراكية واعادة الاعتبار للاشراكية وتنقيتها مما علق به من تشويهاً وادران علق بها في المراحل السابقة والتجارب السابقة .

و اليوم فان مختلف التيارات الماركسية ، التي انقسم بعضها الى تيارات ومنظمات صغيرة في

ازمة القوى اليسارية ..

مراحل مختلفة فانه لم يعد الواقع السياسي والاجتماعي يحتمل المزيد من الانقسام والتشرذم ، ان أي انقسام اضافي محكوم بالفشل والشلل مسبقا وأي عمل سياسي جديد نخيوي سيكون معزول عن الجماهير في أي مكان وفي أي بلد وسوف لن يشكل اضافة سياسية نوعية مرتبطة بالواقع الاجتماعي والسياسي . وبدلا من ذلك يجب على القوى اليسارية الثورية التي تتشارك في الآمال والاهداف والرؤية السياسية التفكير بالوحدة وبناء التنظيم الجماهيري الواسع وهو السبيل الوحيد لتغيير موازين القوى لصالح عملية التغيير الثوري للمجتمع .

ان اليسار الثوري الجدي لن ينجح ويتطور تنظيميا وسياسيا دون الانغراز بين صفوف الجماهير العمالية والكادحة والمهمشة ويعبر عن ارادتها وصواتها ضمن افق سياسي وبرنامج واضح ودون عمل ميداني صبور ودؤوب بين الجماهير لانتشالها من كل منوعات الوعي الزائف الليبرالي القومي الطائفي والديني .

واخيرا ليس هدف هذا البحث زرع اليأس والاحباط وتقويض الارادة الثورية للجماهير ولقوى اليسار الثوري افرادا وتنظيمات بل وضع الاصبع على المشكلات والتحديات التي تواجهنا كقوى شيوعية يسارية تمتلك رؤية ثورية لعملية التغيير المطلوب للاوضاع الراهنة . لذلك من الهمية بمكان ومن اجل تجاوز عوامل القصور الذاتي يجب التأكيد على اهمية القيادة الثورية والتحزب والتنظيم . وعلينا أن نناضل لبناء تنظيم ثوري يمثل حقا مصالح وتطلعات الطبقة العاملة وعموم الجماهير الكادحة لكي يتحول الى اداة بيد الجماهير لتحقيق التغيير الثوري للمجتمع. إن الشروط الموضوعية اكثر من ناضجة في ظل ازمة الرأسمالية المزمنة والحروب والارهاب والفساد في كل مكان. نحن نؤمن إيماننا راسخا بأن الطبقة العاملة وكل الجماهير الكادحة والمضطهدة والمهمشة مستعدة تماما لهذه المهمة ولكن لا بد من وجود تنظيم ثوري وقيادة ثورية تقود الجماهير نحو الانتصار . لقد اثبتت تجارب الاحتجاجات في السنوات الاخيرة وعلى الصعيد العالمي منذ 2011 قيام الثورين التونسية والمصرية حتى الان ان الجماهير التي تفتقر الى القيادة والتنظيم والحزب الثوري لم تستطع مواجهة الطبقات الحاكمة وتحقيق اهدافها وعلى العكس تحولت تلك الاحتجاجات الى وسيلة للقمع بيد الثورة المضادة البرجوازية واعيد انتاج النظام البرجوازي القمعي والاستغلالي بوجوه جديدة ومسميات جديدة وتحت ذرائع جديدة وبشكل اسوء مما سبق .

2020 / 10 / 16



توما حميد

قضية معقدة... تناول سطحي!

(انتحار المناضلة سارة حجازي، بضع كلمات حول حقارة الفكر البرجوازي!)

لم اسمع من قبل عن سارة حجازي. يمكن ان يكون ذلك لقلة معلوماتي. ولكن علمت من وسائل الاعلام الرسمية ووسائل التواصل الاجتماعي بان مناضلة شابة مصرية بهذا الاسم أقدمت على الانتحار في منفاها (كندا) يوم الاحد المصادف 14 حزيران. من المحزن ان يضطر انسان، أيا كان، على الانتحار. كل انتحار هو مأساة وعادة ما يؤثر على عدد كبير من الناس وأحيانا على مجتمع بكامله، وعادة ما يكون له آثار طويلة الأمد على الناس المحيطين بالشخص المنتحر. لا بد ان موت سارة بالذات سوف يترك أثر على عدد كبير من الناس لان كل المعلومات المتوفرة تدل بانها كانت مناضلة وانسانة "غير عادية"، وحتى الرسالة القصيرة التي تركتها قبل الانتحار تدل انها كانت انسانة في قمة الرقي. فبعد ان نفذت كل الخيارات امامها، ولم يبقى الا الانتحار بسبب الهمجية التي عوملت بها، تطلب السماح ليس من اخوتها واصدقائها فحسب، بل من العالم الذي تصفه بالقاسي ايضا. ما هز مشاعري وجعلني اكتب هذه الاسطر هي الكم الهائل من الآراء الحقيرة والمتخلفة والفظة التي ملئت وسائل التواصل الاجتماعي بحقها، من التيارات اليمينية وخاصة التيار الديني.

وقد ابد قسم كبير من بين والعلمانيين مواقف اليمين من هذا الموضوع تحت تفسيرات غير علمية ولا تتماشى مع التفكير المعاصر مثل ان الانتحار دليل الجبن واليأس والفشل والاستسلام والتخلي عن النضال، الانتحار نوع من النرجسية، ربط الانتحار بالامراض النفسية هي محاولة لانصاف

قضية معقدة... تناول سطحيًا!

المنتحر دون وجه حق، ليس للإنسان حق في إنهاء حياته، الانتحار هو طلب الخلود والبطولة، أو الانتحار يشجع الآخرين على الانتحار الخ. بدءاً، أنا اعتبر نفسي من بين أولئك الناس الذين ينشدون عالماً أكثر إنسانية، وهذا لا يأتي إلا بالتشهير عن السواعد ومقاومة هذا النظام الرأسمالي المقلوب، لا يأتي إلا بالاصرار والإرادة الموحدة والواعية لجموع البشر. وللانصاف، نرى هذا الأمر أيضاً وان يكن هامشياً بين ثنايا المقتطفات والتصور الخاطيء.

ولكن ان ننتهز وفاة شخص لألقاء اللوم عليه/ها بغض النظر عن سبب الوفاة وظروفه هو امر غير انساني الى اقصى الحدود. لا افهم كيف يمكن لأنسان ان تكون مشكلته مع الشخص الذي يقدم على الانتحار وليس مع الظروف الاجتماعية والاقتصادية والنفسية التي يخلقها المجتمع للفرد المنتحر. ان قضية البشرية هو محاربة كل الظروف التي تجبر سارة وغيرها على الانتحار. مشكلتنا هي عدم وجود شخص او جهة تساعد شخص يمر بوضعية تجبره على الانتحار مثلما حدث مع سارة؟ اذ يسبق معظم حالات الانتحار علامات تحذير لفظي أو سلوكي من الشخص الذي يمر بوقت عصيب جدا قبل الانتحار. والانتحار بالذات يهز المشاعر الانسانية لأنه عادة ما يكون غير متوقع والانتحار يسبقه شعور ساحق بالضيق ومشاعر سلبية شديدة للغاية وانسداد كل الخيارات امام الشخص بحيث تصبح الحياة لا تطاق. في مواجهة انتحار انسان، يجب ان نشعر كلنا بالخزي بدلا من نقد المنتحر. إذا أطلق شخص له موقع في المجتمع رأي مثل الآراء التي طرحت على وسائل التواصل الاجتماعي من قبل شخصيات وفعالين يساريين وعلمانيين، في بلد متحضر سوف يجبر على الاستقالة ويفقد وظيفته بدون شك. لان مثل هذه الآراء تدل على عدم حساسية منقطة التنظير تجاه مشاعر الآخرين وإنقاص من انسانيتهن. ينتحر ما يقارب 800000 شخص كل عام حول العالم. ولكل شخص ينجح في الانتحار، هناك عشرين محاولة انتحار فاشلة، أي ان 16 مليون انسان يحاول الانتحار سنويا. ويعاني 10.7% من سكان العالم، أي 792 مليون انسان، من امراض نفسية، والكثير منهم تراوده أفكار انتحارية على الاقل في مراحل معينة. ويصاب ما يقدر بنحو 17.3 مليون بالغ في الولايات المتحدة أي 7.1% بنوبة اكتئاب واحدة على الأقل في حياتهم، ومعدل القلق هو اعلى في المجتمع بمرات والكثير من هؤلاء تراودهم أفكار انتحارية في فترات معينة ايضا. ويقوم أكثر من 40 ألف امريكي بالانتحار سنويا. وكان الانتحار ثاني أكبر سبب للوفاة في الفئة العمرية 15-29 عاماً على مستوى العالم في 2016. ان المنطق الذي يصف هؤلاء كلهم بقلة الشجاعة وبحملهم مسؤولية الانتحار يرتقي الى منطق النازيين الذي دعوا الى التخلص من المعوقين او يدعون الان الى التخلص من كبار السن. لحسن الحظ ان البشرية بدأت تتخطى هذا التفكير الذي عفا عليه الزمن. لذا تجد بان منظمة الصحة العالمية والسلطات الصحية في مجتمع مثل المجتمع الاسترالي مثلا تجعل من تقليل نسبة الانتحار أولوية رغم كل المشاكل التي تواجه جهودهم في ظل النظام الرأسمالي. ولنفترض صحة الادعاءات التي تقول بان الانسان الذي يفكر بالانتحار او الذي ينتحر هو شخص "غير شجاع"، "يائس" وضعيف الارادة، فهل من الشهامة والإنسانية وهل يعقل ان ننتقد الشرائح "الضعيفة" في المجتمع ونصدر احكام قاسية ضدهم؟ ان مدينة أي مجتمع تقاس بمدى اهتمامه بالشرائح "الضعيفة" فيه.

من الناحية السياسية، ان هذا النوع من الكلام هو كلام أقصى اليمين البرجوازي في كل المجتمعات. حتى في الدول المتقدمة يطلق التيار اليميني- النيو ليبرالي الذي يتحدث كثيرا عن "المسؤولية الشخصية" والذي يفسر الفقر، التشرد، الامية وقلة التعلم، البطالة، الامراض النفسية والانتحار الخ

على أساس كونها مسائل فردية متعلقة بشخصية ونفسية واردة الفرد. كيف سيفسر نظام متعفن ظاهرة بهذه الضخامة؟ طبعاً عن طريق القاء اللوم على الفرد! ان اهم دليل على كون مسألة الانتحار هي مسألة النظام والمجتمع هي حقيقية ان 79% من حالات الانتحار العالمية حسب منظمة الصحة العالمية، تحدث في البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل. بالإضافة إلى ذلك، فإن مواجهة النزاع أو الكارثة أو العنف أو سوء المعاملة أو فقدان الشعور بالعزلة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالسلوك الانتحاري. كما ترتفع معدلات الانتحار بين الفئات الضعيفة التي تعاني من التمييز مثل اللاجئين والمهاجرين، السكان الأصليين؛ الأشخاص من المثليات والمثليين، مزدوجي الميل الجنسي، مغايري الهوية الجنسية، حاملي صفات الجنسين والسجناء. إن الشباب من المثليات والمثليين ومزدوجي الميل الجنسي ومغايري الهوية الجنسية هم أكثر عرضة لخطر التصرف بناءً على أفكار انتحارية من غيرهم نتيجة للتمييز الهائل الذي يتعرضون له حتى في الدول المتقدمة. من المهم أن نفهم أن الحياة الجنسية أو الهوية الجنسية للشباب ليست هي التي تؤدي إلى الانتحار. إن تجارب التمييز والتحيز والعزلة ورفض الأسرة لهم بسبب نشاطهم الجنسي هي التي تزيد من خطر الانتحار. وقد ثبت أن قبول الأسرة والمجتمع يحمي من الاكتئاب، والسلوك الانتحاري، وتعاطي الكحول والمواد المخدرة، وتعزيز احترام الذات والصحة العامة. الأهم من كل هذا ان معدل الانتحار مثل الامراض الاجتماعية الأخرى يزداد مع صعوبة الأوضاع الاقتصادية وتفكك الأواصر الإنسانية والمجتمعية والعائلية. كل هذه المعلومات تدل ان الانتحار هو بشكل عام مسألة مجتمعية أكثر مما هي فردية.

ووفقاً لمنظمة الصحة العالمية، هناك امكانية حقيقية لمنع حالات الانتحار من خلال التدخلات المناسبة في الوقت المناسب والقائمة على الأدلة، وغالباً ما تكون منخفضة التكلفة. غالباً ما تكون مخاطر الانتحار المتزايدة قصيرة المدى ومحددة الحالة، ويمكن منع الانتحار بالوصول إلى الدعم في الوقت المناسب، ويمكن ان يعود الشخص الى نمط المعيشة الطبيعي. ولكن رغم هذا أدرجت دول قليلة فقط الوقاية من الانتحار ضمن أولوياتها الصحية، ولدى 38 دولة فقط استراتيجية وطنية للوقاية من الانتحار.

من الناحية الطبية، ليس لهكذا تقييمات اي اساس علمي. الانتحار هو مسألة اجتماعية وصحية معقدة وخطيرة جداً، ويتطلب ابداء الرأي فيها دراية واسعة بعلم النفس وعلم الاجتماع. لا يمكن للمختصين الذين يقضون عشرات السنين في هذا المجال من ابداء رأي حول "شجاعة" و"جبن" و"نرجسية" الاشخاص الذي يقدمون على الانتحار، لسبب بسيط لان هذه الظاهرة هي معقدة وشائكة جداً والانسان هو بحد ذاته كائناً معقداً. اذ تجد الكثير من الذين فشلوا في الانتحار أكثر الناس تفاؤلاً وقادة في المجتمع في اعوام لاحقة، وان الكثير ممن يقدمون على الانتحار ويفشلون، يؤدون حياة ناجحة وقد يكونوا اناس بارزين، اي لا يعانون من أي "ضعف في الإرادة". من جهة اخرى، ان قدرة الشخص على مقاومة الضغوطات والظروف الصعبة تختلف من وقت الى اخر. كما ان معظم المهارات التي تساعد الانسان على التعامل مع المصاعب والضغوطات هي مهارات يمكن كسبها، ولكن للإنسان بشكل عام حد من التحمل، إذا تخطاه، سوف ينهار، وقد يقدم على الانتحار.

تدل الدراسات ان الحديث عن الانتحار لا يشجع الاخرين على الانتحار، بل العكس يقلل خطره. كما ان انتحار شخص لا يشجع الناس على الانتحار. الانتحار هو ليس تجربة بسيطة مثل تعاطي الماريوانا مثلاً لكي يقدم عليه الانسان ببساطة بمجرد ان شخص أقدم على الانتحار او لان هناك

قضية معقدة... تناول سطحي!

نقاش حول الانتحار. في الغالب، يلجأ الانسان الى الانتحار فقط عندما تنقطع كل السبل امامه، ويصبح الألم لا يطاق. هناك حالات نادرة لانتحار اكثر من شخص او انتحار جماعي او ما يشبه تقليد الاخرين في الانتحار، ولكن هذه الحالات، ورغم ندرتها، الا انها تنبع اما عن قناعات ايولوجية وفكرية او ان المنتحرين يشاركون نفس الظروف القاسية. عدا ذلك فان انتحار انسان ما لا يشجع الاخرين على الانتحار.

من ناحية أخرى، في الحياة العملية، عندما اسأل شخص تراوده افكار الانتحار، ما الذي منعك من الانتحار لحد الان؟ ان احد أكثر الإجابات التي اتلقاها هي: "ليس لدي الشجاعة الكافية لكي انتحر"، إضافة الى عوامل أخرى مثل تأثير الانتحار على الاخرين. لا اريد ان اعمم، ولكن بنظري ان قلة الشجاعة هي ليست سبب الانتحار. اما ليس للانتحار أي ربط بالشجاعة او ان الانتحار يحتاج الى درجة من الشجاعة. بعض القادة في المجتمع الذين يتمتعون بإرادة قوية ينتحرون، (هتلر انتحر). من جهة أخرى، النظر الى الانتحار على أساس كونه حق من عدمه يحتاج الى عقل مشوه. ليس في انتحار انسان حقوق. هناك اشخاص يقومون بالانتحار بعد تشخيصهم بمرض يحد من قدرتهم على العناية بأنفسهم، من اجل ان لا يكونوا عالة على الاخرين، فالانتحار ليس فيه نرجسية مثل ما يصوره البعض.

مثل أي صفة إنسانية أخرى، ان قدرة الانسان على مقاومة المصاعب لها أسباب جينية، ولكن تؤكد الدراسات بان الغالبية العظمى من الذي يقدمون على الانتحار قد تعرضوا الى تجارب مريرة خاصة في الطفولة. والكثير من عوامل الخطورة مثل الكآبة والمخدرات والافراط في تناول الكحول هي مسائل معقدة تشترك الجينات والبيئة في خلقها بحيث تكون في معظمها خارج إرادة الشخص. تكون بعض عمليات الانتحار على شكل فعل متهور في وقت الازمة وخاصة عند الذكور وتزداد هذه الظاهرة عند الأشخاص الذين يصابون بتلف في الدماغ وهم في رحم امهاتهم لاسباب مثل كثرة تناول الكحول من قبل الام، وهو امر خارج سيطرة الشخص نفسه.

من الواضح ان سارة مرت بحياة عصبية جدا نتيجة لميولها الشخصية وهويتها الجندرية ونضالها وأرائها السياسية بشهادة الذين يعرفونها، ومن ضمنهم حزب العيش والحرية (قيد التأسيس)، والذي كانت سارة عضوة مؤسسه فيه. اذ يصفها هذا الحزب في رسالة نعيه "مدافعة عن حقوق قضايا الميم". ويقول " أن سارة قادت عدة حملات من أجل مناهضة التحريض ضد مجموعات الميم في مصر، كما شاركت في عدة حملات تضامنية مع سجناء الرأي خاصة من الكتاب والفنانين الذين تعرضوا للقمع بسبب آرائهم". وأضاف : "كانت سارة مؤمنة بحق الجميع في العيش بكرامة وحرية دون استغلال طبقي أو تمييز مبني على النوع أو الهوية الجنسية. وكانت تعبر عن آرائها بشجاعة نادرة لم نستطع دائما مواكبتها. فقد كانت أكثرنا جسارة وإخلاصا في الدفاع عن القضايا التي تؤمن بها مهما بلغت حساسيتها، مثل قضايا التنوع الجنسي والجندري، وكنا خلفها بخطوات عديدة." كما يتطرق البيان الى الاضطهاد الذي تعرضت له حيث يشير الا انها سجنحت في مصر أكثر من ثلاثة أشهر في 2017 من قبل قوات الامن المصرية وهي التجربة التي وصفتها سارة بانها اكثر تجارب حياتها قسوة. وهناك ما يشير الى انها تعرضت الى تعذيب وتجاوزات جنسية. وبعد كل المضايقات، قررت الهجرة إلى كندا، وقد شكل السفر الم كبير لها بسبب الغربة والفراق، وتوفت أمها وهي غير قادرة على توديعها. دعونا نذكر بعض عوامل الخطورة للانتحار المعروفة التي تعرضت لها سارة. يكفي كل واحد منها ان يؤدي بالشخص الى الانتحار:

التعرض للإساءة أو التخويف (الجسدي أو العاطفي أو الجنسي)

خسارة كبيرة منها خسارة علاقات مهمة (خسارة علاقاتها الاجتماعية والحياة التي ارادت عيشها في مصر)

ضغوط الحياة الرئيسية (مشاكل قانونية مع السلطات)

وفاة أحد أفراد الأسرة (وفاة والدتها)

التعرض المستمر لسلوك البلطجة مثل البلطجة الإلكترونية

النبد والاحتقار من قبل الآخرين

السؤال هنا هو ماذا يعطي أي انسان الحق في إطلاق كلام واحكام بذيئة بحق انسانة لا تعرفها عن قرب وهي مرت بهذه التجربة؟ كتقليدنا في الشيوعية العمالية، ندين بشدة هذه الآراء والاحكام والمواقف غير المسؤولة وننبذها.

الاسلام السياسي
وازمنة الرسوم
الكاريكاتيرية
والغرب



سمير عادل

الافتتال على الهوية

ما بين الإسلام (المعتدل) والإسلام (المتطرف)

عشية ذبح المدرس الفرنسي وقبل ايام كتبنا مقال (الارهاب الاسلامي لنا، والعلمانية والامان لهم)، وقد تناولنا تحليل تصريحات امانويل ماكرون الرئيس الفرنسي حول انعزالية الاسلام وانفصاليته، وقد اثبتت وقائع الجريمة التي حدثت بحق المدرس الفرنسي و العمليتين الارهابيتين الاخيرة في مدينة نيس ثم في فيينا صحة ما ذهبنا إليه وهو؛ لا يمكن التحدث عن العلمانية وحقوق الانسان وحصرها بمنظور وإطار محلي. ولا يرتبط الدفاع عن حرية التعبير الذي يصر عليه ماكرون بإعادة نشره كاريكاتير مجلة "تشارلي ابيدو" التي تسيء إلى النبي محمد كما يصفه معارضيه من الإسلام السياسي مثل اردوغان ومشايخ الازهر وقادة حماس وانضمت اليهم مؤخرا مليشيات الحشد الشعبي في العراق الملطخة ايديهم بدماء المتظاهرين والхамنئي الذي اغلق حسابه على التويتر بسبب التحريض ضد الفرنسيين وضد ماكرون، نقول لا يرتبط ذلك الدفاع بالحدود الجغرافية لفرنسا وبغض النظر عن الاهداف الكامنة وراء ذلك الدفاع، بل يرتبط بالبشر الذين يعيشون خارج تلك الحدود وصولا الى مناطق الشرق الاوسط. وطالما ظل الغرب بانظمتة السياسية يدعم الانظمة القروسطية والاستبدادية التي تتبنى الإسلام كدين للدولة وتنظيم المجتمع، فلن تسلم المجتمعات الغربية من الارهاب بنفس القدر التي تعاني منه شعوب منطقتنا في الشرق الاوسط.

في هذا المقال سنحلل ما وراء الصراع على الهوية الاسلامية او محاولة لإنقاذ الإسلام كأيديولوجية سواء من قبل الانظمة السياسية الحاكمة مثل السعودية وايران وتركيا ومؤسساتها الرسمية مثل الأزهر واقلامها المأجورة المصطفة في مراكز الدراسات والجمعيات الاسلامية والتي يسميها الغرب بالاسلام المعتدل، او من قبل ما يسمى بالاسلام المتطرف مثل منظمات وأحزاب كالقاعدة ودولة

الافتتال على الهوية

الخلافة الإسلامية (داعش) وواجهتها العلنية من الجمعيات الإسلامية المنتشرة في طول الغرب وعرضه .

التضليل بالمقولات؛ الإسلام المعتدل والإسلام المتطرف:

ليس هناك اختلاف بين الإسلام (المعتدل) والإسلام المتطرف) الا بدرجات كما يقول الكاتب نصر حامد أبو زيد في كتابه (نقد الخطاب الديني). وطبعاً وصف الإسلام بالمعتدل أو بالمتطرف يأتي حسب مقتضيات المصالح الاقتصادية والسياسية والصراع على النفوذ بين الأنظمة السياسية البرجوازية الحاكمة. وهنا لا نضيف أي شيء جديد، إذا قلنا على سبيل المثال، ان النظام السعودي الذي يحكم بالقرآن ويعاقب بالسيف ويطبق الشريعة الإسلامية بشكل اقل وطأة من داعش، فهو يتبنى الإسلام المعتدل) طالما لا يعادي مصالح الغرب، وطالما يقبل بالقسمة التي يعطيه الأخير له ، وأن نفس الايديولوجية الإسلامية تتحول الى متطرفة عندما تنافس الغرب على حصته العالمية من المصالح الاقتصادية والنفوذ السياسي. فالجمهورية الإسلامية التي تحكم بالشريعة الإسلامية وبنفس القوانين السعودية الإسلامية ولكن بنسختها الشيعية ، هي متطرفة ويسمى كل من تدعمهم بالجماعات المتطرفة والمليشيات المتطرفة حسب وصف الإعلام والخطاب السياسي الغربي ولا يختلف عن وصفهم للقاعدة وداعش. اي ان حرب المقولات والتضليل بها هو جزء من الصراع السياسي والايديولوجي بين هذه الأنظمة.

لنتفحص عبارة (الإرهاب ليس له دين)، هذه العبارة او الجملة التي ابتكرها علماء ومشايخ وحكام السعودية وسوقتها الدولة السعودية عبر خطابها السياسي والإعلامي الى العالم، واصبحت الشعار المركزي لقناة "العربية" وبقية القنوات الممولة بأموال النفط السعودي. هذا الشعار هو لتغليف الايديولوجية الإسلامية بكمامة الوقاية او درع الحماية من الحملات السياسية والايديولوجية من قبل المناهضين والمعارضين للتيارات الإسلامية بجميع اتجاهاتهم التي تسمى المتطرفة او المعتدلة منذ أن اجتاحت العالم موجة سخط و غضب اثر تفجيرات 11 أيلول 2001 في نيويورك وواشنطن. وطبعاً انظم كل (اسلام) الأنظمة السياسية الحاكمة سواء بأغلفتها الإسلامية والقومية العربية الى هذا الخطاب وايدته وظلت تردده في جوقه سمفونية واحدة مع اختلاف المايسترو وطبعاً. فالازهر الممول الأيديولوجي والداعم الرئيسي لكل أشكال الإسلام السني، والجمهورية الإسلامية في ايران والسعودية، والمنظمات والجمعيات الإسلامية الممولة قطريا واماراتيا، ومنظمات تعمل بشكل باطن لحماس وحزب الله. الخ كلها انضمت الى هذه الجوقة وتردد ان (الارهاب ليس له دين). ولكن السؤال الذي يطرح نفسه من اين يستمد هذا الارهاب ايديولوجيته ومبرراته الذي يضرب فرنسا والمانيا وبريطانيا وبلجيكا وامريكا، وقبلهم العراق وسوريا وتركيا.. من دول العالم؟ من أين يستمد هذا الإرهاب حقانيته وعلى أية قاعدة اجتماعية يستند؟ لماذا تحول الارهاب بالمعنى والوصف الإسلامي الى معضلة عالمية بالنسبة للدول الغربية قبل الشرقية !

وفي الوقت نفسه ان الأنظمة الإسلامية الحاكمة في الشرق وكذلك الأنظمة القومية العربية التي وضعت الإسلام في وعاء خزفي لتخميره واستخدامه عند الحاجة، فهي ليست على استعداد للتخلي عن الإسلام من دساتيرها وشرائعها السياسية والاجتماعية ولذلك تحاول دائماً تنظيف صورة هذه الايديولوجية، اما عبر تزوير التاريخ الإسلامي او عبر دفع اموال لايجاد تفسيرات جديدة للآيات القرآنية او طمس احاديث نبوية معينة و ابراز غيرها او ايجاد صيغة جديدة وهي (العنونة) لتفسير

آيات قرآنية أو ابتكار أحاديث جديدة عن فلان و فلان وعن إعلان، لأنها لا تملك غيرها كهوية احتياطية في مواجهة الجماهير المتعطشة للحرية والرفاه والامان، ولا تملك أدوات اخرى في تعبئتها في مواجهة صراعها على المصالح الاقتصادية والسياسية في المنطقة. ورب سائل يقول لنا وماذا عن القومية كأيديولوجية، الا يمكن ان تكون اداة او سلاح امضى من سلاح الدين لتحقيق الأهداف التطبيقية للبرجوازية الحاكمة؟، والجواب هو أن القومية لا تصلح في كل الازمان والمراحل التاريخية، فهي لا تنفع مثل الدين في كل زمان ومكان. وبالمناسبة ان الصراع المحتدم الذي نراه اليوم في فرنسا بين ماكرون وبين الإسلام الانعزالي والانفصالي كما يصفه، لا يمكن للقومية أن تجد مكانا لها فيه ، لأنها هوية غير مطاطية مثل الدين، وفي نفس الوقت لا يمكن رفع راية المسيحية في مواجهة الاسلام، اي استخدام نفس السلاح، لأنه لا يمكن إقصاء الايديولوجية الدينية بمثلها، والا خسرت معركتها محليا وعالميا. وعلى الرغم من أن السعودية ومشايخها استخدمت خطابها الطائفي الديني في مواجهة الخطاب الطائفي الديني لإيران في صراعهما على النفوذ السياسي في العراق وسوريا والمنطقة، وبالرغم من تمكن الطرفين لفترة من الزمن تغليف الحرب الاهلية في العراق وفي سوريا وكل الصراع السياسي في المنطقة بالهوية الطائفية، بين الإسلام السني والاسلام الشيعي، الا ان الهوية الطائفية الدينية لم تصمد الا لسنوات قليلة، وسرعان ما استبدل ذلك الصراع الطائفي بمقولات (الارهاب) و(التطرف). ولذلك نجد ماكرون عاد ليدافع عن العلمانية ورفع راية العلمانية في مواجهة الاسلام وليس مثل ديفيد كاميرون عندما أعلن يجب الحفاظ على الهوية المسيحية لأوروبا فلم يجد له اذان صاغية. وقد فصلنا عنه كثيرا في مقالنا السابق.

فلننظر الى تصريحات اردوغان الذي يقف وراء التصعيد الاخير في خطابه الحاد ضد ماكرون والمنتجات الفرنسية في المنطقة وحتى العالم، فبسبب الصراع على منابع الطاقة في الشرق الأوسط وفي شمال افريقيا وتحديدا في ليبيا، بين فرنسا التي تريد ملء فراغ تراجع النفوذ الأمريكي في المنطقة وزعامة الاتحاد الأوروبي وبين تركيا التي تحاول قيادة النفوذ الاقليمي، استطاع اردوغان تحريك مستنقع الاسلام السياسي الراكد وتسويق نفسه مدافعا عن الإسلام وبغض النظر عن درجته سواء كان معتدلا أو متطرفا. لان الصراع يجب ان يغلف ايديولوجيا سواء ضد معارضية حاملي الراهة العلمانية في الداخل التركي او على صعيد منافسة العالم الاسلامي بشقيه السني والشيعي وكسب مصداقية دعاياته الكاذبة حول صراعه في الشرق الاوسط. وقد دفع الخطاب السياسي لأردوغان بوقفه ضد نشر رسوم الكاريكاتير، السعودية التي التزمت طوال فترة تصريحات ماكرون ضد الإسلام الانعزالي والانفصالي، وهي المؤيدة لمواقف فرنسا في مساعيها لتقليل اظافر تركيا-اردوغان، نقول اجبرت السعودية على اصدار بيان تدين مساعي نشر الكاريكاتير المذكور الى جانب الجمهورية الاسلامية في ايران وحلفائها من القوى الاسلامية الشيعية مثل حزب الله.

لذلك إن الدفاع عن الإسلام بدرجاته المختلفة، المعتدل والمتشدد والمتطرف، هو دفاع عن الهوية وبغض النظر عن يحملها او يرفع لواءها. فدولة الخلافة الإسلامية و طالبان والقاعدة هي أكثر الجماعات التي تدافع عن الصفاء والنقاء الأيديولوجي للإسلام كدولة دينية ودولة سياسية التي أسسها محمد، وهي لم تبتكر من عندها عملية قتل الاسرى في سبايكر عام 2014 او كما فعل الخميني في قتل الاسرى العراقيين في مدينة الخفاجية او سوسنكرد في عام 1982 اثناء الحرب العراقية-الارمنية او فرض الجزية على المسيحيين او سبي النساء الايزيديات او الرجم بالحجارة لكل من تمارس الجنس خارج مؤسسة الزواج الرسمية او تعدد الزوجات وعشرات الامثلة التي سمعنا عنها وعشنا ايامها في دولة داعش او في دولة طالبان... الخ. أما السعودية والجمهورية الاسلامية والامارات وقطر وتركيا

الافتتال على الهوية

فإنها تدافع عن الإسلام القادر على التكيف فكريا واجتماعيا في عصرنا هذا وبحدود قابلة لغض الطرف أو يمكن السكوت عن الخدوش التي تحدثها مفاهيم حقوق الإنسان والمساواة بين البشر وحقوق المرأة طالما لا تهدد عروشها. اي تقبل أن يقدم الإسلام الايديولوجي تنازلات شكلية لمتطلبات الصراع السياسي والاقتصادي مع منافسيها. والغرب ليس لديه مشكلة مع هذا النوع من الإسلام الذي هو مصدر الارهاب الى العالم وهو أي الغرب بانظمتها السياسية التي روجت إعلاميا وسياسيا لذلك النوع من الإسلام.

وطبعا لكلا الطرفين أي الإسلام المعتدل والإسلام المتطرف مصالح مشتركة ومتطابقة بالدفاع عن هذه الهوية، في مقابل معارضيها ومنافسيها، وفي طمس الصراع الطبقي وتعمية العيون حول الأسس الطبقة التي يستند عليها هذا الصراع. فبدلا من أن يوجه العامل نضاله نحو الهجمة التي تشنها الأنظمة السياسية الحاكمة في إيران و إقطاعات الخليج وفرنسا والمانيا وامريكا وتركيا على أمنه وسلامته ومعيشته، باستقطاع الاجور او طرده من العمل كما أماط عنه اللثام كوفيد 19، يتحول الى وقود صراع لهذه الانظمة. حقا إنه من السخرية عندما يدعو دهاقنة الإسلام السياسي الى مقاطعة المنتجات الفرنسية، ولكنهم لم يحددوا اية منتجات؛ هل الشراب الفرنسي او الأجبان الفرنسية او العطور الفرنسية او الازياء الفرنسية التي ليست بمتناول يد الملايين من عمال ومحرومي الشرق الاوسط الذين لا يحصلون بالكاد حتى على خبز يومهم كي يسكنوا الام الجوع التي تعتصر بطونهم الخاوية. ان هذه المنتجات هي جزء من نمط حياة الطبقة البرجوازية الحاكمة في تلك البلدان المتصارعة، فهل يتصور أحد أن حجم التبادل التجاري الذي بلغ بين فرنسا وتركيا 6 مليارات دولار ونصف المليار يمكن مقاطعته من قبل دولة فرنسا العلمانية أو دولة أردوغان الاسلامية!.

مقولة (الإسلام السياسي) بين الجماعات والدول:

قبل الكشف عن اللغظ والديماغوجية المفتعلة حول استخدام مقولة (الإسلام السياسي) التي يقف ورائها صراع سياسي ، نوضح بشكل لا لبس فيه، ودون اية مزايده انه اي الإسلام السياسي يعني توظيف الإسلام كأيديولوجية في التعبئة الفكرية والسياسية والاجتماعية لتحقيق هدف الوصول للسلطة او البقاء فيها أو الحفاظ عليها.

ان المنافسة المحتدمة اليوم بالدفاع عن الإسلام في مواجهة علمانية ماكرون هي بين الأزهر الذي هو جزء من الدولة العسكرية المصرية التي يقودها السيسي وبين منافسه اردوغان عراب الاخوان المسلمين في العالم. وقد اجبرت هذه المنافسة السعودية والجمهورية الاسلامية في ايران وقوى سياسية شعبية اخرى في العراق بالدخول على خط المزايدة والدفاع عن الإسلام بوجه توجهات ماكرون. فالأزهر وهو أساس نشر الإرهاب في العالم عبر مناهجه الدراسية واحد الاعمدة الرئيسية في نشر الفكر الارهابي الى جانب الوهابية السعودية والشيعية الايرانية، يحاول انقاذ الهوية الايديولوجية للإسلام من جانب ورفع رايته من جانب اخر لعدم افساح المجال او تحجيم دور الإسلام الاخر المنافس له وهو اسلام الاخوان المسلمين الذي يقوده اردوغان. وعلى جانبي الصراع تتغذى الجماعات التي يسميها الإعلام الغربي والإعلام الرسمي السعودي والإماراتي والمصري الإسلام السياسي او الإسلام المتطرف او المتشدد، يسمن ويقوي مخالفه.

ان الملفت في هذه المنافسة هو محاولات اطرافها حصر الارهاب الرسمي بجماعات الإسلام

السياسي المنافسة لهم مثل الاخوان المسلمين او داعش او القاعدة، بينما تحاول جاهدة النأي بنفسها وتسويقها على انها بعيدة عنه. وكي تخفي ادوات الجريمة تنتج برامج وتنظم لقاءات مع كتاب علمانيين وتلقي الأضواء على افكارهم ونتاجاتهم الثقافية عبر فضائياتها الى جانب شعارها المركزي (الارهاب لا دين له). ووفق سياستها الجديدة والممنهجة، تحاول من وراء هذه السياسة تسويق العلمانية لا كي تكون هوية دولها بل لكي تكون ذراعا لها وزخما اجتماعيا الى جانبها للوقوف بوجه الاسلام السياسي الممول قطريا والمدعوم من تركيا سياسيا، ومن جانب اخر تحاول تنظيف صورتها التي تلطخت بدعمها للجماعات الاسلامية الارهابية منذ الحرب الباردة في ثمانينات القرن الماضي وخاصة في تجنيدها لآلاف من الشباب وعبر السفير الامريكي في القاهرة وارسالهم الى أفغانستان لقتال الروس و(الشيوعية الملحدة).

تعتبر السعودية والإمارات اساس دعم كل جماعات الإسلام السياسي السني الارهابية في العالم. وفي منتصف عقود القرن الماضي، كانت تحتضن الاخوان المسلمين وتدعمهم ماليا وتوفر لهم الأمن والأمان لشخصياتهم وكوادرم عندما كان التيار الناصري يقود الحركة المعادية للاستعمار وضد هيمنة النفوذ الغربي في الشرق. ويجدر بالذكر ان تحقيق اجراء الكونغرس الامريكي عام 2016 ورفعت السرية عن قسم منه يشير الى تورط 15 شخص يحملون الجنسية السعودية من أصل 19 بأحداث الحادي عشر من أيلول الارهابية الى جانب حصولهم على دعم مالي من قبل متنفذين في الطبقة السياسية الحاكمة، مما دفع محكمة امريكية الى مقاضاة الحكومة السعودية لدفع مبالغ قدرت بمليارات الدولارات حسب قانون جاستا لاهالي ضحايا العملية الارهابية. وطبعاً لا نذكر قطر وتركيا فهي مصنفة بشكل رسمي من الطرف الآخر بالإرهابية لدعمها وقيادتهما لجماعات الاخوان المسلمين ماليا وسياسيا وعسكريا ولوجستيا. وقد لعبت هذه الدول الاربعة دورا في نشر الارهاب الاسلامي السني على صعيد العالم، وساهمت في تشكيل وتجنييد وتقديم كل أشكال الدعم للجماعات الاسلامية الارهابية في سورية والعراق.

بمعنى اخر ليس صحيحا او من التضليل حصر تصنيف الإرهاب بجماعات (الإسلام السياسي) في اوربا وامريكا او في العراق وسورية او حتى في السعودية، كما تحاول اليوم وتحديد الامارات والسعودية والازهر حصر الإرهاب بجماعة الاخوان المسلمين بسبب الصراع على السلطة. طبعا استغلّت جميع هذه الدول اعادة نشر الصورة الكاريكاتيرية المذكورة للتلويح للغرب بأن لديها ما يمنع تهميشها سياسيا واقتصاديا (انظر المقال السابق والمنشور في هذا العدد -الارهاب الاسلامي لنا، والعلمانية والامان لهم). ان جميع تلك الدول عملت بشكل او بأخر على استعمال الاسلام كأيدولوجية في تعبئة مجتمعاتها سياسيا واجتماعيا، وتستخدمها عند الحاجة، وهي الأساس في تنظيم أمور الدولة والمجتمع. إن حصر الإرهاب رسميا بالإسلام السياسي كجماعات هي عملية مغرضة ومظللة كي تيرئ ساحتها من نشر ودعم الارهاب الاسلامي على سطح المعمورة، وكي تكون بمعزل او بمنأى عن تجريدها من سلاحها الاسلام من قبل الجماهير المتعطشة للحرية في بلدانها وتأسيس دول ذات هويات علمانية تعمل على فصل الدين عن الدولة والتربية والتعليم وتعامل البشر على أساس الهوية الانسانية والمواطنة. والحق يقال لقد استفاد الغرب بأنظمتها السياسية من الإسلام سواء صنف سياسيا او (سياحيا) كدول أو كجماعات لتوسيع هيمنته ونفوذه في الشرق، وكان افضل ادواته وأقوى حتى من الأسلحة التي صدرته اليه، بالوقوف والتصدي لمن يهدد مصالحه الاقتصادية والسياسية الى جانب ضرب الحركات والأفكار التحررية في تلك البلدان.

الالهوية والتقدیس، المشترك بين المعتدل والمتطرف:

ان اضعاء الالهوية والتقدیس على الشخصیات سواء تاريخية او آنية هو جزء متأصل في فلسفة وعقيدة الانظمة والجماعات الاستبدادية التي لا تقبل الجدل والنقد واستيعاب الفكر الاخر. وتستمد حقانية افكارها ووجودها لا من المحاجة المنطقية، بل من فرض القهر على المجتمع للرضوخ الى الامر الواقع، ويأتي بعد ذلك اضعاء الالهوية والتقدیس على رموزها سواء كانت فكرية او سياسية. وبدون هذه السياسة لا يمكن الدفاع عن حجج و"صحة" أفكارها وعقائدها وبالتالي وجودها السياسي والاجتماعي. ففي رواية (خريف البطريرك) يصف لنا الروائي الكولومبي غابريل غارسيا ماركيز المجتمع الذي يمضي كل شيء فيه بشكل طبيعي بالرغم ان الدكتاتور الحاكم قد لفظ انفاسه، وكانت العقبان قد اكلت وجهه وظهرت طفيليات عليه، اي مضى على موته فترة ولم تتغير الأشياء في المجتمع. وما أن كشف خبر موته، حتى انتشر الفرح بعد ذلك ونظمت الجماهير الاحتفالات الشعبية ورددت الاناشيد. وهذا يعني ان اساس وجود النظام المستبد مرتبط بالدكتاتور او شخصيته، وهكذا ايضا جسدت لنا مسرحية (الزعيم) عادل امام، فبالرغم من موت الطاغية الزعيم الا ان احلال اي شخص محله يشبهه هو الكفيل لادامة استمرار وجود النظام القائم. فالمهم الحفاظ على الرمزية وليس مهما ان كان الطاغية على قيد الحياة او غادرها ذلك من اجل الحفاظ على الوجود السياسي لذلك النظام. بيد ان العملية لا تقف عند هذه الحدود بل تتعدى ذلك الى التصوير كذبا ونفاقا بأن عملية تقدیس تلك الرمزية وتصويرها بأنها جزء من مشاعر فئة معينة من البشر إلى حد تقدیس المشاعر والهويتها على حساب مشاعر الأخر المعارض والمخالف. فمثلا تتحجج جماعات الإسلام السياسي والدول التي تدعمها، أن عرض صورة كاريكاتورية لأحد رموز الإسلام ينتهك مشاعر المسلمين، والسؤال فما بال مشاعر الفئة الأخرى المعارضة التي تضررت بشكل او بأخر من الجماعات الإسلامية، وتحاول تفریغ ما بداخلها من احتقان وغضب عن طريق صور كاريكاتيرية او مقال او رواية بدل من القيام بأعمال انتقامية. اليس تنفیس تلك المشاعر عن الغضب هو الأخر مقدسا. من اين جاء التصوير بأن مشاعر المسلمين اعلى من مشاعر الاخرين من البشر ويجب عدم المساس بها؟ مَنْ منح هذا المعيار وهذا الحق، او ليس هذا التصور هو نفس تصور تفوق العرق الأبيض عند العنصريين في امريكا، او تفوق العرق الالمانى النازي الذي قتل مئات الاف من اليهود وابداء جموع غفيرة من البشر. او لا يشبه هذا التصور ما جاء في كتاب (الاستشراق) لادوارد سعيد حول النظرة الدونية الاستعمارية لشعوب الشرق من قبل الغرب. او لا يتطابق هذا التصور مع كل من ينتقد السياسات الفاشية لدولة اسرائيل بأنه معادي للسامية. من صور هذه الحقانية واعتبرت مقدسات المسلمين ومشاعرهم فوق مقدسات ومشاعر الآخرين. الا يشبه ذلك تقدیس الهندوس للبقر، عندما تهاجم الفئات الدينية الأخرى البقر فتتحول الأمور إلى كوارث وحرب دينية وطائفية. ان الصفاقة والاستعلاء الى درجة السخرية بلغت في حقل المناقسة بين ازهر السيسى والمجلس العسكري الحاكم وبين اردوغان الاخوان المسلمين الى درجة يطالب أي الازهر بسن قانون عالمي يحمي مشاعر المسلمين و يجرم معاداة الإسلام.

ان تقدیس المشاعر وتأليها كذبا وزيفا هو سياسة دعائية ديماغوجية لإخفاء ما وراء حقيقة تقدیس الرموز التي تمثل تلك المشاعر، والتي لم تكن مقدسه حينها لا في حياة تلك الشخصيات ولا بعد مماتهم بعقود. الا ان اضعاء الالهوية على الشخصيات جاءت من الانظمة السياسية الحاكمة لممارسة سلطتها الجائرة على الجماهير. فعصر الخلفاء الراشدين الذي بدأ بما سميت حروب الردة كانت من أجل القضاء التشرذم السياسي وحسم مسألة الصراع على النفوذ والسلطة بين السلطة الجديدة المتمثلة

بابو بكر والقبائل الاخرى التي رفضت البيعة له والولاء وانتهاء بأغتيال علي بن ابي طالب، ثم الدولة الاموية ومن ثم العباسية والفاطمية والأيوبية وعلى ضفافها من السلاجقة والبيهيبيين وانتهاء بالعثمانيين، تفننت جميعها في قمع معارضيتها باسم الإسلام وصحيح الإسلام باستخدام ادوات تعذيب رهيبه الى جانب توظيف رجال الدين وفقهائه في اطلاق الفتاوى وتمجيد الامراء والخلفاء، وشن الحرب على جميع الفرق الفكرية والسياسية المعارضة في الاسلام بدءا من الخوارج والمعتزلة واخوان الصفا وآخرين. وقد دفع الكاتب المصري فرج فودة حياته ثمنا عندما كشف عن بعض ما حمله إلينا ذلك التاريخ في كتابه (الحقيقة المفقودة).

فتقديس الرمز يعني تقديس افكاره ومعتقداته وكل المنظومة الفكرية والسياسية التي اتى بها، ويعني حماية وجود تلك الأنظمة أو الجماعات التي تقوم على اساس تلك المنظومة. فنجد ان ظاهرة تقديس الرموز مرتبطة بتلك الانظمة الاستبدادية والجماعات الفاشية، وهذا ليس حكرا على الإسلام السياسي كدول أو كجماعات، بل لنتصفح التاريخ فنجد هتلر وموسوليني وفرانكو وستالين وبينوشيت وصادم حسين والقذافي والاسد والقائمة تطول، فالويل كل الويل لمن يوجه نقد لهم او ينال من صورتهم بشكل ساخر او يصورهم ككاريكثير، فمصيره سيكون في أعداد الذين لم يولدوا في هذه الحياة. ان الانظمة الاستبدادية والجماعات المستبدة، أيا كان التيار الفكري والسياسي الذي يمثلها، يكون اضعاء الالهوية والتقديس على رموزها شيئا مفروغا منه. وفي وقتنا الحاضر نجد حسن نصر الله ومقتدى الصدر والخامنئي وأردوغان وحتى شيخ الأزهر امثلة حية على وضع الالهوية والتقديس عليهم من قبل الدولة او فكر الجماعة... فلقد شاهدنا كيف ان جماعات حزب الله وفي ايام الانتفاضة في لبنان يهددون اي شخص بالقتل وبشكل علني امام وسائل الاعلام اذا انتقد نصر الله، ونفس الشيء الذي حدث في العراق في ايام انتفاضة أكتوبر حول مقتدى الصدر. وهكذا بالنسبة لاردوغان الذي يقاضي اي شخص ويرميه بالسجن لمجرد توجيه نقد لشخصه. انه السلطان العثماني الجديد الذي ورث مكان السلاطين، فهو يعلو ولا يعلى عليه، ويصح نفس الشيء على الخامنئي وشيخ الأزهر الممثلين الصالحين لله على الأرض وبغض النظر عن نسبة الصلاح فيهم.

ان مساعي ربط المشاعر بالشخصية الرمزية التاريخية هي جزء من الحفاظ على الهوية بالقمع والقهر والاكراه. ويلتقي كل الإسلام السياسي كجماعات ودول ومؤسسات حول هذه السياسة، مع اضافة درجة التعاطي كل واحد منها في حلبة المنافسة وازاحة الاخر. فكما قال لنا صادق جلال العظم في كتابه (ذهنية التحريم) ان فتوى الخميني في اباحة دم سلمان رشدي البريطاني من أصول باكستانية على اثر نشر روايته (آيات شيطانية)، تلك الفتوى العابرة للقارات كما يصفها، كان سببها عامل المنافسة على قيادة العالم الإسلامي مع جماعات الاسلام السني في باكستان وغيرها من الدول. وبنفس المعيار والمنطق نستطيع الاستنتاج أن الاحتجاجات التي اشتعلت ولكن بشكلها الفاتر هذه المرة ضد الدعوة لاعادة نشر الرسوم الكاريكاتورية لمجلة "تشارلي إيبدو" هو المنافسة بين الاخوان المسلمين الذين يقودهم أردوغان وبين الازهر الذي تقف خلفه دولة السيسي العسكرية المناوئة للإخوان.

ويفرض علينا هذا الصراع الديماغوجي حول الدفاع عن الإسلام بين الأزهر واردوغان، ان تشحذ الذاكرة قليلا كي نبين للقارئ التوافق الفكري لهذين الطرفين المتصارعين. لنعود قليلا الى الوراء، الى عام 2014 بعد اجتياح داعش لمدينة الموصل وإعلان دولة الخلافة الاسلامية وكان هناك مؤتمر صحفي لوزير خارجية تركيا أحمد داوود اوغلو صاحب نظرية (صفر-مشاكل) والمعارض الشرس اليوم لأردوغان صاحب نظرية (100% مشاكل)، ردا على سؤال أحد الصحفيين وهو ما موقفكم

الاقْتتال على الهوية

من داعش وما يحدث اليوم في العراق، أجاب أو غلوا ان هناك ظلم طائفي. فهو لم يدين عصابات داعش بل وفتت تركيا مؤيدة لهذه الدولة الوحشية، لانها تستمد قوتها من نفس الايديولوجية وخاصة بعد الثورتين المصرية والتونسية اللتين غيرتا المعادلات السياسية في المنطقة بغض النظر عما آل إليه مصير الثورتين. وكلنا نعلم كيف ان القنصلية التركية ظلت بمنأى عن اي خطر وتهديد من عصابات داعش في الموصل، واكثر من ذلك لعبت دورا في اطلاق سراح الاسرى الاتراك عند داعش. وتشير التقارير الاعلامية والاستخباراتية الى التعاون الوثيق في تهريب النفط العراقي والسوري الى تركيا بين الاستخبارات التركية وداعش. اي بمعنى اخر ان تركيا اردوغان الاسلامية دون الإسلام كأيديولوجية ليس لها معنى سياسي واجتماعي في خارطة الصراع على النفوذ الاقتصادي والسياسي في المنطقة. وفي هذا السياق نذكر ايضا ان نفس الأزهر وقف من داعش كما وفتت تركيا الاخوان المسلمين منه، فهو لم يقم بادانة او الوقوف بوجه دولة الخلافة الاسلامية لانها كما يقول او يبرر افعالها انهم اخوان في الدين.

الإسلام الدين والإسلام الأيديولوجية :

إن عبقرية الفكر الجهنمي في الانظمة التي كانت الايديولوجية الاسلامية جزء من بنائها الفوقي والاساس الذي قام عليها النظام السياسي والاجتماعي وعلى مر العصور التي انتهت بالخلافة العثمانية، تكمن بقدرتها على تحويل الايديولوجية الاسلامية الى جزء لا يتجزأ من الوعي الاجتماعي للمجتمع وبالتالي تحويلها الى شيء مقدس، وتصويرها اي تلك الأيديولوجية بأنها الإيمان الديني كعقيدة شعبية، فيها عدد من التعاليم اسوة ببقية الاديان الاخرى مثل الخير والشر ووجود الجنة والنار والثواب والعقاب.. الخ.

إن هذا المزج بين الدين الإسلامي كعقيدة ايمانية الإسلام كأيديولوجية هو نقطة قوة الإسلام المعتدل والإسلام المتطرف الذي تحدثنا عنها في هذا المقال، وهي ذخيرتهما الحية لتعبئة الجماهير (مشاعر المسلمين) في صراعهما مع التيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية المعارضة. ولذلك عندما يتحدث مشايخهم وفقهاؤهم وممثلهم السياسيين عن معركتهم مع فصل الدين عن الدولة، يعزفون على وتر الديمقراطية دائما؛ ان الاغلبية المطلقة للشعب مسلمة لتصل الى المعادلة النهائية: ان مشاعر المسلمين الذين هم الاغلبية لا تقبل الخدش. وعندما تكون الاقلية مسلمة مثلا في الدول الغربية، يتحدثون عن المطلق في الدين وقدسيتها الإسلام ورموزه وتعاليمه، ويجب أن يكون لها مجتمعات ومناطق معزولة وقوانين خاصة بها، وتنطلق من أن مشاعر المسلمين فوق قوانين المجتمع والدولة التي يعيشون فيها. اي بعبارة اخرى، فمن صنع تقديس المشاعر لا ذنب للمسلمين بها، بل انها نتاج قرون من العمل الفكري والسياسي والاجتماعي والقمعي للانظمة الاستبدادية التي حكمت بأسم المسلمين، وقد أعطت تصويرا كاذبا ووهميا حول تلك المشاعر. ان المشاعر الايمانية هي انعكاس سلبي لظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية معينة، تجد تعابيرها بعقل البشر، ولن تتحول الى مادة مقدسة إلهية غير قابلة للمس إلا بفعل السلطة السياسية المستبدة.

أين نقف من هذا الصراع؟:

ان نقد الاسلام كأيديولوجية وتعزية جذره الطبقي هو جزء من عملنا السياسي والاجتماعي. لان الايديولوجية الاسلامية جزء من البنية الفوقية للنظام الرأسمالي، وهي ليست اكثر من وضع طوق

الاسر والعبودية في رقبة الجماهير للحيلولة دون تحررها السياسي والاقتصادي والاجتماعي، كما تبشر بها البرجوازية ورجالات دينها الاسلاميين، فالقصور والفيلات والسيارات الفارهة والمدارس والجامعات الخاصة والمطاعم الفاخرة والثروات حكرا عليها في الدنيا اما العمال والكادحين والمحرومين فلهم الاخرة، وعلاوة على ذلك فان الجنة ليست مضمونة لهم لانها احد شروطها وهي اطاعة ولي الامر والحاكم حتى لو كان مستبدا.

ان المبررات التي تقدمها عدد من القوى السياسية ولفيف من مثقفيها، بدفاعها عن الدين بحجة عدم مس مشاعر المسلمين ويجب مراعاتها، فهي بالحقيقة بقدر ما انها تعبر عن انتهازية فاضحة بنفس القدر انها تحاول الدفاع عن الدين وتسايير البرجوازية كذخيرة احتياطية في توظيفها ضد معارضيهها. انه منطوق الطبيب الذي يخفي عن مريضه اصابته بمرض السرطان بحجة الخوف عليه من الصدمة، بدلا من مصارحة المريض كي يعد نفسه في مجابهة المرض وتداعياته الصحية والاقتصادية والاجتماعية.

والمسألة الاخرى التي تطرح علينا ايضا، لماذا لا نوجه نقدنا للمسيحية بنفس مقدار نقدنا للأيدولوجية الاسلامية، لان المسيحية كفت ان تكون متدخلة سياسيا واجتماعيا في حياة البشر منذ ان اطيحت بسلطتها السياسية والكنهوتية والاقتصادية ثورة عام 1789 العظيمة في فرنسا وغيرت وجه اوربا وقطعت اجنحة المسيحية وقوضتها. ان الثورة الفرنسية صفت حساباتها مع المسيحية وسنت اول دستور فيه حرية الالحاد ردا على كل السلطة القمعية التي مارستها الكنيسة لقرون ضد الفكر المناهض للأيدولوجية المسيحية، فكر التحرر العقلي والسياسي. فمثلا الكنيسة اكثر ما فعلتها في تعليق وردها على فلم (الاغواء الاخير للمسيح) المنتج عام 1988 عن رواية لاماركيز بنفس العنوان، بأنها استهجنته وغضبت منه ونددت به، وقامت جماعة مسيحية بالقاء قنبلة مولوتوف في صالة لسينما في باريس، ومنع لسنوات في الفلبين وسنغافورة، لكن لم يتعدى حدود الغضب الى حد المطالبة بسن قانون يجرم معاداة مشاعر المسيحيين او معاداة المسيحية لانها كفت ان تكون أيدولوجية لجماعات وانظمة سياسية معينة. وهذا لا يمنع من نقدنا للمسيحية كجزء من نقدنا للدين، ولكن ليس كما هو الاسلام الأيدولوجية التي هي ايدولوجية اكثر الاجنحة البرجوازية حثالة تصارع من اجل الوصول الى السلطة او الحفاظ عليها. ان نقدنا للاسلام كأيدولوجية هو من زاوية الخندق الطبقي للطبقة العاملة وليس من زاوية المثقف الليبرالي او من زاوية ليفف ممن لديهم شغف بالعلمانية، ومع هذا ليس معنى ذلك اننا لا ندافع عن حقهم بالتعبير بنفس القدر الذي ندافع عن حق اي شخص يعتقد بالاسلام بان يعبر عن رأيه طالما لا يمس ولا يسبب الاذى الجسدي والمعنوي لحياة الانسان، وهذا واضح في برنامجنا (عالم افضل) بشكل لا لبس فيه، حرية الالحاد وحرية التدين او الدين. يجب ان نعلم الجماهير ان الانسان مقدس، حياة الانسان مقدسة، كرامته مقدسة، امانه الاقتصادية والسياسي والاجتماعي مقدس.

ومرة اخرى نؤكد ان علينا ان لا نقع فريسة لتضليل الخطاب السياسي والاعلامي حول الارهاب ومصدره الفكري والسياسي الاسلامي ومصالح الدول المتصارعة فيما بينها. وفي نفس الوقت ان نضالنا نحو فصل الدين عن الدولة والتربية والتعليم، في بلداننا الشرق اوسطية وخاصة في العراق هو جزء من نضال البشرية في الارتقاء نحو اعلاء قيمة الانسان.

ولن نكن بمنأى عن الارهاب الاسلامي دون ان تكف الانظمة السياسية الغربية عن دعم الدول

الافتتال على الهوية

والجماعات الاسلامفة الارهابفة فف الشرق ومنطقتنا. واخفرا نقول؁ اعطنل مآتما ففه رفاه اقآصاءل وففه المساواة بفن البشر والحرفة بالمعنى المآلق؁ واعطنل تعلفما مآانفا من رفاض الاآفال آآل المراحل الجامعة؁ عندئذ آآآل عن وآود الءن كأفءفولوجفة مؤآرة فف آفة ذلك المآآم.



فارس محمود

الاهداف الحقيقية لما خلف

زوبعة اردوغان !

تصاعدت الحملات الاعلامية و"الشعبية" الشعواء المناهضة لسياسة ماكرون وفرنسا بعد احداث مقتل المعلم "باتي" ونشر الصور الكاريكاتيرية لمحمد.

تظاهرات، تجمعات، خطب نارية معروفة لقادة هذه الجماعات و.... تحول هذا الموضوع الى صدر الصحافة العالمية وبالأخص في البلدان المسماة "اسلامية".

تحدث قادة "الاسلام" والحكومات "الاسلامية" من خامنئي، حسن نصر الله، و... وصولا الى مهاتير محمد في ماليزيا، كلهم يرددون ويزبدون بـ"ان الاسلام خط احمر"، "رسول الله خط احمر" وانها "هجمة على الاسلام والمسلمين"، "اسلام فوبيا"، وطالب اردوغان بقوانين "مكافحة العداة الاسلام... الخ. انه ضجيج يصم الاذان، ولكنه لن يدوم طويلاً برايي .

تحدثوا ومضوا، بيد ان اردوغان لم يقف عند هذا الحد. انبرى كـ"زعيم" لـ"العالم الاسلامي"، رمى بكل ثقله وجوارحه في هذه القضية، لحد حوّلوا الامر الى صراع اسلامي (اردوغاني)-ماكروني فرنسي.

قضية "مفتعلة"

!لم يكن الامر يتعلق قط بـ"هجمة على المسلمين"، "محاربة الاسلام" ولا "الدوس على الخطوط الحمراء للمسلمين" او غيرها من دعايات وتحريض مغرضين. ليس لكل هذا اي اساس واقعي. انها كذبة. لم يكتفوا بهذا التضليل والخداع، بل تمادى بعض المحللين و"المفكرين" الاسلاميين لربط الامر بصراع "اسلامي-مسيحي" وانها "حرب صليبية"، ودفعه البعض الامر اكثر وربطه بالاستعمار الفرنسي ومجازره في الجزائر واوتي بمجمل التاريخ، لهدف "اسلامي" و"اردوگاني" واضح: خلط الاوراق وصرف الانتظار عن جوهر القضية.

ان هذا الامر كاد يمر مرور الكرام دون اي ضوضاء تذكر لو لا تدخل اردوغان على الخط. كل المسؤولين الحكوميين في البلدان "الاسلامية" قالوا موقفهم بدون ضجة ومضوا، لم يكن موضوعهم، لم يكن اولوية لهم خاصة وانهم وبلدانهم غارقة في الف مصيبة ومصيبة، وفي بعض الاحيان كان موقفهم لا يتعدى تملق ومجارة "الشارع". الشارع لايعني الناس العاديين. فالناس مبتلات بألف مسالة ومسالة مصيرية تمسك بخناقهم من ان يولوا بالألما يجري في فرنسا .

اي مراقب خارجي يرى ان القضية والضجة لم تكونا داخليتين، بمعنى، فرنسية او داخل فرنسا، اي لم تكن نابعة من التفاعلات الداخلية للمجتمع في فرنسا، بل خارجية، من تحريك خارجي، من تأليب خارجي، من تحريض خارجي. ان ما جعل هذه المسالة "العادية" قضية تضج بها وسائل الاعلام العالمية، هو اردوغان ومصالح اردوغان واهدافه .

مشاعر المسلمين :

ان الصورة الكاذبة التي رسموها تبعث على الغثيان فعلاً. لقد صوروا الامر على انه "دوس على مشاعر المسلمين"، وتحدثوا عن وجوب "احترام مشاعر المسلمين"، وعلى ان الالاف التي خرجت في تظاهرات في بنغلادش، باكستان، فلسطين، اليمن، الصومال وغيرها وذلك لانتهاك مشاعرها !! أيريدون ان يقولوا ان اردوغان (ومعه جماعات الاسلام السياسي) يتباكى على "مشاعر" هؤلاء؟! اين كانت مشاعر "هؤلاء" حين جند ونظم داعش والشباب المسلم وباقي الجماعات الاسلامية الاجرامية لتقيم حمامات دم وعمليات اغتصاب جماعي و... بحق "مسلمي" تلك المناطق. ان اناس تلك البلدان هي من يداس عليها يوميا بألف شكل وشكل عبر الجوع، الفقر، البطالة، الاستبداد، وتهان بناتهن اللاجئات السوريات في "البلدان الاسلامية" من امثال تركيا والاردن و... بزواج المتعة والسيار! انظروا الى ظواهر الانتحار، "حرق النفس" جراء الاذلال اليومي للإنسان في البلدان "الاسلامية" وتحت سلطة الحكومات "الاسلامية" لهي اكثر بألف المرات من غيرها من البلدان، ويتحدثوا عن "مشاعر المسلمين"؟! لقد حولت حياة "المسلم" في البلدان "الاسلامية" الى جحيم وجهنم بكل ما للكلمة من معنى، ويتحدثون عن مشاعرهم؟! ليجدوا كذبة افضل من هذه! على اردوغان وحماس وخامنئي وامثالهم ان يرفعوا أيديهم وشرور حكمهم عن "المسلمين"، فهذا ما تتطلب الجماهير وما تناضل من اجله وما تعد الايام له ...

يسعون الى ان يصوروا على ان "الشعوب المسلمة" وقد مست مشاعرهما ومقدساتها، ولهذا خرجت للشارع احتجاجاً. ليس هذا وحسب، بل وقررت، ومن بعدها حكومة اردوغان الامينة والساخرة على

مشاعر وحاجات وتطلعات هذه "الشعوب"، "مقاطعة البضائع الفرنسية" (!!). انها كذبة صرفة. انه احتجاج وعمل سياسي، تقف وراءه مؤسسات وجمعيات وجماعات سياسية منظمة في تلك البلدان بأغراض واهداف سياسية محددة، يشكل الاخوان المسلمين القسم الاكبر منها. مؤسسات وجمعيات "ثقافية" اغلبها ممولة للإرهاب وجماعات ارهاب الاسلام السياسي.

اما فيما يخص "مقاطعة البضائع الفرنسية"، لا يتعدى الامر سوى زوبعة اعلامية، ضجيج دعائي، ولا قيمة له اطلاقاً. اذ ما هو معلوم للجميع، وما يعرفه اردوغان قبل غيره، ان تجارة فرنسا الاساسية هي التكنولوجيا وصادرات السلاح، وهي ما تلهث الحكومات "الاسلامية" من اجل توقيع الاتفاقيات التجارية معها .

ان الناس العاديون، الاغلبية الساحقة من جماهير بلدان تلك المناطق منهمكة في ربط الليل بالنار من اجل لقمة عيشها، من اجل حياتها، رفاها، وليس لمواضيع من مثل كاريكاتير الرسول اولوية "عجيبة وغريبة ما" في حياتها. فهذا الترف لا تنعم به !

لا تستبله نفسك بمثل هكذا "دفاع"!

يدافع المنافحون عن الاسلام السياسي بالقول: "تجري يومياً الف حالة قتل وقتل، لماذا تربطوه بنا، تسعون لثشويه سمعتنا، لتأليب المجتمع الفرنسي علينا"، ان يقوم معتوه ما مسلم بعملية قتل يكفي حتى تدبونا وتدينوا ديننا؟! "، "ان ماجرى (ذبح باتي) هو حادث فردي"، اذ "ليس كل من يقتل هو اسلامي نظراً لكون ديانتة مسلمة"، "لماذا لانقول على فلان الفلاني الابيض المسيحي الذي قام بعمل القتل الفلاني انه ارهاب مسيحي"... من الواضح انهم يستغلون انفسهم قبل غيرهم بهذه الردود !!

ان مقتل المعلم "صامئويل باتي" ذبحاً، ومن بعده 3 اشخاص في كنيسة في نيس و ذبح احد النساء، وبعدها ما جرى اليوم في فيينا، قام بها اناس كان اولهم من الشيشان (وبعدها تبين ان له صلة بجمعية احمد ياسين، الزعيم الروحي ومؤسس حماس، الاخوانية الفلسطينية المقربة من حماس والتي اعلنت عدم صلتها بالحادث والشخص) والثاني تونسي، والثالث اللبناني داعشي. تمت اغلبها عبر قطع الرؤوس بالسكين (وهو تقليد معروف للإسلاميين) مع شعارات وصيحات الله اكبر. اي قتل ايديولوجي، بناءً على ايديولوجيا ودافع ايديولوجي، واعقب من الناحية الزمنية نشر صور الكاريكاتير، وهو رد عليه. وتريدون ان تبرأوا الاسلام السياسي؟ !

ليس هذا وحسب، انهم يهولوا الامر ويوجهوا النداء للمغاربة والعرب والأتراك الفرنسيين بالتحريض (لا تخافوا! لا ترتعبوا! انهم يريدون ارعابكم و...). مثلما ذكرت ان اعطاء هذا الموضوع هذه المكانة قد جرى بفعل وبدوافع خارجية، وتحديداً بسبب تعامل اردوغان. كما ان جعل هذا الامر وتحويله الى قضية هو ما يبعث الرعب ويزرعه في المجتمع، اذ انه سيحرض قطاعات يمينية اخرى مضادة لشن هجماتهما. فاليمين يتغذى على اليمين المقابل.

حرية التعبير بدون قيد او شرط

لم يقم المعلم باي "استقزاز" لاحد. بوصفه معلم، من حقه ومن واجبه ان يعلم الاطفال وفق منهجهم

الاهداف الحقيقية لما خلف زوبعة اردوغان!

الدراسي. ان عمل الشاب الشيشاني هو ارهاب اسلامي بكل معنى الكلمة ومدان جملة وتفصيلا. ان اي مساعي للجم حرية الرأي والتعبير، وتحت اي مبرر كان، مدانة. ان حرية التعبير هو مكسب للبشرية حققته نتيجة نضالات تاريخية شاقة ومريرة. انه فرض الطبقات "الدنيا" على الطبقات "العليا". انها حرية "الادنى" امام المحدوديات التي يفرضها "الاعلى" كي يديم "علوه" وبقائه "اعلى". ان المقدسات التي يتحدثون عنها هي مقدسات حماية "الاعلى" وبقائه. انها اسلوب الطبقات السائدة لمنع الاخرين من المس بها، وبالتالي، الابقاء على سلطتها ومكانتها .

ولهذا، اعد خطوة الدنمارك بطرد معلم لقيامه بعرض الصور على الطلاب امراً معادياً لحرية التعبير، وهو رضوخ لتطاول التيارات الاسلامية ومساومة غير مبررة معها. انه تراجع امام غطرسة هذه التيارات وعنجهيتها التي لا حدود لطموحاتها بالهيمنة والتسلط .

يتحدثون عن الاستفزاز. ولكن لماذا هم، اي الاسلاميون، مستفزون لهذا الحد؟! مستفزون لقصر تنورة فتاة، لشعر امرأة، لأقدام امرأة دون جوارب، لكاس ابو نؤاس، لجسد تمثال كهربانة، لقصة شعر وتسريحة شاب، لكلمة، لصورة، لرسم، لشعر... لكل شيء! لماذا مستفزون من الاساس؟! وفي الوقت ذاته، عديمي الاحساس الى ابعد الحدود تجاه فقر المليارات، لجوعها، لسكنها الذي ليس بأفضل من زريبة حيوان، لحق الانسان في الرفاه، السعادة، للنمو الروحي والمعنوي، للتكامل الحر والواعي للأطفال، للذل اليومي الذي يهرس عظامها كل لحظة! هذا كله ليس موضوع، لكن قصيدة شعر، رأي، فكرة، تنورة فتاة تقلب حابل مشاعرهم على نابلهها!!! انها كذبة صرف! ان الشعوب "المسلمة" مبتلات بألف مصيبة ومصيبة كل لحظة، وهي في نضال من اجل حياتها، ومشاعرها واحاسيسها في مكان اخر ليس له صلة بما يسعى الاسلاميون لإشاعته عنها!

"الاستفزاز" هو التعبير الرمزي للقمع، لإخراس الاخرين وللتطاول على حرياتهم وحقوقهم، لا اكثر . يقولون ان ماكرون قد اهان الاسلام. كيف؟ ومتى؟ يردون الم يقل "ان الاسلام يمر بأزمة"؟! ولماذا انه امراً عجباً ان يقول احد ما ذلك؟! عشرات المفكرين والكتاب الغربيين والعرب ومنذ قرون (واخرهم عفيف الاخضر، اسلام البحيري وهيتهنوتون ..) تحدثوا عن الاسلام يمر بأزمة، ما الشيء الجديد في ذلك؟! القومية تمر بأزمة، الليبرالية بأزمة، الرأسمالية بأزمة، الديمقراطية متأزمة، الغرب متأزم، الشرق متأزم، العالم الرأسمالي كله يمر بازمه، لماذا يعتبر كفراً القول بان الاسلام الذي ليس له اي حل ايجابي لأي معضلة سياسية، اقتصادية واجتماعية، "يمر بأزمة"؟! ان لم يكن تبجح ومكابرة فارغة، ماذا يمكن ان يطلق على هذا؟! .

يحرفون الامور الى حد الكذب الصارخ. ولكن للحقيقة والانصاف، لم يهاجم ماكرون الاسلام ولم "يحرص على المسلمين"، ولم يدافع عن الرسوم الكاريكاتورية". ولكنه دافع عن حرية الرأي والتعبير بوصفه "احد البنود الدستورية في البلد" واحد "قيم الجمهورية". تحدث عن "الانعزالية" و"الانفصالية" الاسلامية وكيف ان هناك مجتمع داخل مجتمع، دولة داخل دولة وعالم داخل عالم. وكيف انه لايقبل ان تكون هناك قيم اخرى داخل المجتمع الفرنسي "تقف بالضد من قوانين ودستور الجمهورية الفرنسية"، "تلحق الاذى بالنساء والاطفال" و"تنتهك الحريات والحقوق مثل حرية الراي والتعبير و...". ان هذا للأسف، امر واقع .

جوهر القضية ...

اردوغان، وتعقباً لمصالح الطبقة البرجوازية الحاكمة في تركيا، في صراع محتدم مع أوروبا. أوكد مع أوروبا، ولكن لماذا تظهر وكأنها مع فرنسا؟ السبب يكمن في ان هنالك توجهين في سياسات أوروبا تجاه تركيا: توجه يدعوا الى التفاوض والدبلوماسية، الصبر ودرجة من التحمل والمهادنة (وعلى رأسه المانيا)، وتوجه اخر يدعوا الى المجابهة والتصدي الحازم للمساعي التركية التوسعية، وتقف على رأسه فرنسا. ولهذا فان الاخيرة تقف في مقدمة المجابهة الاوروبية مع تركيا .

تركيا ذات المطامح التوسعية النابعة من قدرتها السياسية والعسكرية، من مكانتها وجغرافيتها السياسية على الخريطة العالمية، في نزاع رجعي حاد وضار مع فرنسا في ليبيا، وفي شرق المتوسط، سوريا، القوقاز (أذربيجان-ارمينيا)، وكلها صراعات من اجل نيل اكبر مايمكن من الحصة في الثروات والهيمنة العالمية في عالم يعاد تقسيمه اليوم اثر تراجع مكانة امريكا وظهور اقطاب اقتصادية وسياسية عالمية جديدة، اي من عالم احادي القطب بزعامة امريكا الى عالم متعدد الاقطاب، تسعى كل من البرجوازيات العالمية والاقليمية لنيل مكانة اكبر من اعادة القسمة .

لقد كانت لتركيا مكانة بارزة في الغرب والنااتو في عالم مرحلة الحرب الباردة، والثنائية القطبية (الشرق-الغرب)، وذلك لكونها محاذية للسوفييت والمعسكر الشرقي وخط دفاعي اول بوجههما. مع انهيار هذه الثنائية، انهارت مكانة تركيا لدى الغرب ومعها المكاسب السياسية والاقتصادية والامنية (المجزية) التي كانت تنالها منه. ولتعويض تراجع هذه المكانة، سعت لان تجد لها مكانة في أوروبا عبر الانضمام للاتحاد الاوربي وبذلت الغالي والنفيس من اجل ذلك، الا انها جوبهت برفض قاطع. وللضغط على أوروبا ورفض التراجع عليها، استخدمت اخرها ورقة اللاجئين من بلدان اسيا، اذ فتحت حدودها الاوروبية لموجة لاجئين في اوسع هجرة جماعية من تركيا لأوروبا. ولهذا، تسعى تركيا "الاسلامية"، التي هي في الحقيقة قومية توسعية وشوفينية، عبر عباءة الدين وزعامة جماعات الاخوان المسلمين في العالم، ان تبحث لها مكانة في عالم اليوم .

ولهذا، فإنها في صراع حاد مع أوروبا من اجل فرض مكانة اوسع، وحليفها في هذا هم جماعات الاخوان المسلمين التي لا ترى افضل من تركيا نصيراً عالمياً قوياً لها .

ولهذا، وجد اردوغان في خطاب عادي لماركون ضالته. تلقف هذه الورقة (الجديدة) ليحشد قوى الاسلام السياسي على صعيد عالمي خلف ظهره في حربه مع فرنسا (أوروبا، بالأساس). ليستعرض عضلاته "الاسلامية العالمية" في هذا الصراع .

انقلب السحر على الساحر!

لقد دعم الغرب، ومن بينهم فرنسا نفسها، الاسلام السياسي كأنجع سبيل بوجه الشيوعية والطبقة العاملة، اليسار والتقدمية. اذ ان فرنسا نفسها من اتت بالخميني الى السلطة في ايران لقمع ثورة راديكالية داعية للحرية والمساواة ولتنقذ مجمل الطبقة البرجوازية من ان تعصف بها الثورة. لقد كان الغرب الجهة الداعمة الاساسية للاسلام السياسي في المنطقة في عالم الحرب الباردة، وهو من دعم المقاتلين الافغان بوجه السوفييت، وهو من اطلق ايادي الاسلام السياسي في أوروبا وساووم وتملق

الاهداف الحقيقية لما خلف زوبعة اردوغان!

للاسلام واتي بنظريات "النسبية الثقافية" و"التعددية الثقافية" وغيرها من سياسات رجعية. حتى انقلب السحر على الساحر. ومن جهة اخرى، سعت الدول الرجعية من امثال قطر، السعودية، ايران وتركيا و... غيرها من دعم التيارات الاسلامية في اوروبا بأموال طائلة، بتصدير ائمة الدين، بناء المساجد الضخمة في وسط اوروبا الى ان غدت هذه "الجمعيات الثقافية" في اوروبا، والمساجد والجوامع و"دور عبادة المسلمين" منابر لتفريخ الارهابيين والمعادين للغرب نفسه.

ان تحدث اليوم ماكرون عن "الانفصالية الاسلامية" في اوروبا، فيجب ان يكون واضحاً ان حكومته وحكومة اسلافه والغرب انفسهم مسؤولون عما آلت اليه هذه الوضعية التي يدفع ثمنها النساء والاطفال اللاجئين في غيتوات لا ربط لها باوروبا والمنجزات والمكاسب التي حققها تحرريو ومساواتيو اوروبا من النساء والرجال. تحول الاسلام السياسي وارهابه الى معضلة للغرب.

انها خطوة ايجابية تلك التي تستهدف تجفيف منابع ارهاب هذه التيارات واقتدارها، تفرض الزام الاخيرة بالتقيد بقوانين المجتمع وحرياته وحقوقه، بالتضييق على شبكاتهما المالية، بفرض رقابة صارمة على احاديث منابرها التحريضية من جوامع ومساجد و، منابر نشر الرجعية والتخلف والانعزالية الدينية والكرامية، انهاء المحاكم الشرعية الدينية، والتأكيد على سياسة "بلد واحد قانون واحد" وليس سياسة تعدد خلفية الاشخاص الدينية مبرراً كافياً للحيد عن القوانين المدنية. ايجابية، بغض النظر عن طبيعة اهداف ماكرون نفسه سواء اكانت انتخابية، التملق لليمين الفرنسي او سحب هذه الورقة منه. في الحقيقة ان هذه كانت نداءات ودعوات الاشتراكيين ودعاة التحرر والمساواة على طول الخط وعلى امتداد عقود.

الارهاب الإسلامي لنا والأمان والعلمانية لهم

حول قانون ماكرون وأزمة الإسلام الانعزالية في فرنسا

التصريح الذي ادلى به إيمانويل ماكرون، الرئيس الفرنسي، بتاريخ 2/10/2020، عن القانون المزمع تقديمه إلى البرلمان في شهر كانون الأول من هذا العام، حول الحفاظ عن علمانية الدولة الفرنسية، إذ قال بأن الإسلام دين يعاني أزمة انعزالية وانفصالية، وقد أشعل ذلك غضب مرابي المؤسسة الإسلامية وتحديدا (الإسلام السني)، ومؤسساته وأبرزها الأزهر الذي وصفه في بيان بأن تلك التصريحات عنصرية، وأما جماعات إخوان المسلمين وعلى رأسهم الرئيس التركي أردوغان الذي وصف ماكرون بأنه قليل الأدب، وجمعيات إسلامية أخرى شاركت بإطلاق سيل من الانتقادات في الداخل والخارج الفرنسي. بينما لم تثر تلك التصريحات بنفس الحدة والانزعاج عراب (الإسلام الشيعي) وخاصة في الجمهورية الإسلامية في إيران، لأنه ببساطة تيارها السياسي ليس له القدرة على منافسة الإسلام السني في فرنسا والدول الأوروبية الأخرى لا على صعيد القاعدة المادية من حيث عدد الجمعيات والجوامع والمساجد والأئمة التي شيدت بالأموال السعودية والقطرية ولا على الصعيد الاجتماعي من جانب الوجود البشر. وفي نفس الوقت هلل لتصريحات ماكرون بشكل متحفظ اليمين في فرنسا وأوربا، بينما انتقده بشدة بعض أطراف اليسار. وبمناسبة تلك المواقف جرت مناظرات ومقابلات في وسائل إعلام مختلفة بين مؤيد ومنتقد لماكرون. ويجدر بالذكر أن ماكرون في كلمته حمل الحكومات الفرنسية السابقة مسؤولية خلق مجتمعات ونظام موازي في فرنسا إلى جانب المجتمع والنظام العلماني الفرنسي، وإن هدفه من طرح القانون هو دمج تلك الجاليات المسلمة أو المجتمعات الإسلامية المنعزلة كما يصفها في المجتمع والنظام الفرنسي.

أسئلة كثيرة تطرح حول المسألة التي طرحها ماكرون؛ لماذا يطرح هذا القانون الآن؟، وهل هي مرتبطة بالحد من العمليات الإرهابية التي تحدث بين الفينة والأخرى في فرنسا؟، وهل مشروع ماكرون هو مسألة محلية تخص الداخل الفرنسي كما يدافع المناصرين لمسودة القانون والتصريحات المذكورة في ردها على الأزهر وأردوغان والمطالبة بعدم التدخل، فهو شأن داخلي فرنسي؟، أم أنها

الإرهاب الإسلامي لنا والأمان والعلمانية لهم

قضية عالمية تصب في محور من محاور استراتيجية الأمن والأمان والسلام الأهلي وهوية المواطنة وحماية الآخرين من التمييز الاثني والجنسي في المجتمعات الإنسانية؟، وأين نقف نحن الشيوعيين من هذه القضية؟

قبل كل شيء يجب أن نبين أن أي موقف نتخذه من هذه التصريحات يجب أن يكون منطلقه طبقي، أي من زاوية مصالح الطبقة العاملة والإنسانية، بعبارة أخرى من زاوية الدفاع والعمل على خلق مجتمع آمن وإنساني، وليس من موقع معاداة الإسلام بأي ثمن كان، فنحن لسنا مجموعة (أنتي إسلام)، فنحن الشيوعيون نناضل ضد الإسلام كأيدولوجية من أيدولوجيات البرجوازية التي تنتشر الأوهام والتضليل بين البشر، مثلما هو نضالنا ضد الأيدولوجيات البرجوازية الأخرى كالديمقراطية والليبرالية، مع فارق هو أن الأيدولوجية الإسلامية هي أيدولوجية إحدى أكثر أجنحة الطبقة البرجوازية تخلفا وأكثرها حثالة كما في العراق والشرق الأوسط، كونها تسعى من خلال هذه الأيدولوجية إلى فرض العبودية على الإنسان والحط من قيمته وقدره ومعاملة المرأة كوعاء جنسي يخدم الذكورية التي تنتجها وتعيد إنتاجها البرجوازية بكل تياراتها السياسية والاجتماعية إضافة إلى قمع كل أشكال الحريات الإنسانية، إنها أيدولوجية تخليد أبدية النظام الرأسمالي بشكله الإسلامي المتخلف المشار إليه، كما هو في نماذج السعودية وإيران وأفغانستان ودولة عصابات داعش، وليس لهذا الجناح الإسلامي مشكلة مع أي جناح آخر من أجنحة طبقته خارج الحدود أو الجغرافيا المحلية طالما هناك توافق على التقاسم بينهم.

إن نضالنا ضد الأيدولوجية الإسلامية مثله مثل نضالنا ضد الأيدولوجيات البرجوازية الأخرى كما أشرنا والتي تتفرع منها كل يوم عناوين مختلفة مع ماهية واحدة وهي الديمقراطية والليبرالية التي هي الأخرى تضع العالم في تيه من الأوهام عن طريق الإيحاء بتخليد نظام الاستغلال والجور الرأسمالي.

ليس هناك أي شك لو نظرنا إلى قانون ماكرون وتصريحاته بالدفاع عن القانون، فهو قانون مدني وعلماني ويخدم ويرسخ هوية المواطنة ويمكن أن تحندى به دول أخرى أو يعمل على تقوية التوجهات العلمانية في مجتمعاتنا. بيد أن تلك التصريحات والقانون يخفي خلفه ازدواجية المعايير ويطمس الحقيقة ويذر الرماد حول سياسة البرجوازية الفرنسية والغربية بشكل عام، سواء على الصعيد الداخلي الفرنسي أو على الصعيد العالمي وخاصة في الشرق الأوسط خلال أكثر من ستة عقود ولحد هذه اللحظة.

صراع الهويات بين الإرهاب الإسلام السياسي والسياسة الغربية:

إن قانون ماكرون حول الانعزالية الإسلامية يكشف عن الوجه المناق للبطقة البرجوازية الحاكمة في الغرب، فهو يعترف بأن الحكومات الفرنسية السابقة لم تدمج المسلمين في المجتمع، ولكنه يتناسى بأن إرهاب الجماعات الإسلامية الذي بدأت حرارة نيرانه تصل إلى النظام السياسي والاجتماعي الفرنسي، بل وتكاد على الصعيد الاستراتيجي تصل إلى السلطة السياسية، ويدخل الإسلام كأيدولوجية في صراع مع بقية التيارات الأيدولوجية البرجوازية، ليس سببه الوحيد السياسة الفرنسية الداخلية على مدى عقود من الزمن، ولا بد أن نقف قليلا لنشير إلى تلك السياسة أي عزل الجاليات وتحت عنوان (الثقافات النسبية، أو التعددية الثقافية) التي تعمل بها في معظم الدول الغربية، هي سياسة مغرضة

ولها أهداف واضحة منها؛ إن عدم إدماج تلك الجاليات بالمجتمعات الأصلية هو شئل تأثيرها السياسي والاجتماعي في صنع القرار السياسي، استخدام أفرادها كجزء من العمالة الرخيصة عندما تكون منعزلة عن الطبقة العاملة في تلك البلدان وغير واعية بحقوقها وتكون مادة للمزايدة ونشر الاوهام في صفوف الطبقة العاملة وزرع التفرقة في صفوفها عن طرق استخدام سلاح القومية العنصرية وحرف الانظار عن سبب الازمات الاقتصادية للنظام الرأسمالي كما يفعل ترامب في رفع شعاره (امريكا اولاً) او شعارات ماري لوبان الزعيمة اليمينية في فرنسا وغيرهم، سهولة السيطرة عليها فكرياً وأيديولوجياً بما تخدم مصالحها الطبقية، مادة للضغط والتجنيد في صراعاتها السياسية والاقتصادية في الشرق الأوسط والدول التي كانت تستعمرها كما شاهدنا بشكل واضح في تجنيد الشباب وإرسالهم إلى صفوف الجماعات الإسلامية الإرهابية في سوريا والعراق وأمام أعين المخابرات الفرنسية والألمانية والبريطانية، بينما كان أئمة الجوامع والمساجد تلقي الخطب الدعائية والتخريبية في تلك الدول لتجنيد أولئك الشباب دون أن تحرك تلك الأجهزة المخابراتية ساكناً بل وكانت تنسق بشكل مباشر وغير مباشر مع المخابرات التركية لإيصالهم إلى سوريا.

إن تلك السياسة التي استيقظ عليها ماكرون الآن، تشير إلى عدد من الإحصاءات الفرنسية، منها أن 50 ألف طفل لم يدخلوا المدارس لأن آبائهم يرفضون ذلك ويخافون على أبنائهم من دراسة الجنس والاختلاط وقيم الحرية، أين كان ماكرون من هذا؟ لماذا استيقظ الآن؟ هل سبب هذه اليقظة هي سيارات الدهس التي ضربت مدينة (نيس) قبل أعوام، أم الهجمات المتكررة بالسكاكين على الأبرياء في شوارع باريس أم قتل عدد من الصحفيين في مجلة (تشارلي إيبدو) بسبب نشر كاريكاتير عن نبي الإسلام؟ إن حصر ظاهرة الإرهاب الإسلامي بهذه الحوادث، ومن ثم سن قانون محلي وبتصريحات سطحية، سنخرج عليها ونكشف عن محتواها، هو من أجل طمس حقيقة سياسة الغرب وتصورها للمجتمعات الإنسانية التي يسميها (المسلمة) وإن إلصاق صفة (الدين) على تلك الجاليات والمجتمعات وسن سياسات وقوانين دون التدخل في إدماجها بالمجتمعات الأصلية هي من أجل أن تتعامل دون مسؤولية وتختتم على جبينها بأنه فاقد للأهلية الأدمية والاندماج بالمجتمع الإنساني كي تتخلص من أية مسؤولية مادية ومعنوية تجاهها، ومن أجل خدمة مصالحها الطبقية من خلال تثبيت أنظمة استبدادية وفاشية تخدم مصالحها في بلدان التي تصف بالإسلامية .

إن ماكرون واليمين الفرنسي واليمين بشكل عام في الغرب ليس مشكلته الحقيقية هي حماية مجتمعاته من الإرهاب الذي هو وسيلة في استراتيجية الإسلام السياسي في صراعه على السلطة، فديفيد كاميرون رئيس الوزراء البريطاني الأسبق قال بكل صراحة يجب الحفاظ على هوية الغرب المسيحي، أي هوية البرجوازية الغربية في مقابل هوية الإسلام للبرجوازية القادمة من (الشرق الإسلامي)، أي أن نقطة انطلاقه ليس الإنسان وحقوقه وقيمه، بل أن نقطة انطلاقه هي الخوف، وكل الخوف من التقرب والمنافسة على السلطة، ليس على الصعيد المحلي فحسب، بل أيضاً الحيلولة دون أن تكون تلك الجاليات أداة ضغط للأنظمة الإسلامية والبرجوازية في الشرق لانتزاع حصة منها، وهذا يفسر تصريح كامرون بالحفاظ على الهوية المسيحية لأوروبا في مقابل الهوية الإسلامية، وهذا أيضاً يفسر توجه حزب العدالة والتنمية الذي يقوده اردوغان في بناء الجوامع والمساجد في أوروبا ويصدر أنمتها إليها لإلقاء الخطب والتعاليم الدينية وخاصة في ألبانيا والبوسنة والهرسك وبقية الدول الأوروبية، فعندما يصف اردوغان ماكرون بأنه قليل الأدب، فهذا يعني احتدام الصراع الأيديولوجي الذي يعكس الصراع على المصالح السياسية والاقتصادية، الصراع بين الهوية المسيحية التي تمسك بها كاميرون تارة وعلمانية ماكرون والهوية الإسلامية التي يدافع عنها اردوغان تارة أخرى .

الإرهاب الإسلامي لنا والأمان والعلمانية لهم

صحيح أن طرح القانون ونحن نؤيده، يكون بالنتيجة لصالح الحريات وحقوق المواطنة كما أسلفنا، ولكنه يبقى محليا من جهة، ومن جهة أخرى لا تكون تلك المجتمعات أي الغربية محصنة لا على الصعيد الأيديولوجي ولا على الصعيد الأمني، وعليه يجب النظر إلى قضية المواطنة والأمن والأمان من زاوية عالمية شاملة، فالיום ليس هناك حقوق محلية وثقافة نسبية كما أراد لها الغرب في مجتمعاته ومجتمعاتنا من جهة، ومن جهة أخرى قدم كل أشكال الدعم لإطلاق أيادي الأنظمة الإسلامية والقومية الملتحفة بالإسلام المستبدة للحفاظ على مصالحها مثل السعودية والجمهورية الإسلامية في إيران وتحت يافطة الخصوصيات الأثنية والثقافية. وسؤالنا هو هل يمكن استغلال التاريخ بأن الخطوط الجوية الفرنسية هي التي نقلت على متنها الخميني أبان الثورة الإيرانية عام 1979 من باريس إلى طهران؟ وهل يمكن محو الذاكرة عندما أفردت إذاعات (مونتني كارلو) الفرنسية و (بي بي سي) البريطانية و(صوت أمريكا) بث ساعات من خطب الخميني أبان الثورة للالتفاف على الشيوعية والماركسية واليسار واحتوائها في المجتمع الإيراني في خضم الحرب الباردة، هذه كانت سياسة الغرب تجاه المجتمعات الشرق الأوسطية، لقد دعم أجداد ماكرون في بناء أكثر دولة إرهابية ونازية في الشرق، ومعادية حد النخاع لكل ما له صلة بالإنسانية، وهي الجمهورية الإسلامية في إيران، أن الغرب بسياسته ساهم في تثبيت أركان الجمهورية الإسلامية، والغرب ما زال يدعم إسلام النفط السعودي والتي تدور في فلكها عدد من أصحاب محطات الوقود والتي تسمى بدول الخليج الرجعية.

أزمة الإسلام الانعزالية أم أزمة الأيديولوجيات البرجوازية:

في الحقيقة أن ماكرون لم يصب كبد الحقيقة عندما وصف الإسلام بالانعزالية، فوصفه للإسلام بالانعزالية دعاية سياسية وأيديولوجية ضد جماعات الإسلام السياسي التي تدافع عن الأيديولوجية الإسلامية كهوية لها، فهي تغزو المجتمعات الغربية وتجند الاتباع وترسل المقاتلين للدفاع عن دولتها، كما حدث في (دولة الخلافة الإسلامية - داعش)، أن الغرب نفسه بقيادة الناتو هو من أطلق العنان و غض الطرف لتصدير الإرهابيين وتقوية شوكتهم في سوريا والعراق وليبيا، أن إدارة أوباما قدمت (300) مليون دولار دعم لمرشح الإخوان المسلمين (محمد مرسي) لانتخابه رئيسا، لإعادة ترتيب المعادلات السياسية في شمال أفريقيا بعد الثورتين التونسية والمصرية والتي سميت بالربيع العربي واحتوائهما.

أن أزمة الإسلام ليس بسبب انعزاليته، فالانعزالية هي جزء من الهوية الأيديولوجية الإسلامية التي في صلب استراتيجيتها بناء سور صيني أو جدار برلين بين المجتمعات التي تحكمها وبين العالم الآخر، ولذلك من جهة تعمل جماعات الإسلام السياسي بتصدير الأيديولوجية الإسلامية عبر إسلام النفط السعودي وإسلام اردوغان بالأموال القطرية وإسلام النفط الإيراني، ومن جهة أخرى تهاجم كل عقيدة أو فكر آخر غير فكرها وتصدده بكل الأشكال وتحت ذريعة الحفاظ على التقاليد والقيم والشريعة الإسلامية في مجتمعاتها. أن عدم الانعزالية يعني بالتحليل الأخير الانتحار، يعني ضياع الهوية الإسلامية، كما كان الحفاظ على الهوية الإسلامية كأيدولوجية من قبل الإسلام الدولة ومنذ أكثر من 1400 عام هو عن طريق الإرهاب والقمع وسياسة المنع، فالتاريخ يقول لنا على سبيل المثال وليس الحصر كيف أن الخليفة الثانية عمر بن الخطاب أمر بحرق أمهات المكتبات وآلاف من الكتب عندما وصلت جيوشه إلى بلاد فارس.

أن الأيديولوجية الإسلامية اليوم تعيش أزمة حقيقية، ولكن ليس بسبب انعزاليها، بل بسبب جماعات

الإسلام السياسي التي تحولت إلى وحش كاسر وظاهرة اجتماعية خطيرة، فهي الأخطر من كل الفيروسات سواء الطبيعية أو تلك التي تصنع وتنتج في المختبرات، فضلاً عن ذلك فهي لم تقدم نموذجاً اقتصادياً مغايراً عن الاقتصاد الرأسمالي؛ لا كجماعات مثل دولة الخلافة الإسلامية - داعش ولا كأنظمة سياسية مثل إيران والسعودية. أن أزمة الإسلام كأيدلوجية هي جزء من أزمة الأيديولوجيات البرجوازية على العموم بما فيها الديمقراطية والليبرالية، والاشتراكية الديمقراطية، والدكتاتورية ولم تنتج جميعها غير الحروب والأزمات الاقتصادية والفقر، وقد بين كوفيد 19 أو وباء كورونا، فشل النظام الرأسمالي بكامله، في توفير حق بقاء الإنسان على قيد الحياة وهو أبسط الحقوق الأدمية (ففي الولايات المتحدة الأمريكية زعيمة العالم الحر والاقتصاد الحر وكل شيء حر بما فيه الموت الحر، التي يتفاخر رئيسها هي الأعظم في كل المجالات في العالم مات منها إلى حد الآن 210 ألف شخص بما يفوق كل حروبها في فيتنام وكوريا وأفغانستان والعراق والحرب العالمية الثانية)، وكل ما قيل عن الاقتصاد الإسلامي والبنوك الإسلامية والربح الإسلامي ليس إلا كم من الترهات التي ليست أكثر من الاقتصاد الرأسمالي بشكليه الحر ورأسمالية الدولة.

أن ما يعنينا حقاً نحن الشيعيين، هو كيف نبني مجتمع أنساني وآمن، مجتمع بعيد عن الإرهاب ويعيش في سلم وسلام، ونرى أن جماهير فرنسا قد جربت معادلة بسيطة وهي أنه بقدر وقوف دولة أو أنظمة خلف الإرهاب، مثلما عشنا فصوله في غزو واحتلال العراق، بقدر وقوف جماعة إسلامية إرهابية خلف ذلك الإرهاب، وإنها بنفس القدر سيرتد عليها، فمثلما هي حقوق الإنسان حقوق عالمية وشاملة وليس هناك حقوق محلية بنفس القدر أن الإرهاب أيضاً يكون عالمياً وشاملاً. فمن أجل خلق بيئة إنسانية آمنة يجب الضغط على الحكومات الغربية وخاصة فرنسا مثلما تعلمنا منصور حكمت (العالم بعد 11 أيلول) للكف عن دعم الجماعات الإرهابية الإسلامية، يجب العمل من داخل تلك البلدان الغربية بالارتباط مع المنظمات العمالية والقوى التحررية واليسار للضغط على حكومة ماكرون وغيرها من الحكومات بالكف عن دعم الجماعات والأنظمة الاستبدادية في مجتمعاتنا والعمل على دعم التيارات والاتجاهات العلمانية .

أن البرجوازية اليوم بتياراتها الديمقراطية والليبرالية في بلداننا الشرق الأوسطية ليس في أجنحتها دستور علماني، وهذا يحمل الطبقة العاملة والشيعيين مسؤولية الدفاع عن تأسيس دولة ذات هوية علمانية وسن دستور علماني يتعامل مع الإنسان كمواطن من الدرجة الأولى وبغض النظر عن خلفيته الدينية والأثنية والعرقية، وإدخال مطلب فصل الدين عن الدولة والتربية والتعليم في أجنحتها وبرامجها السياسية.

وأخيراً نقول إن ماكرون إذا أراد بالفعل أن يباعد المواطن في فرنسا عن يد الإرهاب ويحصنه فكرياً وسياسياً من فكر الإسلام السياسي الإرهابي، فعليه الكف عن دعم الجماعات الإرهابية والأنظمة الإسلامية في الشرق الأوسط، أن حقوق الإنسان في الشرق الأوسط وفي فرنسا وفي أمريكا وفي الصومال كما في السعودية وإيران.. هي رزمة متكاملة لا يمكن الفصل بينها.

تأسيس الحزب
الشيوعي العمالي

بصدد الارضية السياسية والاجتماعية

لتأسيس الحزب

(حوار الى الامام مع فارس محمود)

الى الامام: تأسس الحزب الشيوعي العمالي في 21 تموز 1993. ثمة امر يلفت الانتباه نوعاً ما الا وهو ان تكون كردستان العراق هو مركز هذا التأسيس و مكان تواجد قوى الحزب وكوادره في حينها. الكثيرون يتسائلون: لماذا في كردستان؟ ماهي العوامل والارضية السياسية والاجتماعية ليزوغ الحركة الشيوعية العمالية هناك؟

فارس محمود: ظهرت بوادر حركة اليسار في اواخر سبعينيات القرن المنصرم من رحم الحركة القومية الكردية، اي الجناح اليساري لها، وقد كانت اقسام من الحركة القومية الكردية تعتبر نفسها ماركسية وماوية تحديداً، نظراً لكون هذه الاقسام كانت ترى ان هناك شبه بين طبيعة مجتمع كردستان وطبيعة المجتمع الذي هو منشأ الماوية، الصين من حيث عدم سيادة الطبيعة الصناعية للمجتمع، فلاحية المجتمع بمعنى ما، وكون النضال المسلح هو السبيل الاساسي لنضال الحركة القومية الكردية وجناحها اليساري.

جرت تطورات على ذلك اليسار وحلقاته ومحافله في ذلك الوقت، بيد ان التطورات الاكثر اهمية التي طرأت عليه هي تلك التي قدمت من ايران والقوى اليسارية في ايران في مرحلة ما بعد الثورة. اذ ظهرت "الماركسية الثورية" كتيار سياسي وفكري مقدر يتبنى الماركسية الارثوذكسية، ماركسية منتقدة للشعبوية وللتيارات الاشتراكية العالمية السائدة في حينها، وبالاخص الروسية والماوية والالمانية والتروتسكية وغيرها. ولقد كان نقداً ينطلق من زاوية الاصل الماركسية، اي فكري

بمدد الارضية السياسية والاجتماعية لتأسيس الحزب

محض. ترك هذا التيار تأثير كبير على اليسار في كردستان ايران والعراق وقد ظهر هذا التأثير على شكل نسف مفاهيم ومقولات سابقة، واحلال اخرى "اكثر راديكالية"، حدثت جدالات عديدة واختلافات، وطرأت ازمانت سياسية فكرية، انشقاقات و ظهرت في الوقت ذاته حلقات ومحافل جديدة بناءً على نتائج تلك الانتقادات.

وقد لعب هذا التيار، بابحاثه وموضوعاته الاولى، والتي صاغها بالاساس منصور حكمت، وبالاخص "اسطورة البرجوازية الوطنية" دوراً في تطور ملامح اليسار في العراق صوب صيغ ذات اصالة فكرية ماركسية.

من الناحية الاجتماعية، ظهرت الطبقة العاملة في كردستان بوصفها طبقة ذا حضور اجتماعي واضح وتنامي ثقلاً، وتنامي ثقلاً الاجتماعي. اي انتقال كردستان من مرحلة مجتمع تقليدي، بمزيج من علاقات انتاج رأسمالية وما قبل رأسمالية، الى مجتمع مديني وحضري. وبالاخص اثر الاصلاح الزراعي الذي جرى في سبعينات القرن المنصرم، وما تبعه من حملة نزوح واسعة من القرى للمدن. من جهة اخرى ساهمت سياسات النظام القومي البعثي بالتهجير القسري للقرى بهدف ضرب القوى القومية الكردية المسلحة المتواجدة هناك ومحاصرتها، ونقل سكان القرى الى اطراف المدن، الى توسع المدن، وحدث تطور كمي ونوعي للطبقة العاملة.

بعد هذه المرحلة، توطدت صلات هذا اليسار بشكل مكثف وسريع بالقوى التي تتبنى خط الماركسية الثورية، والحزب الشيوعي الايراني والشيوعية العمالية ومنصور حكمت تحديداً في الثمانينات. ولكن المنعطف الالم الذي تركته الشيوعية العمالية ومنصور حكمت حدث بعد اجتياح العراق للكويت في 1991 واوضاع حرب الخليج والانتفاضة الجماهيرية و ظهور منظمات وحلقات شيوعية عمالية كثيرة لعبت دوراً بارزاً في انتفاضة اذار وبالاخص تشكيل حركة المجالس العمالية والجماهيرية في كردستان العراق.

الى الامام: سناتي لاحقاً على التطورات الجارية للشيوعية العمالية في كردستان، ولكن على صعيد العراق، كيف نشأت حركة الشيوعية العمالية وكيف تطورت...؟
فارس محمود: في وسط وجنوب العراق، تمت العملية بشكل اخر يختلف كلياً. ان كان تطور اليسار في كردستان قد جرى في سياق التأثيرات التي تركها اليسار في ايران، وتحديداً منصور حكمت، فان هذا التيار والميل قد تبلور باثر واضح من اليسار في كردستان، وتحديداً، منظمة التيار الشيوعي في المرحلة الاولى، وبعدها منظمة "اتحاد نضال الشيوعية العمالية" بشكل اوسع واوثق صلة.

في وسط وجنوب العراق، كان للحزب الشيوعي العراقي والشيوعية الرسمية السوفيتية الحضور السائد والمهيمن على الحركة الشيوعية لعقود مديدة، وتعرفت الشيوعية بهما حصراً. اذ كانت حتى الشيوعية المنقذة لها مثل القيادة المركزية او الجماعات المنشققة منها، تنتمي ايضاً الى التقليد السياسي ذاته.

في اواخر الثمانينات، كان للاوضاع العالمية تاثير كبير على الشيوعية وعلى كل من تبني الماركسية، باي شكل او فهم، كتيار فكري وسياسي له. لقد كان لتفكك الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية دور جدي بحدوث تشوش وتيه وبلبلة فكرية وسياسية كبيرة على ناشطي هذا التيار. لقد كان

بمثابة دوامة عصفت بالكثير من البديهيات والمسلمات. كانت هناك اشكال نقد واسعة للحزب الشيوعي العراقي من قبل جماعات انضمت للشيوعية العمالية لاحقاً، بيد ان مجمل هذه الانتقادات لم تتعدى ان تكون انتقادات "فنية"، "تكتيكية"، "عابرة" وليست جوهرية او تتعلق بمضمون وماهية الشيوعية. اي انتقادات لم تنطلق من موقف حركات اجتماعية وطبقية اخرى، بل تنطلق من انتقادات هامشية من قبيل "الدخول في جبهة مع البعث"، "الجبهة مع القوميون الكردي"، "البيروقراطية"، و"الميول الانتهازية"، "الموقف من الدين" و... الخ.

لقد تزامن حدوث عمليتان في ان واحد: من جهة وجود تيه ودوامة وشكوك واسئلة تستلزم ردود حول تفكك الاتحاد السوفيتي الذي كان ينظر له باعتباره "دولة اشتراكية"، ومن جهة اخرى ظهور شيوعية جديدة و متميزة بالدرجة الاولى من الناحية الفكرية، تلك هي الشيوعية العمالية. لقد وجد هذا الطيف المنتقد ردود على اسئلته، فكان الانتقال للشيوعية العمالية، بالفهم البسيط والخام بعض الاحيان، سريعاً وقويماً. تلقف هذا الطيف تلك الابحاث ودب النشاط والحماس المنقطع النظير في صفوفه في اغلب مدن وسط وجنوب العراق، وغداً، باشهر قليلة، اسم منصور حكمت، كعلامة بارزة لظهور شيوعية جديدة ثورية متماسكة من الناحية الفكرية والسياسية.

تشكلت "منظمة عصابة تحرير الطبقة العاملة" في تموز 1992 امتداداً لمساعي بلورة تنظيم شيوعي عمالي في وسط وجنوب العراق، وتبنت "حركة النضال الشيوعي" المتواجدة في الناصرية والبصرة والعمارة على ما اذكر الشيوعية العمالية كنهج لها، واتسعت بشكل كبير هناك، وساهمت بشكل جدي في اتساع الشيوعية العمالية، وبالتالي، ظهرت في خضم عملية تأسيس الحزب كعماد لقوى الحزب في تلك المناطق.

الى الامام: لقد مرة اخرى الى التطورات الجارية في كردستان على صعيد اليسار ابان الانتفاضة ومابعدها، ماهي الشواخص العامة لهذه التطورات؟

فارس محمود: لقد شارك اليسار ومنظماته وحلقاته، وهذه المرة بتبني راسخ لطرورات منصور حكمت، بفعالية ونشاط في التحضير للانتفاضة، وبالاخص مهاجمة مقرات النظام الفاشي البعثي واجهزته الامنية، وبالتالي، طرد قوى النظام من كردستان. اما الخطوة الاهم، فتتمثل بالمساهمة الدؤوبة بتأسيس الحركة المجالسية في كردستان، في المعامل والمصانع والمجالس الجماهيرية، وقد كان للمجالس حضور اجتماعي مؤثر. وقد ساهم كوادر الحزب الشيوعي الايراني في حينها وبشكل نشط ومؤثر في هذه الحركات الجماهيرية الواسعة، وبالاخص استناداً الى خبرتهم العريضة في تشكيل المجالس ابان الثورة التي اطاحت بالشاه في ايران.

لقد شهدنا في هذه المرحلة درجة من توثق الصلة ما بين اليسار والمجتمع. اذ ابتعد اليسار كثيراً عن مرحلة حلقات دراسية فكرية معزولة وهامشية. حيث انهمك مع المجتمع، رغم محدودياته السياسية والاجتماعية في وضع وتطورات هائلة وكبيرة، اذ كان له دور كبير في تنظيم العمال الطليعيين في المعامل ودعم والمساهمة في النضالات العمالية، ارساء حركة العاطلين عن العمل وتشكيل فروعها ومكاتبها، وتشكيل جمعية المشردين في كردستان، مساهمة خاصة بدفع نضالات المرأة والوقوف بوجه ممارسات الاحزاب القومية الكردية التي اتت للسلطة، والتي سعت لاختافة وارباب المجتمع عبر الحلقة الاضعف، وهي حملة اغتيال النساء بحجة "العمالة للبعث"، وقد كانت حملة واسعة وشرسة راح ضحيتها مايقارب 5 الاف امرأة في كردستان، وهم الذي كل تاريخ تقبيل

بمدد الارضية السياسية والاجتماعية لتأسيس الحزب

اكتاف صدام والحكومات المركزية في العراق والمنطقة.

لقد نظمت القوى اليسارية المجالس في كردستان العراق، وتصدت ببسالة للقوميين الكرد، بيد ان ما كان غائباً عن اذهان القائمين على الحركة المجالسية، هو ملئ فراغ السلطة، امتلاك الرؤية لافق استلام السلطة السياسية والتحول الى بديل سياسي، افق استلام ادارة المجتمع. ولهذا تلاشت الحركة المجالسية تدريجياً واضمحت ولم تصمد امام احزاب الحركة القومية الكردية التي تعرف ماذا تنتشد بالضبط، السلطة وادارة المجتمع. ان ضغط حركة اليسار، وفي مقدمتها الحركة المجالسية، كانت بحد بحيث اجبر جلال الطالباني والجهة الكردستانية الى حياكة الالاعيب والخطط لكي يمتصوا زخمها وهضمها الا انهم فشلوا في ذلك، اذ وجه الطالباني نداءً لتوحيد قوى اليسار والتقدمية داخل الاتحاد الوطني اولاً، وحين فشل في مسعاه اضطر الى اصدار فتوى ضد منصور حكمت وحركة المجالس. ورغم نقوصات اليسار وافتقاده للتجربة السياسية والعملية، الا ان اليسار اصبح له حضور جدي ومؤثر على صعيد اجتماعي. وهذا ما خلق الارضية الواقعية ليرتقي اليسار باشكاله التنظيمية وتأسيس الحزب.

الى الامام: تأسيس الحزب الشيوعي العمالي في 21 تموز 1993. مما تقدمت به، وضحت الارضية الاجتماعية والسياسية لتأسيس الحزب، ولكن ماهي المسارات العملية التي اتخذتها عملية تأسيس الحزب؟

فارس محمود: ان قضية تأسيس حزب شيوعي عمالي، حزب ماركسي، هي امر قديم في اوساط اليسار. فمئذ ثمانينات القرن المنصرم وحتى الحلقات الاولى للييسار كان تأسيس حزب شيوعي للطبقة العاملة هو هدف لها. بيد ان التصور السائد هو احالة هذا الامر الى ظرف غير معلوم، مجهول، وليس هناك خطة او تصور واضح لذلك.

ولكن، واستناداً الى هذا الدور والتدخل السياسي والاجتماعي والعملي الواسع للييسار، وتحديدأ الفصائل المناصرة لخط الشيوعية العمالية، ابان الانتفاضة وبعدها، بعث منصور حكمت في اوائل عام 1992، مقالة داخلية الى جميع المنظمات، المقالة باسم "مهامنا تجاه اليسار العراقي"، وهي مترجمة ومنشورة على سايت منصور حكمت، ورافق هذه المقالة بمجموعة من الاسئلة وجهها لقادة اليسار العراقي حول موضوع تأسيس الحزب ومدى امكانية تحقق هذا الامر، والاسلوب العملي لذلك ومكانة المنظمات القائمة. وبحكم وضعية الشيوعية العمالية، طرحت مسألة حول فيما اذا يجب تأسيس حزب او منظمة على صعيد كردستان العراق، نظرا لتواجد القوى اليسارية بكثافة في كردستان العراق ام تنظيم لعموم العراق. خلقت هذه المقالة جدلاً واسعاً حول هذا الامر على صعيد اليسار قاطبة، واصبحت عملية تأسيس الحزب موضوع الساعة.

ولهذا، اقربت، من الناحية المبدئية، كل المنظمات اليسارية بضرورة تأسيس الحزب استناداً الى النقاشات وتأكيدات المنظمات والحلقات، انحسم امر تأسيس الحزب خاصة بعد نشر منصور حكمت مقالاً له في جريدة انترناسيونال العدد الرابع "الشيوعية العمالية في العراق بحاجة الى حزب!!". ولكن بقيت الاسئلة المطروحة هل يؤسس على صعيد العراق ام كردستان فقط؟ والسؤال الثاني باي صيغة يتم التأسيس؟ اتفق الاغلبية على ان الحزب يؤسس على صعيد العراق ولا يقتصر على كردستان فقط. اما مسألة التأسيس فيمكن ان تمر عبر هيئة تحضيرية ومؤتمر تأسيسي للحزب. لكن لم يخلو هذا المسار من مواجهة صعوبات، من قبيل تأجج الصراعات بين منظمات اليسار التي كانت تصر كل

منها في حينها على انها اكثر تمثيلاً للشيوعية العمالية من نظيراتها، ودعواها بان تكون لها حصة اكبر في قيادة الحزب. فكانت الصراعات المحفلية من الحدة الى حد كان يمكن ان تتحطم هذه العملية برمتها، وذلك بدءاً من لحظة النقاش حول كيفية اقرار المندوبين للمؤتمر، ناهيك عن اختيار اللجنة المركزية المقبلة، اذ ترى كل منظمة نفسها انها اولى بان تكون "دفة القيادة" بايديها. رد منصور حكمت هذه الشخصية العملية المذهلة، على هذا الامر، ادراكاً منه من بصعوبة عقد المؤتمر التأسيسي، "ليس شرطاً ان نؤسس الحزب عبر هذه الطريقة، اي المؤتمر"، بل يمكن لعدد واسع من ناشطي الحركة بتوقيعهم واسمائهم، ان يصدروا بياناً يؤكدون فيه على توفر ارضية والضرورة الفورية لتأسيس الحزب وتخويل 10 من الكوادر القيادية المعروفة في الحركة لاعلان تأسيس الحزب، ويكونوا هم (مع اضافة آخرين عند الضرورة) اللجنة المركزية للحزب ويقودون الحزب حتى المؤتمر الاول. مع اعلان هؤلاء الرفاق العشرة لتأسيس الحزب، اعلنت المنظمات والحلقات الشيوعية العمالية انهاء وجودها السياسي والتنظيمي وانضمت للحزب. ومن هناك شرعت مرحلة اخرى من نشاط الحزب، مرحلة لم تخلوا من الصعوبات والصراعات الشللية التي تنبأ بها منصور حكمت.

الى الامام: بهذا الصدد، ثمة "رأي" يرى تأسيس الحزب على انه يفتقد للارضية، يفتقد عوامل التأسيس، وانه قد تم في جانب منه جراء "نفوذ" منصور حكمت، ما تعليقك على هذا؟
فارس محمود: على امتداد 3 عقود لم يطرح مثل هكذا رأي او "اعتراض". السؤال: لماذا يطرح اليوم؟! لا يمكن فصل رأي او "اعتراض" اليوم تجاه "الامس" بمعزل عن حسابات اليوم، واهداف اليوم وموقعية اليوم. هدفه "تبرير" وضع اليوم، وليس له اي صلة باية "علمية" او "موضوعية" إطلاقاً.

لقد اكد منصور حكمت على جملة مسائل ابان تأسيس الحزب، تعكس ضرورة تأسيسه وتوفر مستلزماته. والمضحك المبكي ان من يطلقون مثل هكذا رأي كانوا اكثرنا اصراراً عليه في وقتها! ساورد جزء منها هنا:

"مع حرب الخليج والازمة الداخلية في العراق شهدنا ايضاً تنامي يسار راديكالي وثورى بالاخض في كردستان العراق ذو صلة وثيقة بالاحتجاجات العمالية وبالاخض الحركة المجالسية للعمال والكادحين".*

"ان المرحلة الراهنة (وقصده اوضاع حرب الخليج ومابعدها-مني) مرحلة حاسمة في العراق. ان صراع القوى السياسية والاجتماعية لا تؤدي الى حسم الامور على صعيد ابعده. ان الاوضاع السياسية غير ثابتة والقوى البرجوازية، من بينها الاحزاب القومية لكردستان، غير قادرة على السيطرة التامة والنهائية على الاوضاع وفرض برنامجها بصورة تامة على المجتمع. يمر مجمل العراق بازمة وانعدام الحسم السياسي. في غضون هذه الفرصة، على العمال ان يحسنوا اوضاعهم. في هذه المرحلة، اذا لم تكسب الطبقة العاملة في العراق، او على الاقل في كردستان العراق، من الناحية الحزبية او التنظيمية، مكسب حاسم، ستفقد مجمل هذه الفرصة من بين ايدينا، وربما تتوفر في مستقبل ابعده كثيراً فقط امكانيات تأسيس حزب شيوعي عمالي مرة اخرى. زد على هذا، اذ حسمت القوى البرجوازية الازمة لصالحها، سيعاني العامل الكردي والعربي، ليس فقط من الناحية الموضوعية فحسب، بل كذلك من الناحية الفكرية والروحية من تراجع اساسي. ان الالتفاف اليوم

بصدد الارضية السياسية والاجتماعية لتأسيس الحزب

حول رؤية الشيوعية العمالية، ليس امراً باقٍ للابد. ان اعادة النظر والياس والشكوك يجلب الاخفاق، ويجعل عمل الشيوعيين في العراق اصعب بدرجات".*

"ان حزباً عمالياً وشيوعياً مهيناً للتدخل المؤثر في الساحة السياسية الراهنة للعراق وكردستان هو امر حياتي. ثمة مسالة مهمة في طور الحسم في هذا البلد، وفي ظل غياب حزب شيوعي عمالي مؤثر يمكن ان تحسم الامور فقط لصالح البرجوازية والرجعية".*

"ان امكاناتنا الراهنة لتأسيس الحزب لاتدوم للابد. ان الاجواء السياسية المفتوحة والتوجه والحساسيات المتعاطمة للعامل العراقي لدخول ميدان السياسة، وتحديداً لضرورة تأسيس حزب شيوعي عمالي، الاستعداد المبدئي للجماعات والحلقات العمالية والاشتراكية لتأسيس الحزب واحساس انتمائها لتقليد يسمى بالشيوعية العمالية، عدم وضوح مكانة النظام العراقي وغيرها جميعا عوامل يمكن ان يطرأ عليها تغيير سريع. برأيي ان نقطة انطلاق موضوع تأسيس الحزب هو الاعتراف والاقرار بهذا الواقع والوضعية. ان مهمتنا هي الاستفادة من هذه الفرصة. قد تكون الكثير من العناصر والعوامل الاخرى تتبع ارادتنا، بيد اننا لسنا صانعي مكانتنا الموضوعية، ولهذا مهمتنا هي الاستفادة القصوى من المراحل المعدودة في التاريخ التي تعمل الاوضاع بصورة مساعدة لتحرك حركتنا".**

هذه بعض وهناك مقاطع اخرى كثيرة ومؤثرة من وثائق التأسيس ، واراها منصور حكمت بهذا الصدد، ساترجمها وانشرها في الايام القليلة المقبلة، فاذا كان هذا شيء لا يفهمه احد ما او لديه مصلحة في غض النظر عنها، فهذه مشكلته. ومثلما نقول دوماً لا تتعلق المسالة بالفهم او المعرفة السياسية، بل بالموقف السياسي، بالمصلحة السياسية. والان فانه امراً واضحاً من اين انطلق منصور حكمت لتأسيس الحزب: الاوضاع السياسية للعراق وتحوله الى بؤرة للصراعات وتكالب القوى العالمية والمحلية، والعامل والحرية والمساواة هم اول ضحايا هذا التكالب، كل الجبهات البرجوازية حاضرة الا جبهة العامل والاشتراكية والمساواة. ان منصور حكمت عمل بالضبط وفق تقليد ماركس ولينين: شيوعي متدخل، لا ينتظر، يرى نفسه طرف ايجابي وليس سلبي في الاحداث، فاعل وليس منفعل، مادي ممارساتي. وهذا هو جزء اساسي من تقليدنا السياسي.

من جهة اخرى، كان يتحتم على منصور حكمت كإنسان أممي ان يلعب هذا الدور التاريخي كما لعبه ماركس ولينين من قبل في بلدان اخرى، وان لم يقم به فانه يكون قد قصر بعمله. اذ يقول منصور حكمت:

"تضع هذه الاوضاع مهمات مهمة على كاهل الحزب الشيوعي العمالي الايراني تجاه التحولات والتطورات اللاحقة للشيوعية في العراق. ففيما يخص صلتنا بالحركة الشيوعية في العراق، لسنا بشخص ثالث ومراقب متعاطف. ان متابعة المسار العام للاوضاع او اعلان التضامن او منح المساعدات الجانبية، التي قد تكون لقوة شيوعية ابعد منا هو سياسة كافية ، بيد انه لن يرد على مهامنا نحن كقوة منخرطة في هذه الوضعية، كجزء من تطور الشيوعية في العراق وبالاخص كردستان، وعلى هذا الاساس، تعد مهمتنا التدخل المباشر والنشط في الابعاد المختلفة لهذه الحركة صوب تقوية وصياغة صف الشيوعية العمالية في هذا البلد".*

ليس ثمة ابلغ من هذا. ليس لدي شيء اقله بهذا الصدد اكثر. لذا فان احالة تحولات تاريخية ضخمة وهائلة جرت في مجتمع مليوني يعوم في السياسة والاحداث السياسية والحركات الاجتماعية الى

"تأسيس الحزب جراء النفوذ القوي لمنصور حكمت"، امر مبتور وخارج عن السياق، حيث انه لا يأخذ بنظر الاعتبار وجود مجتمع طبقي ووجود مئات الشيوعيين وتواتر نضالهم و تدخلهم الواسع في الحركات الاجتماعية وفي المجالس. انه "ابتدال" لحدث تاريخي مهم.

الى الامام: ثمة سؤال يطرح نفسه هنا. تتكرر ظاهرة الانشقاقات في الشيوعية العمالية والحزب في العراق. مالسر الذي يكمن وراء مثل هذه الظاهرة؟!

فارس محمود: اود ان اطرح راياي الشخصي هنا بهذا الصدد، قد يتفق معه احد ما او يختلف. مثلما نوهت في السؤال الاول، لم ياتي ظهور تيار الشيوعية العمالية في العراق (قل كردستان) جراء تعمق راديكالية الطبقة العاملة، وانما ظهر كنتاج للتطورات والتحولات الفكرية والسياسية بالاحص على اليسار العراقي، يسار كان بالاساس وجوداً فكرياً، ايديولوجياً، عقائدياً اكثر منه سياسي-اجتماعي. وان دخوله للمعترك السياسي والاجتماعي بصورة عملية وواقعية كان في جانب منه احد ثمار تأثيرات اليسار في ايران الخارج توا من ثورة هائلة، وبدرجة عملية، الاحداث والتطورات الجارية لحرب الخليج وما اعقبها. ولهذا، فان عماد اللبانات الاولى لتيار الشيوعية العمالية هو هذا اليسار، يسار تقليدي، وجد في الماركسية الثورية، وبعدها في الشيوعية العمالية منفذا لمازقه وتيهه وتخبطه الفكري والسياسي، هذا التازم الذي اتخذ ابعاد كبيرة بالاحص مع افلاس الاشتراكيات البرجوازية السائدة بنسخها السوفيتية والماوية والتروتكسية و... ولهذا وجد اليسار في تبني الشيوعية العمالية، ذات المنجزات الفكرية والسياسية الهائلة، وبعدها في الحزب قناة لادامة عمره السياسي.

ولكن، ورغم قومهم من المنبع ذاته، الا انه يمكن رؤية طيفين انخرطا في صف الشيوعية العمالية وحزبها لاحقا: يسار تقليدي متازم وانضم جراء هذا التازم، وهو تيار واسع وعريض، واخر يرى في الشيوعية العمالية منهج وراية سياسية ونضالية جديدة وخط فكري وسياسي محدد، طور نفسه وسعى للتطابق مع كل التطورات الفكرية والسياسية والاجتماعية والعملية ومع مكاسب الشيوعية العمالية ومنجزاتها وان يكن بصعوبة بالغة بعض الاحيان، ولكنه كان عاقد العزم على ذلك...

مع رحيل منصور حكمت، غياب قائدها ومنظرها واستراتيجيتها، وتشتت قوى الشيوعية العمالية في ايران وغياب قائد فكري وسياسي معتبر من جهة، وعدم تقدم حركة الشيوعية العمالية واحزابها وترسيخ مكانتها السياسية والاجتماعية، لم يبقى لدى الطيف الاول في الشيوعية العمالية، وهو الطيف الذي كان له دور مهم في المقاومة العملية لتقدم الشيوعية العمالية عملياً، مايعرجه لادامة عمره في هذا الاطار. اذ لم تبقى الشيوعية العمالية "مدا". عادوا الى مكانهم السابق، يسار تقليدي، ايديولوجي تائه (كخط) صراحة.

والا لا يستطيع احد ان يفسر مثلاً حين يستقبل جمع ما او احد ما، نراهم "ينسلوا خلسة" وفوراً من الشيوعية العمالية دون ان يقولوا عنها شيئاً او كلمة، وهم الذين انفقوا اغلب عمرهم السياسي في اطارها، وعلى رأس حزبها!! انه نموذج على انعدام الامانة السياسية تجاه النفس، رفاق الامس والمجتمع. انه انتهازية سياسية صراحة لايمكن لاي احد تبريرها. اذ نرى القضية الحقيقية خلف الادعاءات غير الحقيقية، نرى خلف الصمت المفعم بالكلام والضجيج عديم المعنى التحجب ب"سحب عضوية رفيق ما" او "لا يمكن العمل مع القيادة الحالية"، او هبوط وحي متاخر جداً، ٣ عقود من العمل على راس الحركة، "ان تاسيس الحزب كان خاطئاً" او "لم يكن الحزب عمالياً" حقيقة تخليهم

بصدد الارضية السياسية والاجتماعية لتأسيس الحزب

الصامت عن الشيوعية العمالية منذ امد بعيد وليس يوم الاستقالة! من المؤكد ان سبب ذلك في احيان ليست قليلة هو عدم تحول الحزب الى قوة سياسية مؤثرة في المجتمع. اذ الاقتدار جذاب. ولكن الاقتدار والسعي للاقتدار والتحول الى قوة سياسية هو كل قضية الحزب والقيادة وقصة نضالنا.

وبخلاف ذلك الطيف القادم من مدن وسط وجنوب العراق، الطيف الذي ترعرع وتأثر بتقليد الحزب الشيوعي ذا نزعة التحزب والحزبية القويين، فان احد التقاليد المتجذرة في يسار الثمانينات في كردستان العراق هو التقليد القوي للانشقاقات وسيادة النزعات الانشقاقية. اذ وراء اي اختلاف في الراي، انتظر انشقاق مقبل! ان هذه سمة قوية للجماعات الايديولوجية وغير الاجتماعية. اي اختلاف في الراي يعني انعدام القدرة على عمل في ظل اطار واحد، ولهذا يتحجج احد ما "انه لا يستطيع العمل مع هذه القيادة" (كما لو ان احد ما اعطى له ضمانه ان العمل مع قيادة اخرى، اناس اخرين بطباع وسلائق اخرى، سيكون اسهل!!). وللأسف نقل هذا اليسار وانتقل معه هذا التقليد للحزب. ولم تنفع كل مساعي تيار الشيوعية العمالية بنقد هذا التقليد بوصفه تقليد التيارات غير الاجتماعية والايديولوجية وعمل من اجل انتهاء هذا التقليد غير السياسي وغير الاجتماعي. اتفق معه اولئك الرفاق لفظياً، وتصلوا عنه عملياً. وها نحن ندفع ثمنه حتى الان للأسف. اذ في كل الانشقاقات التي جرت اكدنا على عدم وجود اي ضرورة سياسية-اجتماعية لها، مفتعلة ومصطنعة وتبعث على الاستغراب لدى اي مراقب خارجي محايد، لا يستطيع ان يفهمها. ولكن فرضوها على الحزب، ولم يبقوا مجالاً لنا سوى القبول بالامر الواقع رغم مرارته. وبالاخير، ندفع ثمن ذلك التاريخ الذي القى بثقله على كاهل حركتنا.

وللاسف، لا يقف الامر عند هذا، بل ثمة حقيقة مرة، هو اننا نرى ثمة عداء صارخ غير مفهوم في احيان كثيرة يوجهه المنشقون للحزب. ان هذا ذات التقليد الثمانيني للييسار ابان انشقاقاتهم آنئذ، تقليد يسار غير اجتماعي، يسار للاسف يدوس بسهولة على كل تاريخه وعمر من الرفاق، يسار غير مسؤول ولا يتحلى بالمسؤولية السياسية والاجتماعية. اناس كانوا معك لعقود ويتحدثوا عن "عدم الثقة" مثلاً! هل من عاقل يستطيع ان يفهم هذا، ناهيك عن الفتاعة به؟!

اننا نؤمن بالحرية السياسية غير المشروطة وهي جزء اساسي منا ومن مبادئنا وعلى هذا الاساس نتعامل مع الاخرين، نؤمن بحق الاشخاص بالاستقالة، ويؤكد نظامنا الداخلي على ان الانضمام للحزب وتركه هو امر احادي الجانب وطوعي، الاستقالة (وليس تزوير وحرف الحقائق)، لان من مسؤوليتنا وواجبنا الدفاع عن الحزب وسمعة الحزب. ليس لديه اي دليل مبرهن عليه عن ان الحزب داس على طرف له او تعامل بصورة غير قانونية او اصولية، دليل اقر به مرجع رسمي، وليس ادعائه الشخصي وتفسيره الشخصي او ينصب نفسه مدعياً وقاضياً في وقت واحد... كلا.

وبالمناسبة، انا لا افهم من اين اتى هذا التصوير او هذه الذهنية التي ترى وتمنح "امتياز" للمستقبل او المنشق على انه طالما استقال، فان هذا يعني بداهة على انه "على حق" والحزب "مخطيء" بالضرورة. انا باق، وانت ذهبت، من منحك الحقانية، ومن اين اتيت بها؟! انه منطق غير قابل للفهم فعلاً. وبالاحرى يمكن فهمه، انه ضغط البرجوازية ونزعاتها المناهضة للتحزب الشيوعي. الادهي من هذا تركوا الحزب، ومضوا يرددوا ما يرددوا الاخرين من ادعاءات ضد الحزب، ورموا بمهمة الدفاع عن الحزب وتاريخ الحزب وثلاثة ارباع عمرهم وممارستهم السياسية على كاهلنا، لنقوم نحن بها! كل "ذنبنا" هو اننا بقينا، ولم نستقبل قبلهم!

لاقل شيء مؤمن به حتى نخاع العظم وبصدق وموضوعية وهو ان الابتعاد عن الشيوعية العمالية، عن منصور حكمت، هو ابتعاد عن ماركس، ابتعاد عن الحقيقة. ليس لكلامي اي صلة بتعصب تنظيمي او حزبي. اذ طالما لم يأتي احد ما بمنظومة ماركسية وشيوعية متكاملة ارقى وادق واعمق، رد مثل منصور حكمت على الف قضية وقضية محورية في النضال الشيوعي المعاصر، يبقى هذا موقفي وادعائي.

الحزب حزب حركة الشيوعية العمالية، باق في مكانه، ذا خط فكري وسياسي ماركسي عميق، يستند الى مكاسب ومنجزات نظرية وسياسية كبيرة، كتابات هذه الحركة معروفة ومدونة، لسنا وحيدين، معنا حزبين شقيقين، بتاريخ رغم كل عثراته واخفاقاته هو مبعث على الفخر، ومجتمع بامس الحاجة الى شيوعية ثورية وراديكالية متوثبة. ان مكان العامل والتحرري والمساواتي، نساءً ورجالاً، هو هنا، صفوف الحزب الشيوعي العمالي.

الهوامش:

*منصور حكمت، مهامنا تجاه اليسار العراقي، شباط 1993

**منصور حكمت، بصدد تاسيس الحزب الشيوعي العمالي العراقي، رسالة الى الرفاق العراقيين

20 نيسان 1993

تعليق على تعليق رفيق سابق!

عزيزي حسين احمد
تحية طيبة...

لأننا ننشد ان يكون للانسان قيمة، وضع حد لاستغلال العامل واضطهاد المرأة، وارساء عالم اكثر انسانية وعدالة ومساواة، نظل دوما ننتقد انفسنا، وننتقد نواقصنا، طالما نحن والبشرية الداعية لعالم افضل لم نحقق اهدافنا، نبقي ننتقد انفسنا لنكون اقوى وافضل... ولكن هذا لايعصب اعيننا عن رؤية مفاخر هذا الحزب ومحطات كثيرة مشرقة في نضاله والقيم السامية التي جلبها للمجتمع. هذا في مكان وذاك في مكان.

لكل من عرف السياسة، يعرف ان الاحزاب التي ترد على متطلبات عصرها، تتقدم وتكسب القوى، وحين لا ترد، تتراجع وتتحسر عنها القوى. لم نرد لحد الان على متطلبات عصرنا، لم نكن بالمستوى المطلوب، وفي الحقيقة بعيدين عنه. هذا راينا وكلامنا في كل مناسباتنا الرسمية وغير الرسمية. ان كان قسم من معوقاتنا هي ظروف موضوعية واقعية، فان قسمها الاخر يقع على كاهلنا وكاهل ممارسنا.

لكل من عرف السياسة، يعرف ان ملا مصطفى اعلن "اش بطال" (الاستسلام) واعتزاله السياسة، اعلن هزيمته وتخليه، ولولا حرب امريكا، هل يعرف احد ماذا يحل بحزب الطالباني او برزاني، وهل ياتي من مثل الجعفري او الصدر مثلا، اسمعت بأسم الخزعلي والعامري والمهندس؟! ظروف خدمتهم، والا قد لايتذكرهم الا قلة. للأسف، سارت ظروف كثيرة بالضد منا، وحذرنا منها بانها سترمي بالمجتمع في تردي ودمار واوضاع مناهضة لشفافية وتطور الصراع الطبقي، وحدث كل ما تنبينا به، بالاضافة الى نواقصنا ومشكلاتنا الجدية نحن. بالسياسة، تاتي ايام صعود وتنامي، وايام اخرى "قاحلة" ومررنا بهما كلاهما، وكلي امل، او لا بد لنا من ان نسعى لنضع الايام "القاحلة" خلفنا. هذا هدفنا، ولا احد يعطي وعداً في السياسة.

ليس ثمة حزب بقدر حزبنا اشار الى اخطائه ونواقصه وغير راضي عن نفسه حتى ولو 5%. انا عضو قيادي في الحزب من تاسيسه لحد الان واقوله لك. اغض عن الالهانة جانباً واقول: لم اكن يوماً صحافياً وليس تقليدنا هذا. ان اهم تقليدنا هو ما قاله منصور حكمت يوماً: "مهما كانت الحقيقة مرة، انظر لها بعين باردة"، اي انظر للامور بموضوعية!

ان نكون من الماضي او انتهينا، للأسف هذا هو الهدف الذي يسعى الراسماليون، البرجوازيون، وكل الذين لهم مصلحة في ديمومة الظلم والاستغلال. انت لست منهم. ولكن لماذا تردده؟! "نحن انتهينا"! كم في هذا "خير" لك؟! كم لك "مصلحة" في هذا؟! صفر. اذاً، لماذا تردده؟!

اذا لم يغير الحزب شيء ما، فانه، على الاقل، دافع على الاقل بجرائده وادبياته وتنظيماته وكوادره عن انسانية الانسان، تحدث عن ان هذا العالم مقلوب، تحدث عن حقوق العاطلين، دافع عن المرأة، تحدث عن "ضمان بطالة او فرصة عمل مناسبة"، "مساواة المرأة بالرجل"، "فصل الدين عن الدولة والتربية والتعليم" ودافع عن حقوق المتهمين، وتحدث عن بيع الجسد بوصفه مهنة ودافع عن كرامة تلك التي رمت الحياة بهن الى هذا "السبيل"! وقف بوجه الحرب والطائفية ضد الاسلام السياسي، وامريكا ومليشيات ايران و... الخ! وسعى ايضا وحاول ... وحاول... وحاول.. ونظم!

ان قرأت جوابي جيداً، انا لم اسيء الى احد مستقيل. انا تحدثت عن "الانشقاقات" غير المسؤولة وغير المبررة و"المحرقة للحقائق" وليس عن الاستقلالات الفردية لاعضاء في الحزب. وقلت ان الاستقالة حق بدون قيد وشرط، حق الانسان في ممارسة حريته بعدم البقاء في اطار ما. ولا اخفي عليك في اكثر من مناسبة ومناسبة، تحدثت وموجود بشكل مدون ايضا عن شكري وتقديري اللامحدود لكل من منح الحزب ساعتين من وقته، ناهيك عن سنين وعمر.

الانسان كائن مادي وعملي، يرى في اطار ما مصلحة ما (تحقيق هدف ما) يبقى فيه، وان توصل الى انه لا يرى اي فائدة او هدف من التواجد في الحزب، او تعب، او لم تبقى له طاقة ومزاج، يتركه. لا يصرف عليه وقتاً. انت رأيت ان لا جدوى من الحزب. انا لا اراه كذلك. هذا كل ما في الامر.

ولكن، وللانصاف، شخص قرر يترك النضال من اجل عالم افضل، كيف اساويه من الناحية السياسية والنضالية باخر يربط الليل بالنهار، من وقته ومن جهده وتضحية بامور كثيرة، وبقي مع رفاق له من اجل انجاز هذا الهدف وتحقيقه. ليس في الامر اي انصاف. انا لا اعرف من اين اتى هذا المنطق: "يتبجح" ويستخف من هو خارج الحزب على من ادم ويديم نضاله فيه. مثلما قلت انه مضغ طعم دعاية النزعة البرجوازية والقصف البرجوازي المعادي للتحزب الشيوعي، لا اكثر.

رفيقي السابق... تقول الامر ليس بالارادة. بوسع اي انسان يدير ظهره، ومن حقه، ولكني، وغيري كثير، لا نستطيع ان ندير ظهرنا عن هذا الاطار، طالما ليس هناك افضل منه واحسن، واعتقد انه يوصلنا لاهدافنا اسرع. والا اني لست مصرأ على حزب، حتى الحزب الشيوعي العمالي، ولا مصر على شخص حتى ولو كان منصور حكمت او ماركس او لينين، انا مصر على الحزب والاشخاص الذي يقربوني من اهدافي بعدم بقاء هذا المستنقع المرير الذي اسمه "عالم الراسمال"، واني على قناعة ان هذا الحزب وهؤلاء الاشخاص هم الذين يبلغوني هذه الاهداف السامية، ولهذا اصونهم كعيني.

تعليق على تعليق رفيق سابق!

اذا لديك فكرة اخرى واطار اخر، انا اكثر من ممتن لك ان تبلغني، عسى ان التحق بك، ونمد ايدينا لبعض بالخلاص من "اسطبل اوجيانوس" القدر هذا الذي ترسف به مليارات البشر! ولكن ان اترك هذا الاطار وانت لاتمد يد السبيل لي، لن اقوم بهذا، متأسف! لا تنصحي لدرّب، يجعل الامور اكثر سوءاً.

ليس للبشرية مناص من النضال، لسبب بسيط انها لاتقوم بتترف، حتى تتخلى عنه. انها تقوم بذلك دفاعاً عن وجودها، عن بقائها، عن حياتها وغداها ومستقبل اطفالها. النضال من اجل حياة افضل امر ماهوي وعضوي عند الانسان بالمعنى الاوسع والاشمل للكلمة. وهذه هي فلسفة وجودنا، برنامجنا "عالم افضل"، نضالنا. كنا قلة ام كثرة ليست هي اصل القضية، ولكن مررنا بمراحل "كثرة" ليست قليلة، وكلنا امل بتكرارها قريباً. واسعى لذلك!

26-6-2020

اي قيم اتى بها

الحزب الشيوعي العمالي؟

يعتبر الحزب الشيوعي العمالي العراقي (الحشع) انقطاع كامل عن الشيوعيات البرجوازية في العالم العربي، مثل الحزب الشيوعي العراقي، ليس في الاهداف التي يتبناها فقط، بل في القيم الانسانية التي يشيعها في المجتمع بشكل يومي وفي الوضوح والمبدئية في المواقف والطروحات. ان قيم الاحزاب الشيوعية التقليدية في المنطقة، هي قيم حركات التحرر الوطني والتي هي قيم الحركة القومية للدول المتخلفة الواقعة تحت السيطرة الامبريالية " العالم ثالثة" المتأثرة بالاسلام. ولقد استخدمت هذه الاحزاب، التي هي احزاب حركة برجوازية اصلاحية، الماركسية بالشكل التي تخدم مصالح حركاتها والدفع بقضيتها فيما يخص " تحرير الوطن". اذ ليس لشيوعية هذه الاحزاب طابع او بعد انساني بل هي شيوعية فظة، وجافة، وخشنة ولا تتماشى مع المعايير العصرية. لقد تبلورت قيم هذه الاحزاب في سياق التركيز على النضال العسكري والسياسي ومعاداة الغرب والابتعاد عن النضال في الميدان الاقتصادي والاجتماعي. وتتميز هذه الاحزاب بميزة وهي الضبابية والغموض في الشعارات والمواقف والطروحات، بشكل مقصود، وتفادي التصدي الجدي لقضايا اساسية في المجتمع مثل قضية حقوق المرأة او حقوق الطفل والموقف من الدين، وهذه الضبابية تساهم في ان يدخل الحزب الشيوعي العراقي في تحالفات مع الحزب البعث والحركة القومية الكردية وتيارات الاسلام السياسي. ويمكن هذا الامر، الحزب الشيوعي العراقي، على طول تاريخه، على تقسيم الحركات الرجعية مثل

اي قيم اتى بها الحزب الشيوعي العمالي؟

الحركة القومية والحركة الاسلامية الى "حسن وسيئ، معتدل ومتطرف، من يقف الى جانب الشعب والمعادي للشعب"، اذ ان الباروميتر في هذه التقسيمات، في احسن الاحوال، هو " معادة الامبريالية". في المقابل ان الكثير من القيم الانسانية والعصرية دخلت الى المنطقة على يد الحركة الشيوعية العمالية والحزب الشيوعي العمالي العراقي، الذي يتميز بمواقف وشعارات واضحة وشفافة وبمبدئية وصراحة وعدم مهادنة للرجعية.

الموقف من حرية التعبير!

ان شعار الاساسي للحزب الشيوعي في المنطقة حول حرية التعبير هو " الحرية للشعب والموت لاعدائه". ان هذا الشعار، من الناحية العملية هو شعار فارغ ليس فيه التزام محدد. اذ لا يحدد الحرية المقصودة، ومن سيقوم بتعريف الحرية، ومن هو في صف الشعب ومن هو في خانة اعداء الشعب، وهل المعارضين للحزب الشيوعي العراقي مثلا هم اعداء الشعب؟. وعندما يتعلق الامر بحريات محددة وملومسة وعملية مثل حرية التعبير وحرية النقد وحرية النشاط السياسي، تضع الاحزاب الشيوعية التقليدية شروطا لمثل هذه الحريات، وهي تلتزم بل تدعو الى التقييد بكل شروط الحركة القومية والاسلام السياسي. اذ ساومت الاحزاب الشيوعية التقليدية مع الاسلام السياسي والحركة القومية، و قبلت بان حرية التعبير يجب ان لا تتجاوز على " المقدسات الدينية والقومية"، بحجة ان تلك المقدسات هي مقدسات المجتمع.

في حين دخلت مقولة حرية التعبير غير المقيدة وغير المشروطة الى المنطقة والعراق، على يد حركة الشيوعية العمالية والحزب الشيوعي العمالي العراقي. يرفض الحزب الشيوعي العمالي العراقي وضع اي شرط او قيد على حرية التعبير وحرية النقد وحرية اعلان الوجود، باعتبار هذه الحرية غير المقيدة وغير المشروطة هي ضرورية للدفاع من المراتب الادنى ضد تجاوزات المراتب الاعلى في المجتمع مثل الدولة او صاحب العمل الخ. فاي شرط وقيد يضع على حرية التعبير وحرية اعلان الوجود هي وسيلة تستخدمها القوى المتسلطة لتقييد حرية شريحة معينة من المراتب الدنيا في المجتمع. يجب ان تضمن لكل الافراد الحرية في التعبير وحرية اعلان الحضور المعنوي والاجتماعي والحرية السياسية و نقد مختلف الجوانب السياسية، الثقافية والأخلاقية والأيدولوجية للمجتمع . ويجب ان لا تقمع هذه الحريات باي شكل من الاشكال وتحت اي ذريعة مثل التجاوز على "المقدسات القومية والدينية او الاضرار بالمصالح الوطنية او بسمعة الوطن او جرح المشاعر العامة او ضرب المعنويات او عدم منطقية وتفاهة الافكار المطروحة". فحرية التعبير في نظر الحشع هي حرية التعبير عن اي فكر وتصور مهما اعتبر تافها وغير منطقيا او بشعا في نظرا الاخرين، فهذه الاوصاف هي اوصاف ذاتية، نابعة عن نظرة معينة للحقيقية، وتعني التقييد بحدود اخلاق ونظرات جهة معينة. عرض افكار وسلوكيات وشخصيات معينة كمقدسات المجتمع، هي وسيلة لفرض قيم ومفاهيم وسلوكيات وشخصيات حركات اجتماعية وسياسية معينة على المجتمع، وقمع المخالفين لها باسم المجتمع. من حق الانسان ان يؤمن بما يعتقد هو صحيح ويمثل الحقيقية، ولكن هذا لا يعني على الاخرين احترام عقيدته. اي ان حرية الاعتقاد هو حق ولكن فرض احترام تلك المعتقدات على الاخرين هو ليس حق.

كما يأمن الحشع بحرية العقيدة، والتحزب والتظيم و عقد الاجتماعات، والنشر، والتظاهر، والإضراب، دون قيد أو شرط. لا يقبل الحشع بالقمع لاعدائه، وكانت هذه القناعات الدافع وراء كل

سياسات الحشع منذ تاسيسه، ولذلك قام مثلاً بالتنديد باعتقال عبدالله اوجلان، قائد الحزب العمال الكردستاني رغم كل الخلافات، لانه يامن ان هذا النوع من عمليات القرصنة السياسية تمنع اقامة مجتمع سليم.

الموقف من الدين!

تتفاذي الاحزاب الشيوعية التقليدية، اتخاذ موقف واضح من الدين، وقد ساومت بشكل مهين مع الاسلام وحركات الاسلام السياسي. ويعتبر قبول الحزب الشيوعي العراقي مثلاً ببدأ كون الدين الاسلامي خارج نطاق النقد لكونه من "مقدسات المجتمع وعقيدة الجماهير" والتحالف المخزي الحالي مع الاسلام السياسي المغرق في الرجعية اخر الامثلة. في حين ان موقف الحزب الشيوعي العمالي العراقي من الدين هو راديكالي الى اقصى الحدود وقد عبر عن موقف صريح ولاليس فيه من الدين بما فيه الاسلام وحركات الاسلام السياسي.

لايقبل الحشع بمقولة ان المجتمع العراقي هو مجتمع اسلامي. في نظر الحشع، ان الدين الذي كان جزء من ارث المجتمع العراقي لقرون يترك ثقل عليه و يؤثر على تفكير ونظرة ومزاج وسلوك بعض الناس في المجتمع العراقي ولكن المجتمع العراقي هو ليس مجتمع اسلامي، بل هو مجتمع متعطش للحرية والمساواة وانهاء التمييز وللحياة الكريمة و يامن بالعلم و يحب الحضارة والمدنية و يحب الفن والموسيقى العصرية وهو يماثل المجتمعات البشرية المعاصرة. ان الاعراف والتقاليد والقوانين والسوكيات الاسلامية في المجتمع، هي ليست نابعة من رؤية ومعتقدات الجماهير، بل تم فرضها من خلال عنف منفلت العقال وقصف اعلامي يومي هائل.

على الرغم من كل هذا العنف والدعاية الهائلين واسلمة القوانين والعلاقات السائدة اخفقت كل الجهود منذ الحملة الايمانية للبعث الى ممارسات المليشيات في يومنا هذا من اجبار المجتمع على قبول الهوية الاسلامية بوصفها هويته، وهكذا جائت ثورة اكتوبر لتنتزف كل الترهات حول اسلامية المجتمع. فالاسلام ليس له صلة بالاقتصاد السياسي للمجتمع الراهن، بما فيه المجتمعات في الشرق الاوسط. ان صعود الاسلام السياسي ليس نتيجة لنفوذ الاسلام والعقيدة الاسلامية على فكر البشر في هذه المنطقة، بل جاء كجزء من الصراع بين الاقطاب العالمية ومعادلات الحرب الباردة وسياسات الغرب تجاه هذه المنطقة والقضية الفلسطينية ونتيجة اخفاق الحركة القومية ومشروعها التحديثي الاقتصادي والثقافي في بلدان الشرق الاوسط.

ويعتقد الحشع بانه ليس للاسلام جناح تقدمي يمكن الدفاع عنه. ولايمكن تقسيم الاسلام السياسي الى "اسلام جيد وسيئ" ولايجب فصل الحكومات والتيارات الاسلامية عن الدين الاسلامي لغرض حماية الاسلام من جرائم الاسلام السياسي. ان مايجري في بلدان "المسلمة" ليس نابغ عن الفهم والاستنتاجات الخاطئة لهذه التيارات والحكومات عن الاسلام بل هو التعبير الحقيقي عن الاسلام. يدعو الحشع الى فصل الدين عن الدولة وقوانينها وعن التربية والتعليم بشكل كامل. يدعو الى الغاء مقولة الدين الرسمي. وفي الوقت الذي يدعو الحشع الى حرية التدين والاحاد ويعتبر الدين شان خاص للفراد، يامن في نفس الوقت بان الدين هو نوع من الوهم الذي يجب ازالته من المجتمع ليس من خلال الاستبداد والقمع، بل عن طريق القضاء على الارضية التي تقوي الفكر الديني ونفوذ الحركات الدينية. يناضل من اجل فضح الدين ويعتبره جزء من السفاحة واللوبيبية في المجتمع. اذ

اي قيم اتى بها الحزب الشيوعي العمالي؟

يامن بان اقامة نظام سياسي علماني وعصري هو مجرد الخطوة الاولى في مسيرة تحرر الانسان من كل الخرافات الدينية والقومية والاثنتية والجنسية والعرقية. لذا يجب ان يناضل المجتمع بشكل واعى من اجل ازالة تأثير الدين.

من جهة اخرى، رغم ان مناهضة الشيوعيين للدين هي مسألة هوية، لان الدين وخاصة الاسلام هو سبب لمصاعب كبيرة للانسان وسبب لاهانة الانسان ولهتك الكرامة الانسانية وهو مصدر للنزعة البطريركية والتجاوز على حقوق الطفل والمرأة ويشجع نزعة نشدان الموت ويتناقض مع الفرح، ولكن مناهضة الدين غير كافي في مجتمعاتنا. يجب مواجهة الاسلام السياسي الذي يعتبر الاسلام احد بدائل اليمين في المنطقة لتنظيم سلطة البرجوازية بمجابهة اليسار والطبقة العاملة وفي المنافسة مع البرجوازية العالمية على حصته من الثروة والنفوذ بكل قوة ودون مساومة، لانه حركة يمينية رجعية وعنصرية مناهضة للشيوعية والاشتراكية وللحرية والتحديث والتقدم والثقافة المتحررة وللفرح والسعادة الانسانية وللحقوق المدنية للمرأة والطفل، وحرية ابراز الوجود للناس في الميادين الثقافية والشخصية، وهو يمارس القتل الاعمى ويفرض قوانين بربرية على البشرية.

الموقف من المساواة بين الرجل والمرأة

لاتعير الاحزاب الشيوعية البرجوازية اهمية كبيرة لقضية المرأة واعتبرت قضية ثانوية لمسألة تحرير " الشعب من الاستعمار ومن الدكتاتوريات". يتركز اهتمام الحزب الشيوعي العراقي مثلا في قضية المرأة في الاشادة بمشاركة المرأة في النضال الى جانب الرجل، ولم تكن مكانتها في المجتمع وحقوقها ومساواتها قضية هذا الحزب .

في حين يناضل الحشع من أجل المساواة التامة بين المرأة والرجل في جميع النواحي. ويناضل في الميدان الفكري والعمل ضد الثقافة والتقاليد والأعراف البطريركية والمقيدة والمتخلفة المعادية لحقوق المرأة وأرادتها المستقلة وشخصيتها بوصفها مواطنة متساوية الحقوق في المجتمع.

ويحارب بقوة ضد كل اشكال سوء المعاملة والإهانة والعنف بحق المرأة في المجتمع وداخل الاسرة. ويقف ضد التدخل في العلاقات الشخصية والعاطفة والجنسية للمرأة من اي جهة كانت. ويقف ضد اي قيود لحرية المرأة في اختيار الملابس واختيار العمل والمعايشة وفي السفر. يامن بحق الانفصال والطلاق بدون قيد أو شرط للمرأة والرجل والمساواة التامة في الحقوق والمهام للمرأة والرجل في الأمور المتعلقة برعاية وتكفل الأطفال بعد الانفصال.

ويحارب كل أشكال الفصل بين المرأة والرجل في الجامعات وفي مواقع العمل والمواصلات العامة. ويرفض الحشع الألقاب التي يتم بها تعريف المرأة وفقاً لمكانتها مقابل الرجل.

يطالب الحزب باعتبار بيع الجسد مهنة وبرفع الصفة الجرمية عن حياة وعمل الأشخاص الذين يلجأون إلى بيع أجسادهم و يطالب بحماية القانون لهم بوجه اي استغلال وتطاول، ويدعو الى صون شخصيتهم واحترامهم.

ومن الناحية العملية لقد حول حقوق المرأة ومساواتها مع الرجل الى قضية اساسية في مجتمع

كردستان في التسعينيات. وقد تصدى حسب الامكانيات لاي تطاول على حقوق المرأة من حملة النظام البعثي ضد باعات الجسد، الى التطاولات على حقوقها في حدود الجاليات الشرقية في الدول الغربية تحت ستار سياسات تعدد الثقافات. وفي داخل البيت وضمن حدود الاسرة بلغ لوجوب مشاركة الرجل في عمل البيت وتربية الاطفال، ومنع فرض العمل المنزلي على الزوجة وقد حوله الى حد ما، الى تقليد بين اعضائه.

الموقف من حقوق الطفل

يقف الحشع ضد كل أشكال إيذاء الأطفال البدني والنفسي في نطاق الاسرة والمؤسسات التعليمية والمجتمع بشكل عام وتهديدهم وتخويفهم. ويقف ضد استغلال الاطفال جنسيا حتى اذا كان تحت غطاء الزواج. ويقف ضد تشغيل الاطفال.

يقف الحزب بقوة ضد تلقين الاطفال اي ايولوجية، بما فيها الافكار الماركسية قبل سن 16 سنة، اذ يجب ان لايفرض اي معتقد او تقليد عليهم. ويدعو خاصة الى حماية الأطفال تحت سن 16 عاماً من كل نوع من التجاوزات المادية والمعنوية للأديان والمؤسسات الدينية. ان الدين مسألة خاصة وشخصية بالوالدين وينبغي عدم فرضها على الطفل، اذ ليس للطفل دين وتقاليد. يامن الحزب بوجوب منع الحجاب الاسلامي للاطفال من خلال القانون اذ له تاثيرات سلبية هائلة على عقل وحياة الفتيات حيث يرافقه عزل الاطفال من الاناث ومنعهن من الاختلاط والتعلم والتسلية والرياضة واللعب بحرية والاستفادة من الامكانيات التي يوفرها المجتمع كحق. حرية الملابس هو حق متعلق بالكبار ولايعتبر تحجيب الاطفال حرية الملابس. ان تحجيب الفتيات هو قسر وفرض اتباع فئة دينية معينة ملبس معين على الاطفال. و يقف الحشع ضد التجنيد العسكري للاطفال تحت سن 16. ودخلفي وقت سابق، في مواجهة مع سسياسات الحزب العمالي الكردستاني في تجنيد الاطفال في كردستان العراق

الموقف من الحزبية والتحزب

ان موقف الاحزاب الشيوعية واليسارية التقليدية من ترك الافراد لصفوف الحزب والاستقالة احيانا هي نظرة شبة دينية وينظر اليها كارتداد وقد تؤدي الى التشهير والتسقيط وحتى التصفية السياسية. في حين ان الانتماء الى الحزب الشيوعي العمالي العراقي والاستقالة منه هو خيار شخصي. ليس هناك اتهام او اي حق للحزب على الشخص المستقبل.

من جهة اخرى، اعطى الحشع بخلاف احزاب التيارات الاخرى حرية التامة للفرد في الرأي. واذا كان الفرد مخالف لسياسة معينة من سياسات الحزب -يمكنه عدم الترويج لها، اذ ليس شرط ان يوافق الكوادر على كل السياسات التي يتبناها الحزب.

ومن المسائل الاخرى، يدافع الحزب الشيوعي العمالي العراقي بقوة عن فصل الدولة عن القومية وعن المساواة التامة والمطلقة في الحقوق المدنية لجميع المواطنين ومساواتهم أمام القوانين. ويدعو الى عدم تقسيم البشر على اساس المراتب ايا كانت. ويدافع عن ترسيخ الثقافة والقيم والمعايير الانسانية والمعاصرة والعلاقات الانسانية المتحررة وعن العلم وكل النضالات التحررية.

اي قيم اتى بها الحزب الشيوعي العمالي؟

ويدافع الحشع بقوة عن الحقوق الشخصية مثل حق كل شخصين تجاوزا 16 عاما في الحياة المشتركة، ويعتبر الجنس بين البالغين شان شخصي ليس لاحد الحق في التدخل فيه وعن حرية اختيار الملبس وحرى اختيار الاقامة والسفر. يقف الحشع ضد الافتراء وانتهاك حرمة الاشخاص، والتدخل في خصوصيات الافراد، وتفتيش العقائد الخ. يعبر الحشع اهتمام خاص بالتسلية والاستجمام والسعادة.

هذه واخرى هي العشرات من التقاليد الانسانية والعصرية التي تعكس الطابع الانساني للحزب الشيوعي العمالي العراقي. ويدافع عنها بمدنية ودون اي مساومة وهي صيغة غريبة عن الاحزاب الشيوعية التقليدية.

الحزب والمسارات السياسية الشيوعية

دون بوصلة سياسية شيوعية تحدد المسارات السياسية في المنعطفات التاريخية لا يمكن الوصول الى الاشتراكية. نعم هنا نؤكد على الاشتراكية، التي هي الهدف الرئيسي لاي حزب شيوعي يمثل الصف الواعي للطبقة العاملة، ويتبنى منهجية ماركس منهجية البيان الشيوعي و الايديولوجية الالمانية وراس المال دون اي لف ودوران، الذي اعتاد عليه اليسار غير عمالي بكل تلافيفه وتياراته السياسية. بالغاء الاشتراكية من اجندة اي حزب وتحت أية مبررات كانت مثل “القاعدة التكنيكية الاقتصادية للمجتمع غير ملائمة، الظروف الموضوعية غير متوفرة، المجتمع متخلف، الجماهير غير مستعدة لذلك، الاولوية لمحاربة الاستعمار والامبريالية، تحرير فلسطين اولاً.. الخ من تلك الترهات”، نقول ان هذا الحزب الذي يحمل يافطة الشيوعية ليس بشيوعي وليس له اية علاقة بالشيوعية لا من قريب ولا من بعيد.

وعلى ذكر الاشتراكية، فقبل الخوض في تفاصيل الموضوع اعلاه، ما أن كتبنا في إحدى المقالات أن بديل انهاء كل الاوضاع السياسية في العراق هو الاشتراكية، لم يعترض علينا اي احد من البرجوازية بتياراتها السياسية ما عدا لفيف من اليسار الذي ساق المبررات التي ذكرناها. ان البرجوازية عندما ترفع تياراتها السياسية شعارات معادية للانسانية او برنامج يعود بالمجتمع قهقري إلى الوراء أو المطالبة بتنفيذ برنامج اقتصادي يفرض الافقار على غالبية المجتمع مثل برامج ومشاريع صندوق النقد الدولي والبنك الدولي تمر مرور الكرام، ولا تقلب الدنيا وتقعدها مثلما تقلبها على الشيوعيين

الحزب والمسارات السياسية الشيوعية

عندما يرفعون شعار (الاشتراكية هي البديل). فخذ مثلا شعار (الاسلام هو الحل) الذي رفعته القوى الاسلامية منذ مطلع تسعينات القرن الماضي، فهو اي الشعار معادي حتى العظم لتطلعات وأمانى البشر من اجل حياة حرة وكريمة، هذا ناهيك عن أن أجندة تلك القوى مليئة بالاجرام و معادية للحريات الانسانية والنساء والاطفال من اجل تحقيق برنامجها شعار (الاسلام هو الحل)، إلا أن التيارات اليسارية الماركسية لم تنبس كلمة مثلما ترفع عقيرتها تجاه شعار (الاشتراكية هي الخلاص والمنفذ للبشرية).

لنعد الى موضوعنا وهو البوصلة السياسية الشيوعية التي دونها لا يمكن الحفاظ على استقلالية الطبقة العاملة وافاقها السياسية، ولا يمكن تجاوز المسارات السياسية التي تفرضها البرجوازية تارة في صراعها السياسي مع الطبقة العاملة لادامة سلطتها السياسية، وتارة اخرى في صراعها مع أجنحتها ومحاولتها جر المجتمع برمته الى جانب هذا الجناح او ذاك، وبالتالي للحفاظ على الواقع الطبقي لاستمرار ربحيتها واستلامها للحقوق الأساسية للجماهير العمالية والكادحة التي تشكل الاغلبية المطلقة للمجتمع.

أن البوصلة السياسية للبرجوازية بتياراتها المختلفة تتجه دائما للحفاظ على سلطتها السياسية بكل الأشكال الممكنة و الآليات المتنوعة، مثل تفويض كل الحريات السياسية والانسانية بكذبة الديمقراطية كما هو حاصل في العراق وحصرها بصندوق انتخابي تغلقه الميليشيات وهي من تفتحه، او استخدام يافطة الحفاظ على الامن القومي او الوطني لسحق الحريات، أو بإشعال حرب أهلية بعناوين اما قومية او طائفية او دينية، او بإشعال حرب عبر الحدود القومية، أو بعقد اتفاقيات اقتصادية مع المؤسسات والشركات الدولية والعالمية لفتح الأسواق المحلية امامها وتوفير الشروط لتشديد ظروف العمل وفرض ابعث انواع الاستغلال على العمال كي تدر ارباح وفائض قيمة عليها، او اقامة دكتاتورية فاشية.. الخ. وطبعا وفي كل مسار سياسي هناك ترهات العناوين التي تنظم حملتها الانفة الذكر لتعبئة المجتمع وتسويق أجنحتها.

إن درجة دقة البوصلة السياسية ومعياريها بالنسبة للشيوعيين يعتمد في اخذ بنظر الاعتبار المصالح المستقلة للطبقة العاملة وتحسينها فكريا وسياسيا في كل لحظة من لحظات الصراع الطبقي الذي يظهر مرة بشكل هادئ ومستتر واخرى بشكل مكشوف وعلني كما يعلمنا ماركس. وفي عالم تسيطر البرجوازية على جميع مقدرات المجتمع، وعلى الاعلام، وعلى شراء الأقاليم المأجورة، وعلى الحرفية في صناعة الدين والقومية والطائفية لنشر خرافاتها في صفوف الطبقة العاملة وفي المجتمع، تضع على عاتق التيار الشيوعي والحزب الشيوعي مسؤولية كبيرة لصيانة الصف المستقل للطبقة العاملة وخاصة في المنعطفات السياسية والتاريخية في المجتمع.

موقف لينين من الحرب الامبريالية العالمية الاولى نموذجا:

إن عبقرية وأهمية لينين تكمنان في المنعطف التاريخي الذي مر بالبشرية خلال الحرب العالمية الاولى، هي بتوجيه نقد سياسي لاذع ضد برجوازية بلده روسيا، وأشار بشكل واضح ودون اي تردد او مجاملة وبحزم ماركسي، ان البرجوازية الروسية لها اطماعها الاستعمارية في حربها الامبريالية ومشاركتها فيها، وان عمال روسيا ليس إلا وقود في تلك الحرب الامبريالية، وعلى عمال روسيا وعمال البلدان المتحاربة بتوجيه فوهة بنادقهم إلى صدور البرجوازية بدلا من توجيهها الى صدور

عمال البلدان التي تحاربها. ان مساعي لينين الحثيثة بالدعاية والتحريض وتنظيم صفوف عمال روسيا كانت تكمن بفصل آفاق ومصالح عمال روسيا عن برجوازيته، وعدم إعطاء الفرصة للبرجوازية في نثر أوهاهما في صفوف العمال والمجتمع. ان "الوطن والوطنية" التي حولتها البرجوازية في كل مكان في العالم الى جنة وهمية سواء في الارض من قبل تياراتها القومية أو في السماء من قبل قواها الاسلامية، ضربها لينين بعرض الحائط وفضحها سياسيا وقام بتعرية ديماغوجيتها التي هي ابدا من أجل خداع العمال بشكل خاص والجماهير بشكل عام وسوقها الى محرقتها كي تعيش البرجوازية جنتها الحقيقية. هذه هي بوصلة لينين السياسية التي عادت الطريق الغير السالك للوصول الى السلطة السياسية او ايصال الطبقة العاملة الى السلطة السياسية، والتي هي وسيلة لتحقيق الاشتراكية وبغض النظر عن تحقيقها من عدم تحقيقها.

لقد دحض لينين كل ترهات المفكرين البرجوازية بأن الطريق الى الاشتراكية غير سالك في روسيا، او الطريق نحو السلطة السياسية غير سالك وتحت المبررات السخيفة التي ذكرناها في بداية المقال، والتي تعني تكبيل ايادي الطبقة العاملة وتسليم مصيرها على طبق من الذهب للبرجوازية.

البوصلة الشيوعية في أحداث العراق:

ومن هذه المنهجية، اي منهجية لينين، كانت تؤشر بوصلة الشيوعية العمالية التي أنار دربها منصور حكمت في المنعطفات التاريخية التي مرت بالعالم وكان العراق واحد من الساحات الرئيسية لها. فقد بينت الشيوعية العمالية بشكل واضح ان دخول العراق الى الكويت ليس نهاية العالم، وان العراق ليس أول دولة تقوم باحتلال دولة اخرى، ومن الممكن حل هذه المشكلة في إطار الجامعة العربية على الأقل. وما تسعى لها الولايات المتحدة الامريكية ليس له اية علاقة باحتلال العراق للكويت. فهي اي أمريكا دخلت بنما وبريطانيا دخلت جزر فوكلاند الارجننتينية والاتحاد السوفيتي دخل افغانستان وعشرات الامثلة الاخرى. ولذلك وقفت الشيوعية العمالية بكل حزم ضد سياسة الولايات المتحدة التي اصطفت الى جانبها جميع القوى السياسية في العالم وسياستها الحربية التي كانت تبغي إرساء نظام عالمي جديد بقيادتها. وعلى اساس هذا المسار السياسي الذي اتخذه كان للحزب الشيوعي العمالي موقفا سياسيا واضحا ضد سياسة الحصار الاقتصادي على العراق. فموقفه لم ينبع من زاوية أخلاقية فحسب، بل كما تنبأ الحزب ان هذه السياسة من شأنها تقوية الرجعية في العراق والنيل من الإرادة الثورية للجماهير، وتحولها الى فريسة سهلة سياسيا وفكريا واجتماعيا للقوى القومية والاسلامية المتعفنة، وسيحول المجتمع الى لقمة سائغة بيد العصابات الاسلامية والقومية الرجعية. لقد سعى الحزب عبر اذاعته التي كانت تبث من كردستان العراق وبعد ذلك من لندن وعبر صحافته فضح سياسة المعارضة البرجوازية العراقية المؤيدة للحصار الاقتصادي، وهي التي وصلت اليوم الى سدة السلطة بفضل بساطيل المارينز الأمريكي التي داست على ما بقي من الاحياء من جماهير العراق سواء من حربيين مدمرتين او من حصار اقتصادي وحشي، انها ايدت بكل قوة وصققت للحصار الاقتصادي بحجة اضعاف نظام صدام حسين، في حين استغل ذلك النظام المجرم الحصار الاقتصادي وجوع الجماهير ليرسخ نفسه سياسيا وامنيا ويبنى عشرات الجوامع والمساجد على البطون الخاوية للملايين من المتضوره جوعا من العراقيين ويمارس كل سياساته الفاشية والمجرمة في المجتمع. إن حروب أمريكا على العراق وحصارها الاقتصادي هي من خلقت الأرضية الاجتماعية والبيئة السياسية لسلطة الإسلام السياسي الشيعي الفاسدة والمجرمة التي تجثم على رقاب جماهير العراق. وهكذا كانت نتائج تلك السياسات حرب اهلية طائفية ثم سيناريو داعش. وفي كل المحطات التي مرت

الحزب والمسارات السياسية الشيوعية

بالعراق كانت بوصلة الشيوعية او بوصلة الحزب الشيوعي العمالي العراقي هو النضال دون هواده بفصل مصالح الطبقة العاملة عن ترهات البرجوازية المحلية والعالمية ومصالحها الانانية، وفي تعبئة الطبقة العاملة وعموم المجتمع نحو اتخاذ مسار سياسي مستقل دون أية موارد أو تردد والوقوف ضد خندق الأطراف البرجوازية المتصارعة. وحتى في مواجهة الاحتلال الأمريكي للعراق، لم يقف الحزب لا في خندق القوميين والبعثيين ولا في خندق الاسلام السياسي الذي اصطف طيف واسع من اشباه اليسار وخاصة القومي معه تحت عنوان "محاربة الامبريالية الامريكية"، بل وقف ضد الطرفين بشكل حازم وادان التفجيرات الارهابية التي قتلت الاف من جماهير العراق تحت عنوان محاربة الاحتلال. ولم يكن تشكيل مؤتمر حرية العراق الا تكتيك سياسي وجزء من سياسة ماركسية واضحة ضد إرهاب الاحتلال والارهاب الاسلامي، والعمل على فصل الآفاق النضالية للجماهير عن المسارين المذكورين وتعبئة عموم المجتمع ضد هذين القطبين الإرهابيين.

ما اشرت اليه هو جزء من تاريخ الشيوعية العمالية وليس هناك مجال للتفصيل بكل المحطات والمسارات السياسية التي حددتها خلال المنعطفات التاريخية التي مرت بالمجتمع الإنساني. الا اني ساخص جزءا آخر لموقف الحزب الشيوعي العمالي العراقي والمسار السياسي الذي حدده لاهم حدثين في المنطقة من خلال تناول موضوعي الثورة والانتفاضة، حيث وكالعادة ضاعت بوصلة اليسار الماركسي غير العمالي تجاهها، ليجدد ذليلتها للتيارات البرجوازية. ذلك الحدثان هو الانقلاب العسكري الذي قاده العسكر في مصر باسم الثورة عام ٢٠١٣، والحدث الآخر تحويل سورية إلى ساحة حرب وكالة دولية تمثلها العصابات الاسلامية من كل حذب وصوب. وساعرج أيضا على انتفاضة أكتوبر التي انقسمت التصورات والمواقف العملية حولها ما بين ثورة وحركة رجعية يجب ادارة الظهر لها.

الثورة والانتفاضة:

ان تحديد المسارات السياسية بالنسبة لأي حزب شيوعي أو تشخيص مسارات اخرى تفرضها البرجوازية في مجرى الصراع الطبقي من أجل عبورها، تنبع بالدرجة الاولى من مسؤوليته تجاه سلامة وامن ومعيشة الجماهير ومصالحها الطبقيّة. فالبوصلة السياسية الشيوعية يجب أن تعمل على صيانة وعي العمال والجماهير المحرومة في ان تقع فريسة للأوهام القومية والوطنية الخادعة والطائفية وبالتالي تتحول الى وقود حروبها الخبيثة والمناهضة لمصالحها المادية. ومن شأن اتخاذ المسارات السياسية الصحيحة هو في تحويل اي حزب إلى قوة سياسية واجتماعية في خضم انعطافات تاريخية معينة في المجتمع. والعكس صحيح، فمن شأن عدم اتخاذ المسارات السياسية الصحيحة ان يحول اي حزب كبير الى حزب صغير هامشي في المجتمع. هكذا لعب لينين دوراً عظيماً في تحويل مسار ثورة شباط البرجوازية الى مسار الثورة العمالية، وقد شخص المسارات السياسية في ((موضوعات نيسان)).

وفق اية منهجية يمكن الفصل بين الثورات والانتفاضات، بين المشاركة وبين المقاطعة وفضح ما ورائها؟ بحيث من شأن هذه المنهجية أن تكسب الحزب ثقة الجماهير، إذا استطاع تشخيص كل مرحلة سياسية بدقائقها ومصالح الطبقات المتصارعة بما فيها الاجنحة المتصارعة داخل الطبقة نفسها واتخاذ خطوات عملية ازائها. ولطالما كانت هاتين الموضوعتين اي الثورة والانتفاضة محل جدال ونقاش كبير في صفوف اليسار وتياراته الماركسية.

ان تشخيص القوى الاجتماعية المشاركة في أي حدث والشعارات المطروحة والمطالب والأفاق التي تسيطر عليها هي العوامل الرئيسية التي تحدد تشخيص الحدث المعني بأنه ثورة أو انتفاضة أو هبة جماهيرية أو حتى فوران في لحظة معينة من شأنها ان تخفت. وعلاوة على ذلك ان الشيوعيين لا يشاركون في تلك الاحداث من اجل تسجيل الحضور ورفع العتب والاحراج أو تلبية لواجب اخلاقي، والنقاط بعض الصور هنا وهناك للتباهي واشباع الغرور الذاتي للبرجوازي الصغير، منطلقا من تقفك ذهنيته التي تحلق دائما في السماء دون قدرتها على النزول إلى الارض، وتصوير تلك المشاركة والنقاط تلك الصورة على أنها مشاركة في "ثورة عظيمة"، أو أن الشيوعيين مولعين بالمشاركة في التظاهرات دون أية دراية بالأهداف التي يتعقبونها. والعكس تماما من ذلك التصور، فإن مشاركة الشيوعيين في الاحداث المذكورة بعد تشخيصها بشكل دقيق كما أسلفنا، هو من أجل تعميق راديكالية وتحورية تلك الأحداث وجر شرائح اجتماعية أخرى لها وسيادة الأفق الشيوعية عليها وضمن قيادة التيار الواعي في صفوف الطبقة العاملة لها وايصالها الى أهداف تحقق مصالح الغالبية العظمى للجماهير أو تعمل على تحسين أوضاعها المعاشية على أقل تقدير وتوفير أجواء من الحريات لدفع نضالاتها الى الامام.

تظاهرات خاتمي و مير موسوي وكروبي،

انقلاب السبسي نموذجاً:

إن إحدى الشواخص التاريخية المهمة بالنسبة للشيوعية العمالية، شيوعية منصور حكمت، هو التظاهرات التي حدثت في إيران بعد الانتخابات الثانية لتجديد الولاية لأحمدي نجاد. فلقد كان واضحا من الشعارات والمطالب المرفوعة والأفاق التي كانت تسيطر تلك التظاهرات وقادتها هي وقوفها ضد تزوير الانتخابات واستبدال أحمدي نجاد بواحد من ممثلي الاصلاحيين مثل مير موسوي وخاتمي وكروبي وغيرهم ، كان صراع بين الأجنحة السياسية داخل الجمهورية الإسلامية. لقد شخص حزبنا وكذلك الحزب الشيوعي العمالي الكردستاني والحزب الشيوعي العمالي الحكمتي بشكل دقيق تلك التظاهرات ودعا الجماهير إلى عدم التوهم بها، وإنها تعبر أو نتاج عن صراع أجنحة النظام الإسلامي لإنقاذ ما يمكن انقاذه. الا ان غالبية اليسار الغارق بالأوهام والذي يرى أن أي عراك بين كل شخصين في الشارع هو (ثورة عظيمة)، قلب الدنيا وتصور ان هناك ثورة في إيران، وأنضم بشكل طوعي تحت افاق جماعة خاتمي-مير موسوي.

إنها نفس البوصلة السياسية التي شخصت الانقلاب العسكري الذي قاده العسكر بزعامة عبد الفتاح السبسي في مصر عام ٢٠١٣. لقد شخص الحزب الشيوعي العمالي العراقي والكردستاني تلك الأحداث على أنه انقلاب عسكري على ثورة يناير المصرية. إن استخدام عنوان استرداد الثورة من الاخوان المسلمين والهجوم على ساحة رابعة العدوية المعروفة بتجمع جماهير الإخوان فيها، لا يعطي التزكية اكثر بأنه انقلاب عسكري على الثورة أو ثورة مضادة ضد الثورة. فكما قلنا حينها وحذرنا الجماهير المصرية بعدم الانخداع بالعسكر، لأنهم سينظمون حمامات دم لكل الثوريين والقادة العمال منذ اليوم الاول للانقلاب ومثبتة في كل أديباتنا السياسية. وفي هذه المرة كان أيضا تشخيص دقيق للأحداث التي مرت على جماهير مصر. فلم يمض سوى وقت قصير، حتى كثر السبسي عن انيابه، واعاد سلطة العسكر بعد ان أطاحت بها الجماهير في ٢٠١١. لقد نصبت المحاكم العسكرية بحق القادة والنشطاء العمال، ومنعوا اي شكلا من أشكال الإضراب أو التنظيم، وقمعت الحريات السياسية تحت عدة عناوين، وتحول السبسي إلى أقدر ديكتاتور فاشي وتفوق حتى على مبارك. إلا أن

الحزب والمسارات السياسية الشيوعية

نفس ذلك اليسار بسبب نزعته ضد الإسلام السياسي، النزعة البرجوازية الصغيرة التي لا ترى دائما الصراع الطبقي بقدر ما ترى اعدائها الذاتيين، صور انقلاب العسكر على انها ثورة عظيمة لا تضاهي الثورات.

وإذا ما دققنا في تصوير تظاهرات إيران بقيادة خاتمي ومير موسوي ومهدي كروبي والانقلاب العسكري على (الثورة المصرية) على الإسلاميين الذين اتوا للسلطة وصادروا الثورة، على انهم ثورات، فإن هذا المنهج ينطلق من النزعة المعادية للإسلام السياسي، وليس من تحليل طبقي-اجتماعي. فالتحليل الماركسي الذي هو دائما تحليل طبقي-اجتماعي لا ينطلق من زوايا اخلاقية وذاتية ومزاجية، بل من أجل تشخيص مسار الصراع الطبقي والقوى الاجتماعية، وبالتالي تحديد تكتيكات سياسية تصب في خدمة استراتيجية الثورة العمالية وتحقيق الاشتراكية. وبغير ذلك فإن اي تصوير آخر يقدم الطبقة العاملة ومصالحها على مذبح المصالح البرجوازية. اي بمعنى اخر ان الثورة الوحيدة بالنسبة للشيوعيين، ذلك التيار الحازم، الضمير الواعي للطبقة العاملة هي الثورة الاشتراكية، وبغير ذلك فليس اكثر من كونه طعم ترميه البرجوازية الصغيرة كي تبتلعها الطبقة العاملة كي تقدمها قرابين على مذبح مصالح الطبقة البرجوازية كما حدث بشكل واضح في الثورة المصرية دون اي لبس.

الانقلابات العسكرية في مصر والعراق ومفهوم الثورة:

على مر سنوات وسنوات ثبت الكثير من المقولات والمفاهيم البرجوازية في ذهن المجتمع حتى صور لك بأنها من المسلمات والادهى من كل ذلك، يتم تداولها بشكل غير واعي حتى من قبل الشيوعيين. ان المقولات والموضوعات بالنسبة لنا كشيوعيين هي طبقية. وليس هناك اي شيء خارج الصراع الطبقي. وأحياناً نرى الكثيرين يدافعون عنها من منظور البرجوازية وليس من منظور الطبقة العاملة. فتعج جميع الأدبيات السياسية بتسمية انقلاب العسكر في مصر عام ١٩٥٢ او انقلاب ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق مثلاً او حتى انقلاب البعث في ١٩٦٨ على انها ثورة.

ان البرجوازية ومفكرها تسمى أي انقلاب او تغيير في وضعها الطبقي نحو الافضل بالثورة، وهذا شأن خاص بها. ولكن ما بالنا نحن الشيوعيين نلهث وراء هذه المقولات وتبناها في أدبياتنا، وما هي مصالحنا طبقية، وماذا حققت تلك الانقلابات العسكرية من مكاسب لطبقتنا حتى نسميها ثورة؟ فمثلاً في مصر والعراق وعبر الانقلابيين العسكريين، تحول العسكر الى الممثلين الرئيسيين للسلطة السياسية البرجوازية القومية المحلية (الوطنية). واصبحت لها حصة لا بأس بها من الارباح التي يدرها فائض قيمة عمل العمال في تقسيم الإنتاج الرأسمالي العالمي، وتعني حصة ومكانة في الاقتصاد الرأسمالي العالمي. صحيح حدثت تغييرات في البنية الاقتصادية للمجتمع وتغييرات اجتماعية أيضاً استفادت منها الطبقة العاملة وجموع محرومة لفترة وجيزة، وهذه التغييرات موضوعية بسبب الحاجة الموضوعية للسوق البرجوازية المحلية اي الوطنية الناشئة، ولكن في المقابل وكي تضمن البرجوازية بقاء حصتها الثابتة من فائض قيمة العمال وحصتها بالتالي من مكانتها في الاقتصاد الرأسمالي العالمي، فهي بحاجة الى تشديد قمع الحريات النقابية مثل حرية التنظيم والإضراب والتظاهر وقمع حرية تشكيل الأحزاب السياسية وكذلك حرية التعبير والرأي.. الخ. اي البرجوازية على الصعيد السياسي تقوم بممارسة أشنع أنواع التسلط والفاشية ضد الطبقة العاملة. أن إعدام اثنين من قادة العمال (خميس والبكري) بعد انقلاب ١٩٥٢ أثر إضرابات عمال (نسيج المحلة) ما زالت شاخصة في ذاكرة الطبقة العاملة المصرية والعالمية، ويقمع أقل أغلق

عام ١٩٥٩ مقرات الاتحاد العام لنقابات عمال العراق من قبل عبد الكريم قاسم ورمى القادة والنشطاء العمال في غياهب السجون، كما تفنن النظام البعثي في كيفية تحويل الطبقة العاملة الى عبيد في عهد المجرم حسين كامل عندما كان وزيرا للصناعة والتصنيع العسكري إبان الحرب العراقية-الايروانية. ان استخدام (مقولة الثورة) من قبل البرجوازية في أديباتها لها دلالاتها الطبقيّة والسياسية والمغرضة ايضا. فنسيم الثورتين المصرية والتونسية الذي هب على المنطقة، صور على انه ثورات (الربيع العربي). وكانت الغاية منه اعادة تقسيم العالم بين الدول الامبريالية العالمية والاقليمية المتكالبية على النفوذ السياسي والاقتصادي.

وفي الاحتجاجات التي اندلعت في سورية عام ٢٠١١ كانت المطالب المرفوعة فيها عادلة ومحقة مثل توفير الحريات السياسية والخبز والكرامة الانسانية، الا انها لم تصل الى مصاف الثورة، وقد استغلّت كي تسيطر عليها افاق العصابات الاسلامية المدعومة من الغرب والسعودية والامارات وقطر وتركيا. لقد شخص الحزب الشيوعي العمالي العراقي حين كانت الصيحات الإعلامية تصم الأذان والقصف الدعائي يضرب أدمغة البشرية في كل مكان، بأن هذه الاحتجاجات خرجت عن اطارها، وان من يقودها هم من ثوار الكونترا الجدد - وهي عصابات في نيكاراغوا دعمت من قبل السي أي اي للإطاحة بحكومة اورتيجا المعادية للنفوذ الأمريكي في حقبة الثمانينات من القرن الماضي - ولم تمض الا أشهر قليلة وبعد أن تبدد الدخان الدعائي بينت ان العالم كم كان مخدوعا. وكالعادة كان اليسار غير العمالي ملحق بذيل البرجوازية العالمية وتصور على ان ما حدث في سورية إنها ثورة.

ان البوصلة السياسية لأي حزب شيوعي وماركسي يمثل الخط الراديكالي واقصى يسار الطبقة العاملة كي تشخص اية احداث، انقلاب او ثورة او انتفاضة، هي دائما وايدا تأخذ بنظر الاعتبار الدفاع عن مصالح الطبقة العاملة في اية انتفاضة أو اية ثورة وصيانة استقلالها السياسي وتأمين قيادتها لتلك الأحداث. وليس صحيحا ايدا ويعكس قسم من اليسار بأن مشاركة الطبقة العاملة من عدم مشاركتها في اية أحداث تحدد تسميتها بالثورة أو الانتفاضة. ان الوضع الثوري وفق الموضوعة اللينينية ممكن أن يؤدي الى ثورة أو من الممكن ألا يؤدي الى ثورة، وفي كلا الحالتين فإن الحزب الشيوعي لعب دورا محوريا فيه بتشخيص القوى الاجتماعية المشاركة وبتكتيكاته السياسية وشعاراته وقدرته على تعبئة الطبقة العاملة والمجتمع فيمكن ان يتحول الوضع الثوري الى ثورة، أو في تحويل اية انتفاضة الى ثورة. والموضوعة اللينينية لتشخيص الوضع الثوري تتلخص بأن الطبقة الحاكمة غير قادرة على أن تحكم بالطريقة القديمة، والجماهير لا تقبل ان تعيش بنفس الأوضاع وبنفس الوقت مستعدة للإقدام على افعال لا تقدم عليها في أوضاع السلم. وبمعنى آخر ان مزاج الجماهير يتغير ولا يقبل بالبقاء في الأوضاع السائدة من الفقر والعوز وقمع الحريات وعدم المساواة.

وتشارك جميع اقسام المجتمع في الثورة ولا تقبل العودة الى بيوتها دون احداث تغيير يذكر في الخارطة السياسية. وطبعا الطبقة العاملة تتأخر بالانخراط في سلك الثورة بسبب واقعها الموضوعي الذي يختلف عن بقية الاقسام الاجتماعية، فهي تحسب حسابات دقيقة لواقعها الاقتصادي وبمن يعيلها من الالاف المؤلفة من الاسر، فهي غير مستعدة للمغامرة، وهي لا تعيش بخبز يومها مثل البرجوازية الصغيرة. ولكن ما ان تشارك او تتخرط حتى تحسم مصير السلطة الحاكمة مثلما حدث في التجربة المصرية بعد ١١ يوم من التظاهرات او بالتجربة التونسية عندما دخل اتحاد الشغل في الثورة، أو قبلهما التجربة الايروانية عام ١٩٧٩، حيث دخل عمال النقل بإضراب مفتوح وفي الثانية

الحزب والمسارات السياسية الشيوعية

دخل الاتحاد التونسي للشغل بإعلان إضراب وفي الثالثة دخل عمال النفط في ساحة الاضراب.

اما بالنسبة لانتفاضة اكتوبر فلا نريد الخوض فيها ، فلا نكرر ما تحدثنا عنه مفصلا وشاركنا في جميع مفاصلها، وحددنا سياسات واضحة وتكتيكات سياسية، ولكن ما يهمنا ان نشير اليه هنا بأنها اي الانتفاضة لم ترتق الى مصاف الثورة على الرغم من انها أثرت بشكل كبير على مزاج المجتمع والجماهير. الا ان الجماهير وعموم المجتمع لم تصل الى نقطة لا عودة عنها مثلما حدث في الثورتين المصرية والتونسية، ولم تشارك فيها بشكل فعلي كل القوى الاجتماعية في المجتمع وخاصة الطبقة العاملة في القسم الإنتاجي وموظفي القطاع العام والنساء على الرغم من مشاركة قسم منها.

لقد مرت الانتفاضة خلال اسابيع بمنعطفات عديدة، فعندما واجهت تظاهرة اليوم الاول من تشرين الاول الرصاص الحي، تحولت الى شرارة اشعلت الغضب في صفوف المجتمع، وكان المزاج السائد نتيجة الغضب إسقاط كل العملية السياسية، الا انها سرعان ما تراجعت وسيطرت عليها الافق القومي والإصلاحي للتيارات البرجوازية التي حالت دون تحولها الى ثورة تقتلع كل العملية السياسية. اضافة الى تلك العوامل ساهم عدم قدرة التيار الشيوعي العمالي بالرغم من انه كان واضحا في جميع مساراته السياسية وتشخيصه لها واتخاذ سياسات واضحة من تغيير افاق الانتفاضة وسيادة سياسته عليها، وقد تحدثنا عنه مفصلا في الادبيات المشار اليها، وجاءت جميعها في (انتفاضة اكتوبر) وصحيفة (الى الامام) وقلنا حينها وما زلنا ان فصل من فصول الانتفاضة قد أسدل الستار عليه، الا ان الفصول الباقية سيرفع الستار عنها خلال المرحلة المقبلة، وان الثورة الوحيدة لتغيير مجمل الوضع في العراق هي الثورة العمالية أو الثورة الاشتراكية.

27 عاما من تاريخ

الحزب الشيوعي العمالي العراقي

و قضية المرأة!

من احد الشواخص المهمة للحزب الشيوعي العمالي العراقي هو كيفية تناوله لقضية المرأة. ليس بالشيء الكثير بالتأكيد القول ان الحشع خصص جزءا من برنامجه لتناول قضية المرأة، فالاحزاب اليسارية في الغالب تخصص اجزاء من برامجها لقضية المرأة. الا ان ما هو مختلف ومتميز عما يقدمه الحشع عن غيره من احزاب تطلق على نفسها اسم الشيوعية يتمثل بثلاثة نقاط اساسية:

الاولى: لم ينظر الحشع لقضية النضال من اجل حقوق المرأة ومساواتها كقضية يمكن تأجيلها الى ما بعد "تحرير الطبقة العاملة" وان تحريرها مرتبط بقضية تحرر هذه الطبقة. من المؤكد والصحيح ان كل صنوف الاضطهاد والتمييز بين البشر سيختفي مع نهاية النظام الطبقي، بما فيها التمييز الجنسي ضد النساء. حيث في مجتمع لا طبقي لن تكون هنالك اية حاجة لاية اشكال من التمايزات، حيث لن توجد هنالك طبقة تغتني وتنتفع من تلك التمايزات. الا ان امكانية تحقيق المساواة بين المرأة والرجل، قابلة ايضا للتحقق في ظل النظام الرأسمالي اذا ما فرضت القوى التحررية بنضالاتها وانتزعت هذا الحق من الرأسمالية، كما أنتزع مبدأ الغاء التمييز العنصري على اساس اللون مع بقاء وجود النظام الرأسمالي نفسه. اي ان تحقق المساواة على مختلف الاصعدة ايضا قابلة للتحقق اذا ماجرى الضغط على الانظمة الرأسمالية للاقرار بهذه المساواة.

من هنا، لم يؤجل الحزب النضال من اجل حقوق المرأة الى اشعار اخر، عدم القيام باي تحرك لدفع

الحزب الشيوعي العمالي العراقي و قضية المرأة!

نضالهن النسوي الى الامام. لم يرضخ الحزب لهذه الدعاوى، انطلاقا من رؤيته الماركسية والتي تتمحور بان اضطهاد المرأة هو احد الاركان التي يقوم عليها النظام الرأسمالي نفسه، وان لمواجهة هذا النظام يجب ان تتحرك الطبقة العاملة كجزء عامل في الانتاج الرأسمالي يقوم بانتاج الربح من جهة، وان تقوم النساء، من جهة ثانية، اضافة الى دورها في الانتاج كعامل منتج، وهذا ما تقوم به النساء العاملات، الا ان هؤلاء العاملات يقمن بالمشاركة في عملية اعادة الانتاج. لذلك فمن ناحية المرأة تضطهد في النظام الرأسمالي لكونها عاملة، ولكونها ايضا عاملة في المنزل وراعية لتحضير العامل للانتاج ولخلق الجيل الجديد من العمال للطبقة الرأسمالية. وهذه هي المكانة التي حددت لها في النظام الرأسمالي، وما ترتب عليه من ظلم وجور من القيام بهذين الدورين. لذلك، كما العامل يجب ان يتحرك لدفع النظام الرأسمالي واسقاطه، المرأة ايضا، صاحبة المصلحة الحقيقية بالقيام بنفس الدور. اي انهما شريكان ولديهما مصلحة في اسقاط النظام الرأسمالي.

الثانية: اخذا بنظر الاعتبار مما قيل في النقطة الاولى وامتدادا له، يتعامل الحشع مع قضية المرأة كقضية قائمة بذاتها. اي كمطالب لقسم من البشر يتعرض للاضطهاد لانها مصنفة جنديا كأناث. ومن هنا، في دفاعه عن حقوق المرأة، يدافع عن حقوق المرأة لذاتها، لذات النساء، ومن اجل النساء انفسهم. نقطة الاختلاف هنا، ان ما تقوم به بعض القوى اليسارية، انها تطالب باشتراك اوسع للمرأة من اجل قضايا اخرى، كقضية الدفاع عن الوطن، الاستقلال، السلام، او حتى التنمية، المشاركة السياسية وغيرها. من المؤكد ان النساء لسن جزء معزول عن المجتمع، وهن منهكات بالاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية حالهن حال الرجل، الا ان العلامة الفارقة هي ان الحشع يدافع ضد اضطهادهن الجنسي، وليس من اجل دورهن و بغض النظر عما اذا كان واسعا او محدودا. بالتاكيد ينادي الحزب من اجل اوسع المشاركات للنساء وعلى كافة الاصعدة، وظهرها بمساواة تامة مع الرجل وفي كافة الميادين، الا ان اساس نضاله النسوي، يتمحور حول ازالة اي شكل من اشكال التمييز والاضطهاد ضد النساء لكونهن نساء. لذلك لم يؤجل قضية النضال من اجل حقوق المرأة الى مراحل لاحقة، بل بدأها منذ بدء تأسيسه في الحادي والعشرين من تموز عام 1993. مستندا بهذا الى رؤيته الماركسية، بان اضطهاد المرأة نابع من وجودها ومكانتها ودورها في مجتمع طبقى يحدده لها الطبقات السائدة. وانها مهمة غير قابلة للتأجيل.

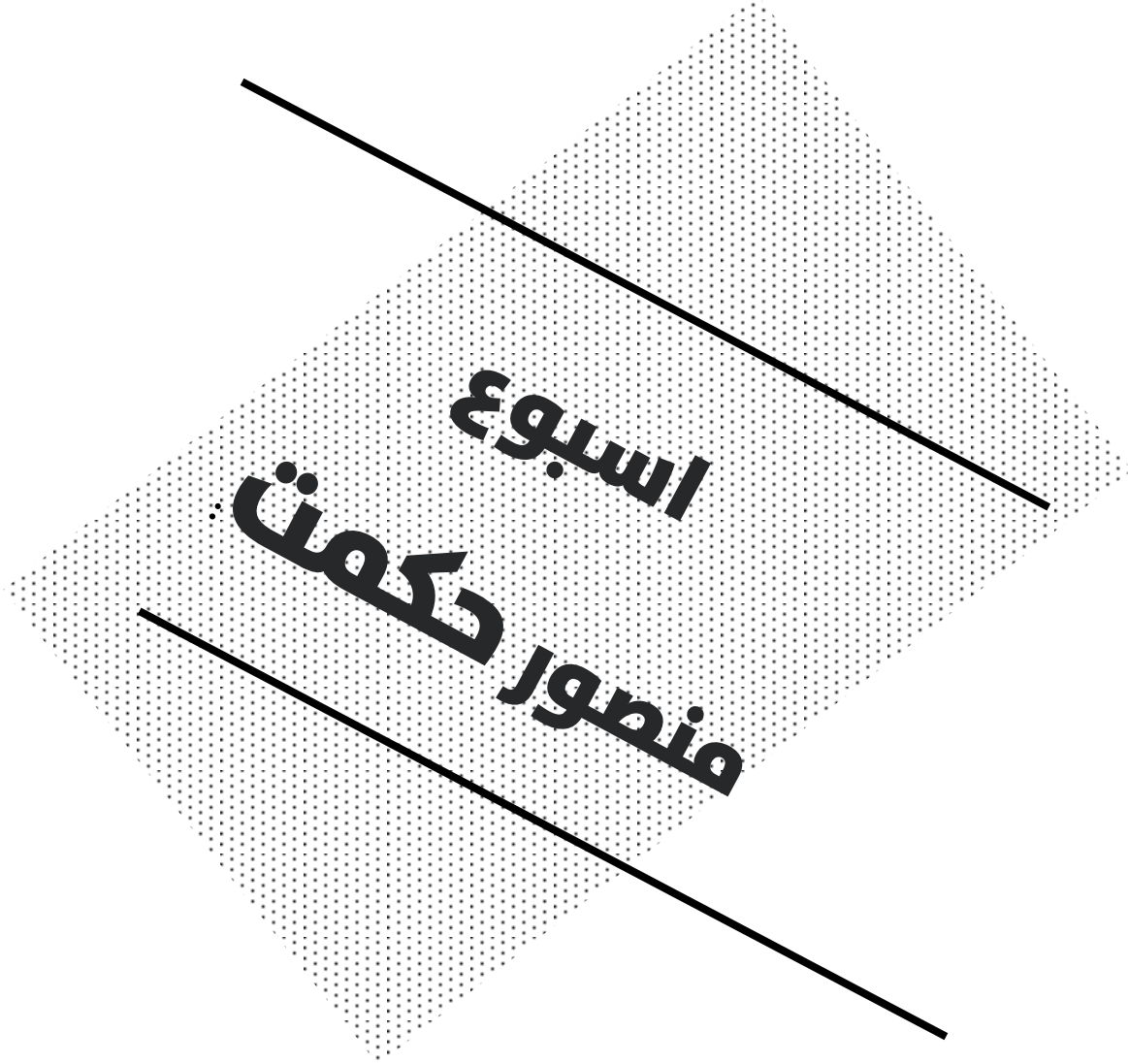
لذلك، وبناء عليه لم يكف الحزب عن الدفع بقضية المرأة في العراق وخاصة منذ سنين عمله الاولى وبشكل علني في كردستان العراق حيث تصدى للحركات الاسلامية التي وجهت رأس حربتها للنساء، متحالفة معها الاحزاب القومية الكردية على اختلافها، لامتهان وقتل النساء والتجاوز على حرمتهم، واستعمال العنف، بما في ذلك قتل النساء في كردستان تحت اسم الدفاع عن الشرف، او فرض الحجاب الاجباري على الفتيات عبر ارسال فتیان صغار ليرموا مواد على ارجل الفتيات غير المحجبات، لقد كان الحزب ومنظمة النساء المستقلة المنظمة الاولى هم من بادرا ولاول مرة في تاريخ العراق بفتح مأوى آمن للنساء في كردستان العراق في اواسط التسعينات والتي قامت الاحزاب القومية الكردية لاحقا باغلاقه في عام 2000 معرضة حياة النساء الهاربات من العنف الى خطر القتل، وقد قتل بالفعل عدد منهن من قبل ذويهن.

بناء على هذه الرؤية، لم يتعامل الحزب مع قضية المرأة بشكل انتهازي، فهو لم يغض النظر او الطرف عن اية قضية تتعرض لها النساء. فحين شنت ميلشيا فدائي صدام والتي يترأسها عدي حملة لقطع رؤوس النساء وتعليقها على ابواب البيوت في بغداد والمحافظات، نتيجة اتساع ظاهرة بيع

الجنس من قبل النساء عديمات الحيلة بسبب الفقر الذي فرضه الحصار الاقتصادي، لم يتردد الحزب ولو لحظة لتعبئة اوسع حملة عالمية من اجل الضغط على نظام صدام حسين وسفاراته في الخارج لايقاف قطع رؤوس النساء. لقد تعرض الحزب للكثير من الدعايات المغرضة نتيجة وقوفه ضد جرائم قتل الشرف، وضد قطع رؤوس النساء، الا انه لم يخفي رأسه في التراب، ولم يقل، كما ردد الاخرون " ليس هذا وقته"! ليس وقت الدفاع عن جرائم القتل على اساس الشرف. ولم يقدم اي احد اجابة على سؤالنا: ان لم يكن وقته الان، متى سيحين وقته؟

كأمرأة، وكعضو في الحزب الشيوعي العمالي العراقي، ما تعلمه مبادئ الحزب والشيوعية العمالية التي اسسها منصور حكمت، استنادا الى ماركسية ماركس هو ممارسة الحق في التعبير عن الرأي وبشكل تام وكامل، عدم اخفاء والمراوغة في التعابير، وعدم الانصياع الى كلمات من قبيل " المجتمع لا يتحمل هذه الافكار" اذا كان المجتمع تحمل وفهم افكار يحملها البغدادي واسامة بن لادن، لماذا يصعب عليه استيعاب الافكار الانسانية والتحررية؟ ان القول بعدم الرد وعدم الدفاع عن حقوق المرأة، بحجة " عاداتنا وتقاليدنا" انما يخدم في المطاف الاول والاخير القوى الرجعية، التي تريدنا ان لا نحرك ساكنا، ولا ننقل الوضع من الف الى باء، ولا بمقدار خطوة واحدة.

اننا نريد ان نزع بالقوى النسوية صاحبة المصلحة الحقيقية في احداث ثورة طبقية اقتصادية واجتماعية واخلاقية وسياسية في المجتمع في خضم هذا النضال. لذا، فان الحزب الشيوعي العمالي العراقي بقدر ما يدافع عن حقوق المرأة كاملة وغير منقوصة وغير مشروطة في النظام الرأسمالي نفسه ومن اجل تحقيق مكاسب على مختلف الاصعدة ولكن ايضا لها دور في اطاحة هذا النظام الطبقي واقامة مجتمع اشتراكي وانساني بدلا عنه. ادعو كل امرأة في العراق تتطلع الى الدفاع الحقيقي عن حقوق المرأة وتناضل من اجل انهاء التمييز الجنسي ضد النساء، وازالة الظلم بحقهن، الانضمام الى صفوف هذا الحزب.



قراءة في موضوعات ماركسية عند

منصور حكمت

مدخل:

في بداية عام ١٩٩٠، وصلنا كراس بعنوان (اختلافاتنا) لمنصور حكمت، حينها كنا في الحزب الشيوعي العراقي، في تنظيماته السرية، وكنت واحد من الذين تصفحوا الكراس، وقد سمعت عن منصور حكمت بشكل مقتضب وبأنه يصف الاتحاد السوفيتي كدولة امبريالية وليس له أية علاقة لا بالاشتراكية ولا بنظرية ماركس في إلغاء رأس المال والعمل المأجور.

لم يكن من السهل علينا أن نستوعب هذه المسائل عن الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية التي تحولت إلى صرح فكري وسياسي ومادي من الصعب زعزعتة في خضم الحرب الباردة التي أضفت طابعها في جميع الميادين على المجتمع البشري . وأكثر من ذلك تحول الاتحاد السوفيتي إلى مسلمات لا يمكن دحضها في منظومتنا الفكرية والسياسية التي تربينا عليها في تلك المرحلة. ولا بد من الإشارة إلى أن المصالح الطبقيّة كما يعلمنا ماركس هي التي تحدد الاختيارات الفكرية والسياسية. بيد أننا وفي تلك الفترة لم تكن لدينا أية مصالح طبقية في رفض الكراس المذكور او ما جاء فيه، بل عوامل أخرى وقفت حائلاً بين اختياراتنا وبين ما ذهب إليه بصواب منصور حكمت، وهي نوع الثقافة والعقلية التي كانت سائدة على سبيل المثال، عدم إعطاء الفرصة لسماع مخالفينا ومعارضينا، والتسليم بأن ما وصل إلينا بأنه هو الحقيقة المطلقة دون اي حوار وتفكير ومناقشة، وعدم إفساح المجال لحرية النقد، او النظر إلى كل شيء بشكل انتقادي وجدلي حسب ما تقتضيه روح الماركسية التي تعلمناها بعد ذلك من الشيوعية العمالية ومنصور حكمت. وبصراحة لم أتحمّل الكراس أكثر من تصفحه وقراءة عدد من الأسطر منه، فقد كان محكوماً عليه مسبقاً بأن كل ما فيه مرفوض وان منصور حكمت لا يخدم إلا (البرجوازية والامبريالية العالمية)، هكذا تعلمنا ممن يوجه نقداً سياسياً وفكرياً إلى (المعسكر الاشتراكي) حينذاك، ركنته جانبا ولم أبالي له.

الوقائع المادية تحسم دزينة ساعات من النقاشات:

المعطيات المادية دائماً تدحض وتنسف التصورات والأفكار والكاذبة التي تتحول إلى مسلمات وبديهيات وهمية تهيمن على عقول البشر. فالأساطير والخرافات والدين التي تطبع ذهن البشر على مدى عشرات القرون، ونضال العقل والفكر الحر رغم كل التضحيات ضدها لا يضاهاه عقد واحد من وقائع مادية مثل اندلاع الثورة الصناعية في أوروبا كي تدحض تلك (المسلمات). فبقدر ما كان انهيار الكنيسة ومسلماتها وسطوتها وسلطانها قد أدى إلى فتح الأفاق أمام التطور الإنساني على اثر الثورة المادية التي فتحت الطريق لثورة اجتماعية عظيمة وهي الثورة الفرنسية عام 1789، فأن انهيار الاتحاد السوفيتي وجدار برلين، كان انهياراً أكبر كذبة (الاشتراكية) عرفتها البشرية بل أكبر من الأديان والأساطير على مر التاريخ، ومررتها البرجوازية سواء بشقها الغربي أو شقها الشرقي على العالم وبشكل مخطط ومدروس وممنهج. وكلا الطرفين، البرجوازية الغربية والبرجوازية الشرقية كانتا لديها المصلحة المادية في وصف الاتحاد السوفيتي وكتلته الشرقية بالاشتراكية. فالبرجوازية الغربية كانت تريد أن تصور الديمقراطية ومفاهيم حقوق الإنسان واقتصاد السوق (الذي يخلق) حرية الفرد بشكل مخادع بالتملك هي نتاج وإبداع النظام الرأسمالي، أما الدكتاتورية والنظام الشمولي كما تصفها النخب المثقفة للبرجوازية الغربية هو نتاج الاشتراكية، كي تحولها إلى سلاح لتشن هجوم شرس ودائم على الماركسية والاشتراكية ومساواة البشر على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والسياسي. في حين كانت البرجوازية الشرقية تصور أن (الاشتراكية) هي هويتها في مقابل الهوية الرأسمالية الغربية، وان توفر فرص العمل ومجانبة الصحية والتعليم هي نتاج اشتراكيها (التي هي بالحقيقة كانت اشتراكية الفقر)، وان كل الشرور هي مصدرها النظام الغربي، كي تشن الهجمة على الاقتصاد الحر وتمجيد شكلها الاقتصادي السائد لديها وهو رأسمالية الدولة. وكانت الهوية (الاشتراكية) من عدمها تستخدم كمادة فكرية وسياسية واجتماعية لتجديد المجتمعات في الحرب الباردة من أجل اقتسام العالم بين النفوذ الغربي والشرقي.

لم يستغرق الوقت طويلاً على رمي كراس منصور حكمت حتى بدأت تلوح عاصفة تجتاح العالم، وهي وصول الأخبار في عالم مغلق مقطوع الأوصال على صعيد التكنولوجيا المعلوماتية والاتصالات حول التغييرات العميقة الحاصلة في الاتحاد السوفيتي تحت عنوان بريسترويكا وغلانغوت أي إعادة هيكلة الاقتصاد والشفافية، ثم وصل إلينا خبر فتح جدار برلين، وتزامنا معها وصل مسودة نظام الداخلي للحزب الشيوعي العراقي لمناقشته وإقراره في المؤتمر الخامس، وقد وجدنا فيه تأثير واضح للتحويلات الجارية في الاتحاد السوفيتي وانتهازية فاضحة أمام الدين الذي بدء يرفع رأسه بقوة. كان الجميع يتهايمسون خلسة بأن الاشتراكية فشلت أو أعلنت إفلاسها، وهناك علامات لانهايار الاتحاد السوفيتي. هذه المعطيات المادية دفعت بانهايار المسلمات الوهمية أمامنا دون اي عناء بشري غارق بالبحث والنقاش وسوق الأدلة، مما دفعنا إلى أن نبحث عن الحقيقة، حينها أدركت انه قد جاءنا كراس ولكن لم أكن أعرف أين رميته. بحثت عليه حتى وجدته وبدأت بقراءته بعين نقدية وحذرة، وكنت أعيد كل فقرة عدة مرات كي استوعب ما تكشف عنها تلك الفقرات. وكلما انتهيت من قراءة فقرة اصطدم بفقرة جديدة أخرى لتكشف عن مسالة أخرى حتى تبين في نهاية الكراس وبعد أيام طويلة من الإرباك والإحباط والذهول والصدمة، أن الحظ حالقنا ولم نعتقل أو نعدم من اجل نضالنا في سبيل كذبة كبرى. وليس تلك الكذبة محصورة فقط بما سميت بالاشتراكية فحسب، بل أن كل نضالنا، كان نضال من اجل إسقاط نظام صدام حسين، ومن أجل وطن للبرجوازية الوطنية. وما فشلت بالقيام به

من الأحزاب كالحزب الشيوعي العراقي وجماعة الجلبي وعلوي والدعوة والمجلس الإسلامي نجحت فيه أخيرا قوات المارينز الأمريكية باحتلال العراق وإسقاط نظام صدام وتحقيق حلم تلك القوى السياسية.

أما قصة العامل، قصة المساواة، قصة الحرية، قصة بناء مجتمع اسمه الاشتراكية، قصة الثورة الاشتراكية، قصة الماركسية واقتدار الشيوعية، فقد رحلت او سمرت او في الحقيقة انتزعت ورميت كرزمة واحدة في مكان لم يسمع لها صوت، في خضم قعقات الكؤوس في نخب الحرب الباردة التي سماها حكمت أكثر الحروب سخونة على مر تاريخ البشرية حيث أشعلت حروب وكالة في عشرات البقاع من العالم. وأخيرا وفي خضم الاحتفال بيزوغ انتصار النظام العالمي الجديد المخضب بالدم كما سماه منصور حكمت، في وصفه للحرب التي شنتها الولايات المتحدة الأمريكية لتحرير إقطاعية الكويت من جيش صدام حسين، أسدل الستار بشكل نهائي على تلك الرزمة ليخرج جميع من كان يدور في فلك الاتحاد السوفيتي من الأحزاب الشيوعية التقليدية، من بدلتها الماركشة بالماركسية المسروقة، و ليظهروا عراة ومكتشفين باحثين عن زيهم الحقيقي، سواء كانت قومية أو ديمقراطية أو ليبرالية، وتكشف عن ماهيتهم الطبقيّة دون أي رتوش.

موضوعات ماركسية:

في ٣١ آذار عام ٢٠١٠ وفي لقاء مع إحدى القنوات الفضائية، لم استطع الحضور بشكل شخصي بل شاركت تلفونيا مع السيد حميد مجيد موسى حين كان سكرتير للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي حينذاك و بمناسبة ذكرى تأسيس الحزب، وجه المذيع سؤال؛ اي منكم يمثل الشيوعية الرسمية، انتم أم الحزب الشيوعي العراقي؟ أجبت لا أعرف ما هو الرسمي او ماذا تعني بالرسمي وما هو غير الرسمي، ولكن استطيع أن أقول لك، نحن نمثل البيان الشيوعي والأيديولوجية الألمانية ورأس المال، نحن نريد بناء الاشتراكية عبر إلغاء رأس المال والعمل المأجور، نحن ضد مجلس الحكم الطائفي القومي الذي أسسه بول بريمر، نحن ضد العملية السياسية لأنها قائمة على التقسيم القومي والطائفي للبشر في العراق، نحن ضد الاحتلال وناضل من أجل إنهائه، وكنا ضد الحصار الاقتصادي وناضلنا برفعه دون قيد او شرط، نحن نمثل المساواة بين المرأة والرجل.. الخ. فأنت اختار أن كنا نمثل الشيوعية الرسمية او غير رسمية. ما قلته حينه هو ما تعلمناه من منصور حكمت. حقا نحن مدينين إلى منصور حكمت، ذلك الطيف من الشيوعيين في وسط وجنوب العراق الذين استطيع أن أتحدث نيابة عنهم او باسمهم. مدينين إلى حكمت لأنه أعاد البريق لماركس وانجلز ولينين.

أذا كانت هناك هجمات فكرية وسياسية على الشيوعية العمالية ومنصور حكمت، فهي هجمات بالأساس على ماركس. هنا لا احدث مقارنة بين ماركس وبين منصور حكمت، فماركس واحد من اكبر عباقرة البشرية خلال الألفية كما بينتها إذاعة بي بي سي التابعة لوزارة الخارجية البريطانية، سواء كأعظم مفكر ألفية عام ٢٠٠٠ او كتابه رأس المال في ٢٠٠١. إلا أنني هنا أشير مثلما كان لينين تلميذا مخلصا ووفيا لتعاليم ماركس وانجلز، نستطيع أن نقول دون اي تردد وبيقين هكذا كان منصور حكمت. وهنا سأحدث عن منهجية منصور حكمت في تناوله لأهم الموضوعات الماركسية التي شوهتها وحرفتها الأكاديميات البرجوازية و تصورات وأفكار البرجوازية الصغيرة التي انبثقت منها عشرات المنظمات اليسارية تحت عنوان الماركسية.

قراءة في موضوعات ماركسية عند منصور حكمت

من أين ينطلق ماركس ومن أين يكمل منصور حكمت طريق ماركس بعد لينين. لنتناول خمس موضوعات مهمة لدى ماركس ولينين وكيف جسدها منصور حكمت عمليا في تنظيراته الفكرية والسياسية والعملية. تلك الموضوعات هي الطبقة العاملة، الحزب والشيوعية، السلطة السياسية، الثورة، الاشتراكية. هذه الموضوعات الخمسة هي أكثر الموضوعات الماركسية التي تعرضت إلى التشويه. طبعاً أن الوقت الذي يسمح لي كما المساحة التي أمامي يدفعني أن أتناول هذه الموضوعات بخطوطها العامة لتبيان تمايز حركتنا عن بقية التيارات التي تتبنى الماركسية.

منهجية منصور حكمت من منهجية ماركس:

أن السؤال الذي يطرح نفسه وفق أية منهجية سنتناول تلك الموضوعات؟ وما هي الدلائل التي تثبت صحة منهجيتنا وحقائمتنا؟ او بعبارة أخرى إثبات حقانية ماركس التي هي حقانية منصور حكمت.

أن انطلاق منصور حكمت يأتي بالجواب على سؤالين، يبدأ من منهجية ماركس الثورية التي تنطلق من أطروحاته حول فيورباخ، في نقدها للمادية الميكانيكية كما يصفها منصور حكمت بدقة ويسمي منهجية ماركس بالمادية الممارساتية. (وبعد ذلك يستخدم حكمت الشيوعية الممارساتية أو العملية سنأتي عليه لاحقاً). فماركس أشار في أطروحاته إلى مسالة جوهرية وأساسية وهي الدور الإنساني او النشاط الإنساني في التغيير. فمادية فيورباخ صورت أن هنالك عالم موضوعي والوعي فيه ليس إلا مرآة عاكسة بشكل سلبي، وينفي اي دور للوعي الإنساني بالتغيير. وهنا كما يقول منصور حكمت في تأكيده على أطروحات ماركس، أن هذا العالم الموضوعي وان الانسان له دور فيه في صنعه. اي يعتبر ماركس ان هذا العالم هو المجتمع وان الإنسان هو القوة المحولة له. اي أن ماركس أشار وأكد أن العمل الإنساني او النشاط الإنساني هو جزء من صنع العالم الموضوعي الذي نعيشه وهو المجتمع. . وهنا تأتي مقولة ماركس أن الفلاسفة قاموا بتفسير العالم إلا أن المهمة تقوم بتغييره. أن كل عمل ماركس ونضاله الفكري والسياسي والاجتماعي والحزبي انطلق من هذه المنهجية، وهذا ما أثبتته منصور حكمت لاحقاً في نضاله على جميع الأصعدة.

الطبقة العاملة ورسالتها الإنسانية:

ولم يرى ماركس دور النشاط الإنساني في البرجوازية، بل رأى ذلك في الطبقة العاملة ودورها الثوري. والسؤال هو لماذا الطبقة العاملة وابن يلتقي منصور حكمت في هذه الموضوعات؟ هل لان العامل محروم، ولماذا الشيوعية لم تتخذ من جميع محرومي المجتمع أساساً لها ولنظريتها؟ أوليس هناك أقسام اجتماعية أخرى أكثر حرماناً من الطبقة العاملة في المجتمع الإنساني؟.

أن ماركس عندما حلل المجتمع الذي عاش فيه انطلق من موقع الطبقة العاملة ومكانتها التاريخية والسياسية. أنه لم ينطلق من الوضع المأساوي للعمال وشروط عملهم والظلم الطبقي الواقع على عاتقهم. فأن اي قارئ للبيان الشيوعي، فلا يجد لا ماركس ولا انجلز يتحدثان عن الحياة والظروف القاسية للطبقة العاملة وعلى أساسها يظهر دورها التاريخي كما ينظر عموم اليسار عندما يتحدث عن الطبقة العاملة. ويختتم البيان الشيوعي بجملته المشهورة (أن العمال ليس لديهم ما يخسروه سوى أغلالهم).

في حين عندما يتحدث عموم اليسار عن البيان الشيوعي، فكأنهم يتحدثون عن آثار أو كتاب شاخ ولا يصلح إلا خلال الفترة التي كتب فيها مبررين ذلك بأن الماركسية تريد التجديد هنا. أن منصور حكمت يوضح هذه المسألة، وينظف كل الشوائب التي غطت دور الطبقة العاملة ومكانتها. بيد أن هذه المكانة مرتبطة باقتدار الشيوعية ورايتها الماركسية. أي لا يمكن الفصل بين الدور التاريخي للطبقة العاملة وبين الشيوعية. وهنا نقصد الشيوعية كما يبين ماركس وانجلز في البيان الشيوعي بأنه احزم فريق في صفوف الطبقة العاملة. أن الشيوعية بالنسبة لحكمت هي علم تحرير الطبقة العاملة، وفي نفس الوقت بتحرر الطبقة العاملة لنفسها ملزمة وبشكل موضوعي أن تحرر المجتمع برمته. لأنه كي تتحرر الطبقة العاملة يجب إنهاء أساس استغلالها واستثمارها وظلمها وهو العمل المأجور، وتعمل على إرساء مجتمع جديد. هذان الشرطان يوضحهما منصور حكمت بإسهاب ويكتب عشرات الأبحاث والدراسات والمقالات لتبيان هذه الحقيقة. بيد أن هذه الشيوعية التي هي احزم فريق في صفوف الطبقة العاملة كما يقول عنها ماركس، عليها أن ترتبط اليوم بالنظرية الماركسية. أي لا يمكن الفصل بين الشيوعية والطبقة العاملة ونظريتها الماركسية. ولذلك ذكر حكمت بأن الشيوعية هي علم تحرير الطبقة العاملة. لكن أن هذه (الماركسية والشيوعية) انتزعت من مكانتها الطبقيّة وأصبحت راية طبقات أخرى. ويذهب منصور ابعده من ذلك، فيوضح أن البرجوازية عندما حررت نفسها من الإقطاعية، اكتفت في دائرتها، ونفس الشيء ينطبق على الإقطاعية عندما تحررت من العبودية، في حين أن الطبقة العاملة لا تستطيع تحرير نفسها دون تحرير المجتمع، لأنه أساس استغلالها هو رأس المال والعمل المأجور، ودون إنهاءهما، لا يمكن أن تحرر نفسها، وهما أساس استعباد المرأة وأساس العنصرية والحروب والأمراض وموت الأطفال جوعاً وأساس الفقر والبطالة وتلوث البيئة والاحتباس الحراري. أن مكانة الطبقة العاملة تتبع من هذا المكان، فأساس تحررية الطبقة العاملة هو الإنسانية.

الحزب والشيوعية :

لا يقف منصور حكمت عند هذه الحدود، أي لا يتحدث عن الشيوعية (الشيوعية العمالية) كمنهج فكري وعقيدة، بل يتعدى ذلك، ليتحدث عن الشيوعية في مستويين، المستوى الأول تحزبها والمستوى الثانية الشيوعية الممارساتية. أي ليس أي حزب وأية شيوعية وبأي ثمن. أن تصور حكمت للشيوعية لا ينبع من الإخلاص الأيديولوجي ولا من الموقف الأخلاقي من الطبقة العاملة كما هو موجود عند منظمات اليسار. أن الحزب الذي يريده منصور حكمت كما كان ماركس هو حزب العمال الاشتراكيين. حزب أكثر أقسام الطبقة العاملة وعياً. أن العامل بالنسبة له ليس صنف، ولا هو مقدس، بل أن مكانة العمال تتبع من رسالته الإنسانية، في تحرير المجتمع برمته مثلما أشرت. وهنا تكمن الرسالة الإنسانية للماركسية والشيوعية المقترنة بالعامل. أي ليس هناك فصل بين العامل والشيوعية. أن تصور حكمت للشيوعية كما أشرنا ينبع من المنهج الثوري لماركس في نقده لأطروحات فيورباخ. وعلى الصعيد العملي يجسد هذا المنهج من منهجية لينين حول الحزب ونظرية التنظيم. ليس هناك شيوعية لا في منهجية ماركس ولا عند لينين ولا منصور حكمت، شيوعية دون حزبها، دون تنظيمها. ولكن أي نوع من الأحزاب أو التنظيم الذي نبتغيه؟ انه حزب ينظم القسم الواعي داخل الطبقة العاملة ويعمل من أجل تنظيم ثورة طبقته، الثورة الاشتراكية. انه ليس حزب المثقفين المعترضين على أوضاعهم الاجتماعية، ولا حزب المناضلين من أجل إنهاء الدكتاتورية، ولا حزب يعمل من أجل الدفاع عن الصناعة الوطنية، او حزب يناضل في مقارعة الامبريالية، او حزب (انتي إسلام سياسي)، (ضد الإسلام السياسي) انه حزب من أجل إنهاء الرأسمالية من خلال ثورة اجتماعية

قراءة في موضوعات ماركسية عند منصور حكمت

وبناء المجتمع الاشتراكي. وعليه تأتي النظرية التنظيمية لمنصور حكمت التي تعلمنا أن تنظيم الطبقة العاملة هي من أجل تنظيم الثورة الاجتماعية للبروليتاريا التي تحدث عنها ماركس قبل أكثر من قرن ونصف، وغير ذلك كلها تشويهاً وترهات البرجوازية الصغيرة إلى نثرتها في صفوف المجتمع.

أن اقتران الشيوعية بالحزب بالنسبة لحكمت هو وحدة واحدة لا يمكن الفصل بينها. وهنا يتحدث عن الشيوعية التي تتحول إلى قوة مادية واتجاه سياسي في المجتمع عندما تسيطر في مكان ما أو منطقة ما أو قرية ما وتعلن عن برنامجها وتنفذها؛ بمنع ضرب الأطفال وتطبيق المساواة الكاملة بين المرأة والرجل، إطلاق الحريات السياسية دون أي قيد أو شرط، حرية التعبير... الخ، أو أن تتحول إلى جزء من المعادلة السياسية في المجتمع. أي بمعنى آخر أن أي شخص يعيش في منطقة نفوذ الحزب الشيوعي العمالي يشعر هناك اختلاف جذري بين حياته في ظل الحزب وبين حياته في ظل القوى الأحزاب السياسية الأخرى. فكما أن البرجوازية تظهر نفسها صاحبة المجتمع وليس المسؤولة عن طبقتها فحسب، فعلى الشيوعية أن تظهر هي أيضاً بأنها صاحبة المجتمع. أن شيوعية لا تحدث تغيير في حياة الأفراد، في حياة المجتمع، من الممكن أن تكون أي شيء ولكن ليس شيوعية ماركس. هكذا فعل لينين عندما قاد ثورة أكتوبر، وتحولت الشيوعية إلى موديل فكري وسياسي لا ينافسه أي موديل فكري وسياسي آخر كما يعلمنا منصور حكمت.

موضوعة السلطة السياسية:

وهنا تأتي الموضوعة الأخرى وهي (السلطة السياسية). لماذا نريد حزبا شيوعيا، هل من أجل المشاركة في تظاهرات ضد الامبريالية الأمريكية، أو من أجل مقارعة إسرائيل، أو من أجل تشجيع الصناعة الوطنية، أو من أجل تأمين النفط، أو نريد نادي اجتماعي نجتر نقاشات ونقاشات لا طائل منها ولا تحرك ساكن... الخ كما هي حال الأحزاب الشيوعية واليسار التقليدي أو من أجل إثبات إخلاصنا الأيديولوجي والدفاع عن النقابة الأيديولوجية؟ .

أن البرجوازية عندما هدمت بالمعول تمثال لينين في الساحة الحمراء في روسيا، كانت توجه رسالة واضحة كما يبين حكمت في مقولته هو أن لينين هو رمز الجسارة الطبقيّة. لقد كان تهديم تمثال لينين يعني كسر شوكة الشيوعية والطبقة العاملة وجرأتها في استلام السلطة السياسية. أن موضوعة (السلطة السياسية) بالنسبة لشيوعية ماركس كانت هزة عنيفة أحدثها منصور حكمت في المنظومة الفكرية والسياسية والعملية لعموم اليسار. أن صعود أو حتى التفكير بصعود أو استلام الطبقة العاملة للسلطة وحزبها الشيوعي بالنسبة للآخرين قد دفن في درج التاريخ. أن البرجوازية عملت بجد ووظفت كل إمكانياتها المادية من أجل محو آثار ما أقدم وتجرى عليه لينين والطبقة العاملة الروسية. وهكذا ومنذ هزيمة ثورة أكتوبر على يد البرجوازية الروسية بقيادة ستالين، أركنت السلطة السياسية جانبا أو في الحقيقة محيت من المنظومة الفكرية لليسار الماركسي. أن كل الشغل الشاغل الذي ساد في اليسار وشيوعيته وماركسيته - قبل موضوعة منصور حكمت حول (السلطة السياسية) - هو المشاركة في التظاهرات والاحتجاجات والحملات السياسية، وإثبات الإخلاص الأيديولوجي عبر إبداء المواقف السياسية.. الخ. أما التفكير بالسلطة السياسية من قبل الطبقة العاملة وحزبها الشيوعي فلقد وضعت مئات التنظيرات الفكرية والسياسية حول وجوب عدم مس العامل كرسي الحكم أو سلطة البرجوازية. انه كرسي محجوز تحت مبررات الظروف غير المواتية، والطبقة العاملة غير واعية، وان اليوم هو مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية.. الخ من تلك الترهات الفكرية والسياسية. في حين أن

البيان الشيوعي تحدث قبل أكثر من قرن ونصف عن السلطة السياسية واستعداد الطبقة العاملة لاستلامها. وكانت كومونة باريس عام ١٨٧٠ وهي أول سلطة عمالية خير مثال على ذلك برغم من نواقصها وإخفاقاتها.

و يلتقي من جديد ماركس ومنصور حكمت عندما قال أن الثقافة السائدة هي ثقافة الطبقات السائدة. اي أن انتصار الأفكار في ميدان الواقع هو ليس سره النخب المثقفة ودرجة الوعي في المجتمع إنما بحاجة إلى قوة مادية وهذه مرتبطة بسعي الشيوعية للعمل في الميدان الواقعي، في توجيه أنظارها صوب السلطة السياسية. انظر كيف يصور منصور حكمت تغييره للثقافة المعادية للمرأة في المجتمع (نحن نقوم بتغيير ثقافة الناس. وبدلاً من أن تأتوا وتضحون بنصف المجتمع، بإمكانكم التضحية بتلك الثقافة. نحن سنقوم بعمل بحيث ينظر المجتمع لكل من يتعرض لمسألة تحرر المرأة ومسألة مساواة المرأة والرجل، كشخص مخطئ بالضبط مثلما ينظر لمن يتعرض لصحة الناس). اي بعبارة أخرى عندما تكون بيدك السلطة السياسية يعني أنك تسيطر على جيش الإعلام، وتسيطر على منظومة إنتاج الخرافات مثل دور العبادة التي تنفق عليها من أموال وزارة الأوقاف المسلوقة من العمال وعموم مسحوق المجتمع لتنظيم دوامة فكرية غيبية تعيش فيها الأغلبية الكادحة من البشرية والحيلولة دون التفكير بالمساس بأساس فقره وظلمها، وتسرح جيش من الأقلام المأجورة، وتلغي تلك المؤسسات المعدة لتثويهِ الوعي التي تمول من الدولة والمؤسسات الدولية وتحت اسم منظمات المجتمع المدني، وتسفن القوانين والأنظمة، وتحل الميليشيات الرسمية وغير الرسمية كل ذلك من أجل تحويل الأفكار إلى معطيات مادية وراسخة لا تدحض.

موضوعة الثورة:

بيد أن الاستيلاء على السلطة السياسية لا تأتي إلا عبر الثورة، وليست أية ثورة بالنسبة للشيوعيين. وهنا تأتي موضوعة الثورة. أن أهمية الحزب ونظرية التنظيم هي من أجل القيام بثورة اجتماعية عمالية. ليست أية ثورة. نحن كما يقول لنا منصور حكمت. لسنا دعاة أية ثورة. وإذا اشتركنا في الانتفاضات او الثورات فإننا نشترك فيها لتنظيم الطبقة العاملة فيها وقيادتها، اي قيادة تلك الثورات والانتفاضات وسيادة الأفاق الشيوعية عليها وتغيير مسارها إلى ثورة اشتراكية. أن الحفاظ على الاستقلالية السياسية والتنظيمية للطبقة العاملة هي واحدة من وظائف الأساسية للحزب الشيوعي العمالي، وتساعد درجة شدة وظائفها في أيام الثورات والانتفاضات، حيث تحاول القوى البرجوازية الأخرى في سيادة آفاقها عليها وجرها إليها.

أن الثورة الوحيدة التي أمامنا هي الثورة الاشتراكية. بيد أن موضوعة (الثورة) هي الأخرى وضعت عليها تفسيرات وتنظيرات عديدة بالنسبة لذلك الطيف من اليسار، وبما أنهم لا يكثرثون في منظومتهم الفكرية للثورة العمالية، فنجدهم يسبحون في خيالهم إلى حد الغرق، ويتصورون أن كل شيء يتحرك في الشارع ثورة، حتى عراقك بين شخصين في الشارع يتصوره ثورة، مثلما كان يتصور دون كيشوت أعدائه من طواحين الهواء. وهذه أيضا نابعة من النزعة ضد الاستبداد او الإسلام السياسي دون تحليل طبقي للجذر الاجتماعي للاستبداد والديكتاتورية. ولا يقف هذا اليسار عند هذا الحد بل وفي خضم سباحته في خياله وذهنه البعيد عن الوقائع المادية واقتناره إلى التحليل الطبقي الماركسي، فيتصور أن شبح الشيوعية يخيم على أية حركة يراه في الشارع ويصورها ثورة. لقد نسف منصور حكمت بنقده هذه التصورات، وقد وجه ضربات نقدية لهذه التصورات، وتحدثت بإسهاب منذ بداية

قراءة في موضوعات ماركسية عند منصور حكمت

الثورة الإيرانية في عام ١٩٧٩ أن لا ثورة أمانا غير الثورة الاشتراكية، الثورة الاجتماعية للبروليتاريا.

موضوعة الاشتراكية:

وفي سياق هذا العمل النضالي الفكري والسياسي والاجتماعي والتنظيمي المتواصل لمنصور حكمت، يريد أن يصل إلى الاشتراكية، التي أجلتها المنظمات اليسارية ورحلتها من برامجها وجدالاتها الفكرية والسياسية. في الوقت الذي قال حكمت بأن ثورتنا القادمة - وكانت إيران تخوض غمار ثورة عام ١٩٧٩ - هي ثورة اشتراكية، والجميع يعلم حينها أن الرأسمالية بلغت مرحلة متقدمة جدا من التطور، وهي مرحلة الامبريالية التي تحدث عنها لينين قبل أكثر من ستين عام، ووصول العلاقات الإنتاج الرأسمالية إلى جميع بقاع المعمورة. وكان حين قالها قد وقف بعكس كل تصورات اليسار وبجميع تلافيفه وأطرافه، في تصور لها بأنه لم يأتي الأوان للثورة الاشتراكية، وبأن هذه المرحلة هي مرحلة الثورة الديمقراطية التي لم يقل لنا هذا اليسار متى ستنتهي هذه المرحلة وتزف مرحلة الاشتراكية.

أن موضوعة الاشتراكية يعد جزء لا يتجزأ من المنظومة الفكرية والسياسية للماركسية. أن أكثر المنظمات راديكالية تتشدد بالاشتراكية، ولكن على صعيد أسلوب العمل وشكل التنظيم والممارسة العملية والتكتيك السياسي لا تتعلق لا من قريب ولا من بعيد بالاشتراكية. بل أن الأفق الاشتراكي والدعاية والتحرير والتنظيم من أجل الاشتراكية يغيب بشكل كلي في عمل ذلك اليسار. ويحذر منصور حكمت بأن الاشتراكية والنضال الاشتراكي من أن تختزل إلى الدعاية وتوضيح النصوص الماركسية. وان غياب هذا الأفق مرده إلى أن اي اليسار يمثل توجهات مصالح طبقية أخرى وهي البرجوازية الصغيرة التي تركز كل عملها وعلى جميع الأصعدة بالتعبير عن السخط السياسي والاجتماعي لما آلت إليه أوضاعه وان الثورة التي ينشدها ليس أكثر من ثورة ديمقراطية عسى ولعل تغيير أن أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

الخاتمة:

من خلال ما أوردناه بشكل مقتضب عن الموضوعات التي تناولناها، نجد دون اي عناء أن منصور حكمت أعاد البريق إلى الماركسية، أعاد الشيوعية والماركسية إلى مكانتها الحقيقية، إلى أساسها الطبقي وجذرها الاجتماعي. انه تحدث عن ماركسية بلغة معاصرة، واثبت في جميع أطروحاته الفكرية والاقتصادية والسياسية والتنظيمية انه تلميذ مخلص لماركس ومعلم الطبقة العاملة بعد لينين. أن الشيوعية العمالية ليس إلا الماركسية في الميدان العملي السياسي والاجتماعي، وليست أقل منها، واللينينية في مجال التنظيم والتحزب والثورة الاجتماعية للبروليتاريا واستلام السلطة السياسية وبناء المجتمع الاشتراكي. أن الشيوعية العمالية أرست مكانتها الفكرية والسياسية والتنظيمية في زاوية معينة من المجتمع وضمن التيارات والأحزاب السياسية وبغض النظر عن جميع نواقصها ومشكلاتها وموقعها الاجتماعي ونقاط ضعفها والمسارات السياسية التي مرت بها.

أن ما نشاهده اليوم من احتجاجات عظيمة في أمريكا ضد العنصرية ويتضامن معها آلاف المؤلفة في بلدان أوروبا، تكشف عن حقيقة هذا النظام البشع الذي نعيشه. أن العنصرية أشعلت شرارة احتقان

اجتماعي كبير في صدور الملايين الذي ألقته وباء كورونا في جحيم خطر الموت أو البطالة والعوز والجوع.

أن جذر هذا النظام البشع هو الربح، وسعيه لفعل أي شيء من أجل الربح. فانهيار القطاع الصحي في بلدان متقدمة مثل أمريكا وإيطاليا وفرنسا وإسبانيا تكشف أن النظام الرأسمالي يتعامل مع القطاع الصحي وحيات البشر بقوانين السوق لذلك سعت إلى قطع كل المعونات والتمويل عليها وتحويلها إلى قطاع الدفاع والسلاح. أن تصاعد عقارب ساعة الموت لتصل إلى نصف مليون إنسان في تلك البلدان تنم عن بشاعة النظام الرأسمالي الذي تحدث عنه منصور حكمت بإسهاب طوال سنوات نضاله . فسواء قبلت كل الأعلام المأجورة ومناقحي النظام الرأسمالي، أو لم ترض، فإن الاشتراكية هي الرد على هذا النظام. وهذا ما علمنا منصور حكمت الذي قال أن أساس تحررية العامل هي الإنسانية، وإن أساس تحررية الماركسية هي الإنسانية.

لقد تعاهد ذلك الطيف من الشيوعيين الذي أشرت إليه في بداية هذا المقال وفي المراسيم التأبينية لرحيل منصور حكمت في لندن عام 2002 بأننا سنكمل ما انتهى منه رفيقنا وقائدنا وعزيزنا منصور حكمت، طريق نضال الحزب الشيوعي العمالي، شيوعية ماركس، وشيوعية لينين، شيوعية تسعى لتغيير المجتمع.

مكانة الممارسة لدى منصور حكمت!

(تأسيس ثلاثة أحزاب كنموذج عملي)

على غرار لينين، فهم منصور حكمت الشيوعية والماركسية وفق فهم ورؤية قادة الحركة الاشتراكية العالمية ماركس وأنجلس. لقد فهمهما بوصفهما "مادية براتيكية" أو "ممارساتية". إن تحدث ماركس في أطروحاته الاحدى عشر حول فيورباخ وفي الإيديولوجية الألمانية التي وضح من خلالها منهجيتيه وخلاصتها عبارته التاريخية الشهيرة: "لقد سعى الفلاسفة دوماً إلى تفسير العالم، بيد أن الهدف يكمن بتغييره"، وإن حوّل لينين الاشتراكية من "حتمية تاريخية"، "مهدي منتظر يحل يوماً ما" خارج عن يدي ويدك، خارج عن مساهمتي ومساهمتك، لا يعلم أحد لها يوم ولا ساعة ولا ممارسة معينة إلى "أمر ممكن"، "قابل للتحقيق" و"واقع" في ثورة العمال في روسيا في أكتوبر 1917، فإن لب شيوعية منصور حكمت، الشيوعية العمالية، تستند إلى تلك الممارسة الواعية والمتدخلة التي تفصل مادية ماركس عن كل الماديات التي سبقته. من المؤكد إنني لا أقصد الممارسة بالمعنى الفردي، كفرد أو أفراد، إنما بالمعنى الاجتماعي والطبقي الواسع.

إن جوهر المادية الممارساتية لا تقبل بتلك الثنائية القطبية الميكانيكية لمادية "مفسرة" للأوضاع، أي أن يكون العالم الموضوعي أو الخارجي شيء، عالم مستقل وقائم بذاته، والعقل والأفكار التي هي انعكاس "استنساخي" وتعبير عن ذلك العالم الموضوعي المستقل. لا يتعدى الثاني كونه انعكاس للأول، فقط. إن جوهر المادية الممارساتية، الشيوعية، تربط الواقع والأفكار والمجتمع الذي محوره الإنسان والممارسة الإنسانية سوية ولا تنظر إليها بوصفها عوامل معزولة ومستقلة بذاتها ولا علاقة لها ببعض.

وضع ماركس الإنسان والممارسة الإنسانية في مكانهما الواقعي في التاريخ. فالإنسان ليس مفكراً أو محلاً أو مفسراً سلبياً للعالم الموضوعي، بل إنهما القوة المحوِّلة له وللتاريخ والعالم. فالأوضاع

الموضوعية هي ليست "أغلاً" و"قيوداً مكبلة" للإنسان، بل إنها في الوقت ذاته أوضاع تتم في خضمها الممارسة الإنسانية وتغييرها عبر الممارسة. إنها أوضاع لم يحددها الإنسان، معطاة، وفي الحقيقة ذات صلة بممارسة السلف، بيد أن الإنسان في المطاف الأخير هو صانع تاريخه.

ترى هذا الاختلاف بأوضح أشكاله باختلاف مادية ماركس عن أنواع الماديات التي سبقته، تراه في منهجية لينين واختلافها مع المناشفة، وفي عصرنا باختلاف الشيوعية العمالية أو الحكمتية عن سائر أشكال الاشتراكيات البرجوازية وغير العمالية التي كانت سائدة على عالم ما بعد لينين وثورة أكتوبر. وعلى غرار ماركس ولينين واستناداً إلى منهجيتهما، إن فهم منصور حكمت للشيوعية هو أنها مرادف لـ"مادية ممارساتية". من أجل تغيير العالم، لا يمكن الاكتفاء بالتفكير، التفسير السلبي للعالم، بل ينبغي تحويله بصورة ثورية، إذ لا يمكن فصله، كونه نتاج ممارسة العنصر الفعال، الإنسان. ورغم عمره النضالي القصير وعلى غرار قادة الحركة الشيوعية العالمية، لم يكن منصور حكمت، مراقباً، مفسراً ومحللاً للأوضاع، بل مساهماً ومنظماً فيها.

فتح منصور حكمت عينه السياسية في أوضاع كانت الشيوعية التي تحيط به، سواء على صعيد إيران أو حتى على الصعيد العالمي، لا ربط لها بشيوعية ماركس، كانت شيوعية الجناح القومي والليبرالي اليساري من الطبقة الحاكمة. في ندوته (أسس الشيوعية العمالية) الأولى المنعقدة في كانون الثاني 2000، يتحدث عن مشاهدين دفعته إلى طرح موضوع "الشيوعية العمالية" لأول مرة في المؤتمر الثاني للحزب الشيوعي الإيراني، 1986، إذ يقول عن الأولى:

"لقد شنوا هجوماً على الحقوق واحداً تلو الأخرى، وتنظر للحركة التي تنتمي لها، وتجدها عاجزة عن القيام بشيء ما. إن موضوع انعدام قدرة الشيوعية هي نقطة شروع وإبداع موضوعة الشيوعية العمالية برأيي.... ذهب الإسلاميون في خمس سنوات ليرتبوا أمرهم، ونظموا في الجزائر حركة وقاموا بكل تلك الجرائم. القوميون، المعادون للإستعمار، استقلت غانا، أتى نكروما وذهب، وماذا عن الشيوعيين؟ إنهم يقولون إننا منهمكون منذ 150 عاماً، ونتمتع برؤية أيضاً، وخط، ونحن منظمون كثير. حين تسمع أمة ما أن الشيوعيين قد أتوا، يقولون لقد حضر عدد من المنظمين. ستري أن القوميون يتركون أثراً، والإسلاميين يتركون أثراً بإمكاناتهم القدرة، وحتى أكثر منهم هامشية يتركون أثراً كذلك، والشيوعية العالمية لا تترك أثراً! تقول لماذا الأمر على هذا الحال؟ ألم يكن من المقرر أن تكون هذه الشيوعية نقداً عملياً وممارساتياً وتغيير العالم؟ إن أيادي الشيوعية التي تتعلق بتغيير العالم أقصر من أية أداة لتغيير العالم. إن هذه أول مشاهدة نراها في موضوعة الشيوعية العمالية. إنها، تاريخياً، أول مشاهدة شرعنا بها بحث الشيوعية العمالية. أي وضع هذا؟ ولماذا أن أيادينا قصيرة ولا تبلغ أي شيء؟

إن هذا الفصل هو فصل بين القول والعمل، فصل ما بين حقيقتنا الموضوعية من حيث قدرتنا والأهداف التي ننوي تحقيقها والتغيرات التي ننوي إحداثها والقدرة التي لدينا." (أسس الشيوعية العمالية، الندوة الأولى). أي شيوعية عديمة الحضور، التأثير، الدور، التدخل والإقتدار في المجتمع. إن الشيوعية العمالية هي سعي لتبيان سبب عدم التأثير والدور والتدخل و.. إلخ والرد على هذا الأمر. ولهذا شرع بنضاله السياسي من أجل إرساء شيوعية عمالية مقتدرة استناداً إلى منهج ماركس ولينين، وبوسع المرء أن يرى انعكاسات كثيرة، ولقد كان دقيقاً في كل زاوية من مجمل ممارسته السياسية العظيمة رغم عمره القصير.

ثلاثة أحزاب.. نموذج حي على منهجية ممارساتية!

تأسيس الحزب الشيوعي الإيراني: كانت الثورة في إيران ثورة يسارية بكل معنى الكلمة، معادية للاستبداد والديكتاتورية وللإمبريالية وأمريكا. كان اليسار ومنظماته حضور كبير في الثورة، إذ حلت الطبقة العاملة في الميدان رافعة راية "كاركر نفت ما... رهبر سرسخت ما" ("عمالنا في النفط .. قادتنا الصلدون")، وإرساء الحركة المجالسية وغيرها. في أوضاع الحرب الباردة، اصطف الغرب حول الجناح الإسلامي وأتوا بخميني من باريس لإجهاض الثورة باسم الثورة. قام نظام الجمهورية الإسلامية بأشنع جريمة ومجزرة بحق اليساريين والشيوعيين والعمال، إذ اطلق أيادي أوباشه في القتل في الشوارع بدون أية محاكمة، راح ضحية تلك الجرائم عشرات الآلاف من الشباب الثوريين.

بموازاة مسار الثورة، برز تيار منصور حكمت "الماركسية الثورية" ومنظمتها (اتحاد المناضلين الشيوعيين) ليكتسح تيارات اليسار في غضون سنوات معدودة، وأطاح بها فكرياً وسياسياً وعملياً بدرجة أن منظمة سياسية اجتماعية واسعة في كردستان وعموم إيران، منظمة كومه له، تبنت أفكار هذه المنظمة الجديدة الناشئة، ولف قوى كبيرة حوله.

وفي أوضاع الهجمة الشرسة على اليسار والشيوعية تلك، وفي أوضاع التراجع الذي فرض على اليسار وما يسمى بـ"التوبة" تحت التعذيب والانهيار الواسع، أكد منصور حكمت على ضرورة تأسيس حزب شيوعي في إيران بوصفه أفضل رد على الهجمة الإسلامية الشرسة. كانت خطوة معاكسة للتيار. في كل تلك الأجواء الكالحة، أجواء "الاندحار"، "الهزيمة"، "التوبة"، "اليأس"، والتراجع المعنوي والنفسي المرافق لتلك الهجمة، أكد منصور حكمت على أن مجابهة أوضاع الصراع والتصدي للهجمة لا يأتي على أيدي "منظمات"، لا يأتي إلا على يد حزب سياسي. فعلى العمال واليسار والتحرريين أن يتسلحوا بحزب سياسي. لقد جمع القوى، أسس الحزب ونظمها، وذلك العوائق السياسية والعملية أمام تأسيس الحزب.

أعطى تأسيس الحزب أملاً جديداً وضخ حياة وروحاً جديدة بين الشيوعيين في إيران. لقد كانوا بأمس الحاجة إلى هذه الخطوة في ذلك الظرف العصيب بالذات. خرج من هذه الأوضاع المريرة بمكسب تاريخي للحركة الشيوعية والعمالية.

إبان طرح موضوعة التأسيس، وتجاه هذه الموضوعة، طرحت رؤيتين تحريفتين بالقدر ذاته، وهما النزعة الاكونومستية والنزعة الارادوية.

اذ تنتظر الاولى الى تأسيس الحزب بصورة مثالية. انه حزب ذا نفوذ بين العمال وممثل للحركة العمالية وذا صلة مباشرة، عبر هيئاته المختلفة، بالجمهير العمالية في المعامل والمحلات والتجمعات العمالية، وان الصلة بالطبقة العاملة هو الشرط المسبق لتأسيس الحزب، وبالتالي، فان المسار العملي لتأسيس الحزب هي الدعاية والتحريض والتنظيم الشيوعي الواسع في الحركة العمالية بحد بحيث يكون الحزب عند التأسيس ممثل كل او قسم بارز من العمال والحركة العمالية.

ان هذه الرؤية لاتنتظر الى الحزب بوصفه ظاهرة حية ومتحركة، بل بوصفه شيء ثابت ولايتغير. اي حزب مثالي في اوضاع مثالية. تم استنتاج هذا التصور من حزب ما في اوضاع معينة وتاريخ

معين، البلاشفة 1917 ابان الثورة. وبالتالي، اما ان تؤسس حزب على هذا الاساس او انه ليس بحزب شيوعي.

بيد ان كل انسان يعرف ان صلة الحزب ونفوذه بين الجماهير هي عناصر متغيرة مرتبطة بالاوضاع السياسية في المرحلة المعنية، درجة تطور الصراع الطبقي السافر على صعيد المجتمع استناداً الى تناسب القوى بين الطبقات، الضغط القومي، وتبليه البرجوازية للبرروليتاريا، وهذه تؤثر كلها على درجة نفوذ الحزب. اذ ان اوضاع الحزب تختلف في اجواء القمع السافر وسيادة الرجعية التام عنها في اوضاع ثورية او ابان ثورة.

ان هذه الرؤية تستند الى جانب كمي وخارجي وتنكر الجوهر والافق الثابت للحزب. الحزب هو ظاهرة ثابتة ومتواصلة ومادية يتخذ ابعاد مختلفة في اوضاع مختلفة. ينمو او يتراجع، بيد انه حزب شيوعي بهويته الثابتة ذاتها.

وفق التفسير والمنطق ذاته، على قول منصور حكمت، لايعتبر الحزب البلشفي حزباً شيوعياً في 1908، ولا في 1913، ولا في 1915 بيد انه يراه حزباً في 1917!! لانه لايرى الحزب ظاهرة نابضة وحية تتاثر بالاوضاع المختلفة وتناسب القوى المختلف. ان هذه الرؤية بالذات ما انتقدها منصور حكمت في 1982، وللأسف نسمعها اليوم، بعد 38 عام، من رفيق انهي صلته بالحزب.

تحول هذه الرؤية الحزب الى ظاهرة خرافية واحالة تاسيس الحزب الى اوضاع مثالية خاصة، وبهذه الطريقة، تحيل تأسيس الحزب الى محال. ان هذه الرؤية معادية للعمال لان تأسيس حزب شيوعي هو اكثر الشروط المسبقة اساسية لتوسيع نفوذ الشيوعية والشيوعيين بين جماهير الطبقة العاملة وممارسة القيادة الشيوعية على الحركة العمالية. ان نسخة هذه الرؤية لتاسيس الحزب هي نسخة عدم تاسيسه.

اما التصور الاخر، الارادوي، فهو يرى في الحزب جمع عددي لاعضاء ومنظمات او حلقات ووحدتها بوضعيتهم القائمة، اي بما هم عليه. انها لا ترى في الحزب ظاهرة جديدة متميزة. ان هذه الرؤية التي اساسها ظاهر الامور، الخارج، هي تصوير ثابت وجامد للحزب ولا تدرك الاختلاف الجذري لحزب شيوعي عن حلقات ومنظمات. وقد اكد منصور حكمت على هذه القضية كثيراً بعد 9 سنوات من ذلك ايضاً، ابان تاسيس الحزب الشيوعي العمالي العراقي. اي ان الحزب ظاهرة اخرى، وليس الجمع العددي لمحافل ومنظمات بالاليات والقيم والرؤى السياسية والتنظيمية لما قبل الحزب. ان كلا النزعتان هما نزعتان برجوازية صغيرة. لقد وضح منصور حكمت هذا في مقالته القيمة: "باي شيء يرتهن تأسيس الحزب الشيوعي الايراني!" اتمنى ان تتوفر لي الفرصة لترجمتها للقاريء.

الحزب الشيوعي العمالي الإيراني:

في 1991، في خضم ذلك الضجيج المعادي للشيوعية إثر انهيار الكتلة الشرقية، وما رافقها من هجمة شرسة لا على ماركس ولينين فحسب، بل على كل فكرة داعية للحرية والمساواة، وفي خضم زعيق المنتصرين والمهزومين على السواء بدفن لينين، وإحالة أفكار ماركس إلى الرفوف، هذا الضجيج الذي صم الأذان في أركان العالم كله، قام منصور حكمت وبخطوة معاكسة ومجابهة

للعاصفة العالمية العاتية السائدة بتأسيس الحزب الشيوعي العمالي الإيراني.

لقد تحدثت عن: لقد أسسنا الحزب الشيوعي الإيراني في تاريخ معين وارتباطاً بأوضاع معينة وبقوى معينة. إن هذا الإطار لم يبقَ مناسباً لاستقبال الأوضاع العالمية الجديدة. لقد سعى لحسم الصراعات السياسية والميول السياسية لصالح تحويل الحزب إلى حزب تيار الاشتراكية العمالية. ولكنه لم يستطع أن يلجم التيار القومي (الكردي) اليميني المنتشي بتصاعد المد القومي على الصعيد العالمي إثر انهيار الكتلة الشرقية من جهة ووصول القوميين الكرد في كردستان العراق إلى مبتغاهم بالحكم والسلطة في كردستان إثر حرب الخليج. ولا تيار الوسط في الحزب الذي كان ينشد الحفاظ على قبعته من أن يعصف بها التيار الجارف، ويسعى لأن يبطئ رأسه حتى تمر الرياح، ورد منصور حكمت بنهجه المتدخل والطيبي، بالقول إن صد الهجوم لا يأتي إلا برد، إلا بهجوم فكري وسياسي، إن لم نتصد لهذه الوضعية ونطرح رداً سياسياً وفكرياً وعملياً على هذه الهجمة، لن تبقى لنا قبعة نحافظ عليها.

خرج من باب غرفة الحزب الشيوعي الإيراني ليلج باب تأسيس الحزب الشيوعي العمالي. إذ ختم توضيح استقالته بالتالي: "لم يكن انفصالنا سبباً لبلوغ هدف استقلال خط الشيوعية العمالية وتأسيس حزب شيوعي عمالي موحد. إذ يمكن أن نبقى لعدة سنوات على رأس هذا الحزب، نناقش، نكتب، نصدر القرارات، "نوضح الإبهامات والغموض"، "نعلم"، نقوي الحركة الاشتراكية والعمالية في الحزب، نهمش التيارات الأخرى في الحزب، ندوبها وغير ذلك. وبالأخير، سننجح. ولكن المشكلة تكمن في هذه الـ"عدة سنوات" نفسها. ليس لدينا هذه السنوات. فرداً على أولئك الذين يوجهون السؤال لنا غداً: "في تلك السنوات الكالحة، ماذا كنت تعمل حين كانت الشيوعية وبرفقتها كرامة الإنسان تتعرض لهجمة، سنوات كان العامل يعني مرة أخرى الحرمان والامتهان، لا يستطيع أن أرد وأقول "كنت مشغولاً بإصلاح حزبي". العالم، بسعته واتساعه هذا، مهياً للترحيب واستقبال شيوعية عازمة وواضحة تنتشد أن تبدأ اليوم من جديد". أي تعامل مسؤول هذا؟! أية روحية ومنظومة مسؤولة هذه؟! في عالم كان أمام كل شيوعي لازال متمسكاً بشيوعيته، ينهش به 2000 شيوعي سابق بأن هذه "أفكار مرحلة الشباب"، "تبيّن فشل الأفكار الشيوعية"، "طوباوية"، "خيالية"، "لا فائدة منها"، "ولماذا تضيع وقت وعمرك هدرًا"، وكان تقاطر اشتراكي الطبقات المتوسطة وحملة الشهادات والبرجوازية الصغيرة على التخلي عن الأفكار الشيوعية واللهج بأمر "الديمقراطية" و"حقوق الإنسان" مدأ كاسحاً، كان هناك شخص في ركن من العالم يؤكد على أن لماركس معنى، للمساواة معنى، للحرية معنى، للإنسانية معنى وللطفولة معنى، وللحقوق معنى، كان هذا منصور حكمت. كانت خطوة معاكسة للتيار تماماً. إن هذه هي شيوعية ماركس، هذه الماركسية المتدخلة، تجسيد حي للمادية الممارساتية، لأطروحات ماركس في الإيدولوجية الألمانية وحول فيورباخ.

الحزب الشيوعي العمالي العراقي:

في أوائل التسعينيات، وبعد حرب أمريكا على المجتمع في العراق عام 1991، تحول العراق إلى ساحة لتصفية الحسابات بين القوى الإمبريالية العالمية وصراع القوى والتيارات والأحزاب القومية والإسلامية، العربية والكردية، من جهة وتنامي حركة الشيوعية العمالية ومنظماتها وحلقاتها في كردستان العراق بدرجة أولى وفي العراق بدرجة أقل، وبعد التشاور مع منظمات الشيوعية العمالية وتبادل الآراء بصورة مفصلة معها، طرح منصور حكمت مسألة تأسيس حزب شيوعي عمالي على طاولة المنظمات والحلقات. لقد انطلق من الواقع التالي: في هذا التكالب الإمبريالي العالمي والتكالب

القومي والإسلامي من أجل حسم كل منهم مصير المجتمع لصالحه ولصالح تحقيق أكثر ما يمكن من مكاسب السلطة والهيمنة والثروة، فإن الطبقة العاملة في العراق ومعها سائر الجماهير المحرومة عديمة الخندق، عرضة لتلاعب هذه القوى البرجوازية المختلفة بمصيرها، ينبغي تحصين العامل والتحرر والمساواة. إن هذا يستلزم تأسيس حزب كي لا تستفرد هذه القوى المعادية للإنسان بالعامل وتجعله محرقة لمصالحها المناهضة له. ورد على العوائق السياسية والعملية وذلكها، وأسست الشيوعية العمالية حزبها في العراق، حزب هو أثنى وأهم ظاهرة في تاريخ العراق المعاصر المليء بالمصائب والمآسي.

وكمثال على العوائق العملية أمام تأسيس الحزب، لم يلجأ قط للطرق التقليدية المعروفة في تأسيس الأحزاب، وبالأخص اليسارية منها. بلغت الصراعات بين المنظمات أوجها في تلك المرحلة، وتساعد التعصب التنظيمي بشكل حاد قبل التأسيس، لم ينتظر تطور المنظمات لحد بحيث يسود خط سياسي وفكري وعملي لمنظمة ما وتؤسس الحزب. فوق منصور حكمت: يمكن اتباع هذا السبيل، ولكن هل تتحمل الأوضاع هدر الوقت هذا؟! لقد جلب طرماً كان استثنائياً إلى أبعد الحدود (تشكيل الحزب من قبل أشخاص معتبرين في الحركة بأسمائهم (10 رفاق) وبغض النظر عن هويتهم التنظيمية يكونون لجنة مركزية للحزب لحين انعقاد المؤتمر الأول، ويخولهم الكوادر (40 كادراً مثلاً) بتأسيس الحزب). طرحت مسألة أخرى، ففي حمية نقاش الرفاق حول أين نعقد المؤتمر التأسيسي، فأغلبية تنظيمات الحزب في الداخل، قسم واسع من الرفاق في الخارج، وآخر في تركيا وإمكانية التنقل أقرب إلى الصفر. رد ببساطة: (ليس بالضرورة ذلك)، تحدث البعض: (ولكن كيف يمكن هذا؟) رد: (إنه حزبنا، نؤسسه بأنسب شكل ممكن لنا، هذا أمر يخصنا ولسنا مدينين لأحد! نؤسس الحزب، وفي أقرب ظرف مناسب نعقد مؤتمره الأول!). إن تعامله العملي "خارج الصندوق" وغير التقليدي هو انعكاس حي للسمة الممارساتية لمنصور حكمت. وهناك الكثير من التفاصيل التي تعكس هذا الطابع المتدخل والممارساتي والفاعل.

لقد أكد على طول الخط أن فراغ الحزب لا يمكن ملؤه بالحلقات والمحافل والشخصيات الفكرية والسياسية والثقافية وغيرها. إذ مهما بلغت راديكاليته، بوسع البرجوازية المجربة أن تهضمها وتضمها بعد مسار ما تحت أجنحتها.

أود أن أشير هنا لبعض الحالات بصورة سريعة وعابرة تؤكد هذه السمة والطابع الفاعل والممارساتي لمنظومة حكمت السياسية والعملية.

"الحمية التاريخية" أو "حمية الشيوعية":

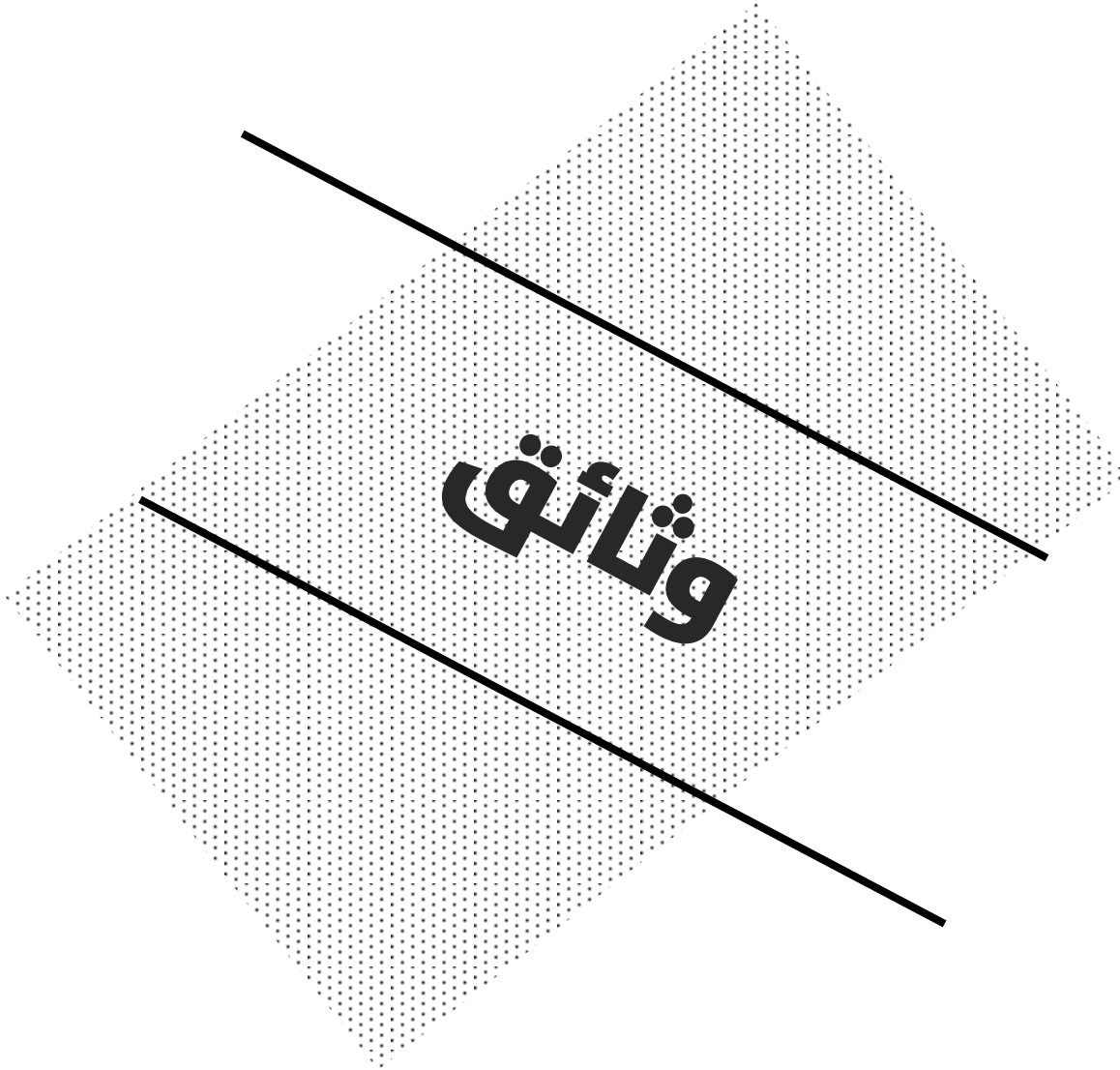
إنها أطروحة راسخة لدى اليسار وتعبير عن نفسها في كل تعاملات وممارسات اليسار التقليدية. لقد فند منصور حكمت هذه الأطروحة غير الممارساتية وغير العمالية وغير الشيوعية. إن هذه امتداد وتتمة لشيوعية غير متدخلة، سلبية، "شيوعية انتظار"، "شيوعية" ارتقائية. فلا تحل الاشتراكية أو الشيوعية بصورة تلقائية أو نتيجة تلقائية لتقدم المجتمع أو امتداداً لتطور قوى الإنتاج. إنها نتاج تدخل واع لطبقة معينة في المجتمع، الطبقة العاملة، المتسلحة بحزبها ومجالسها وتنظيماتها. لا يسقط النظام البرجوازي والرأسمالية جراء أزمامته مهما بلغت أو تكررت أو تعمقت. لأن بوسع هذا النظام أن يعود مرة أخرى ويهضم أزمامته ويستنهض نفسه ويديم عمره وحكمه إن لم تضع الطبقة العاملة وحزبها

حداً وخاتمة لهذا النظام عبر ثورتها العمالية.

بهمن شفيق وألممية:

بهمن شفيق كان عضو اللجنة المركزية للحزب، له صلات مع ناشطين يساريين في ألمانيا. كانت أوضاع إيران تغلي، ونظام الجمهورية الإسلامية في مأزق وأزمة سياسية جدية، جماهير وعمال إيران في صراع حاد مع النظام، الحزب الشيوعي العمالي الإيراني في إحدى أهم مراحلها السياسية ويكسب اعتباراً ومكانة سياسية كبيرة بين قوى المعارضة الإيرانية، بوصفه أبرز قوى اليسار في إيران. قدم بهمن شفيق بحكم "هناك طيف واسع من اليسار" في ألمانيا، رسالة يطلب فيها من الحزب أن يفكر بتشكيل ألممية من هذه القوى. كان رد منصور حكمت هو أن: الأوضاع في إيران تغلي، والمجتمع على أعتاب تحولات عظيمة، فأن ننشغل الآن بتهيئة المستلزمات والعمل على تأسيس ألممية هو عملياً حرف الحزب عن هدفه الأساسي، الثورة وإعداد الطبقة العاملة للتدخل في الميدان ورسم مصير المجتمع السياسي وإقامة ثورتها الاشتراكية. إن هذه منشقية وليست لينينية ولا ربط لها بالشيوعية. إثر هذا النقاش و"رفض الطلب"، استقال من الحزب لكونه "لا عمالي" وذلك "لكون ألممية سمة العمالية"!!!

ثمة أمثلة كثيرة بهذا الخصوص، ولكن يصعب إدراجها هنا في هذه الفسحة المحدودة للأسف. في الختام لا أقول سوى: ليس ثمة سبيل أفضل لاستنكار منصور حكمت في هذا الأسبوع من رفع رأيته النقدية-الممارساتية والتدخل الواسع والثوري في السياسة والمجتمع، ومن السعي من أجل نيل الاقتدار السياسي وتغيير المجتمع وتحويل الإنسان إلى صانع تاريخه.



بيانات الحزب:

انها ورقة افقار مجتمع غارق اساساً، في الفقر والجوع والبطالة! (حول الورقة البيضاء للكاظمي)

طرحت قبل اسابيع قليلة حكومة الكاظمي "حلاً" لإخراج العراق من الازمة الاقتصادية، سمته (الورقة البيضاء) والتي لا تعني اكثر من توسيع مساحة الافقار في المجتمع، وتحميل ازمته الاقتصادية على العمال والموظفين والحفاظ على امتيازات الاحزاب السياسية في السلطة الفاسدة سواء في الحكومة او البرلمان او القضاء او في الدرجات الخاصة.

ان الورقة البيضاء، ورقة مظلمة وتنذر بمصير مظلم لجماهير العراق على الصعيد الاقتصادي، ليست بجديدة، ولا تتم عن اي ابداع وابتكار للحكومة، بل تكشف عن الوجه القبيح لحكومة الكاظمي المعادية لمصالح الاغلبية الساحقة لجماهير العراق، اذ كان لجميع حكومات الاسلام السياسي الفاسدة الورقة ذاتها، ولكن بعناوين مختلفة، تارة تحت مسمى "الورقة الاصلاحية"، وتارة اخرى "الورقة التشفيرية"، وآخرها "البيضاء". وقد حاولت فرضها على المجتمع العراقي بدءاً من حكومة المالكي التي شرعت بإلغاء البطاقة التموينية ورفع اسعار الوقود، الا انها فشلت وتراجعت عن قرارها على اثر ضربات انتفاضة شباط 2011. وبعد ذلك، حاولت حكومة العبادي، وتحت صدمة اجتياح داعش لتثلث مساحة العراق واستغلالها بعد ما سلم المالكي الخزينة الحكومية فارغة، فرض سياسة التشفير وعقد اتفاقية مع صندوق النقد الدولي والتي كان احد شروطها بعدم التوظيف في القطاع الحكومي حتى نهاية عام 2020، الا انها هي الاخرى تراجعت عن تطبيق ورقتها اثر تظاهرات تموز 2015. ثم حاولت بعدها حكومة عبد المهدي التي تفوقت بجرائمها على سابقتها بتمرير ورقتها وتنفيذ كل شروط صندوق النقد الدولي والمؤسسات المالية الامريكية، الا انها اصطدمت بانتفاضة اكتوبر، التي اشعلت شرارتها البطون الخاوية للملايين من العاطلين عن العمل في العراق.

تحاول حكومة الكاظمي التي لا تختلف في اجندتها الاقتصادية عن كل حكومات الاسلام السياسي السابقة، اضعاف شرعية وهمية وكاذبة على سياستها بأنها جاءت تحقيقاً لانتفاضة اكتوبر، في الوقت الذي مزقت انتفاضة اكتوبر كل الشرعية الزائفة لانتخابات ايار 2018 التي جاءت منها سلطة مليشيات بامتياز.

ان الورقة البيضاء التي كتبت بحبر واضعي سياسة البنك الدولي ليس اكثر من سياسة طبقت في تشيلي والارجنتين ومصر واندونيسيا وبولندا وغيرها من الدول، وكانت نتيجتها تنصل الدولة من جميع مسؤوليتها تجاه المجتمع وخصخصة جميع مرافق المجتمع والخدمات بحيث وضع مستقبل العامل والموظف والعاطل عن العمل في مهب الريح، كما تتحدث لنا الورقة البيضاء.

بيانات الحزب:

من جانب اخر تتحدث (الورقة البيضاء) عن تشجيع الاستثمار والقطاع الخاص والشركات لاستيعاب توظيف العاطلين عن العمل، في الوقت الذي يُعرف، ان استثمار الاموال بحاجة الى استقرار سياسي وامني. وان العراق لم يشهد منذ احتلاله اي استقرار، ولن يشهد في المستقبل لا القريب ولا المنظور اي استقرار بسبب صراع النفوذ الاقليمي والدولي على الساحة السياسية العراقية. وعليه، ان السلطة البرجوازية التي يمثلها الكاظمي اليوم تدرك هذه الحقيقة، ولكن تحاول تمرير سياستها الاقتصادية عبر قطع رواتب عمال وموظفي وادامة معاناة العاطلين عن العمل للحفاظ على امتيازات السلطة السياسية الحاكمة ببرلمانها وحكومتها وقضائها.

ان الازمة الاقتصادية الحالية التي يمر بها العراق هي جزء من الازمة الاقتصادية الرأسمالية في العالم، مع فارق ان درجة الازمة وشدها اقوى في العراق بسبب الفساد الاداري والسياسي المستشري والتي لا تقترب الورقة البيضاء من مد اليد عليه، بل كل ما جاءت فيها هي محاولة لإخفاء الحقيقة البشعة والجسعة للطبقة السياسية البرجوازية الحاكمة في العراق بإسلاميها وقوميتها.

وعليه، فان الحزب الشيوعي العمالي العراقي يرفض بشكل كلي هذه الورقة، ويطرح ورقته للجماهير العمالية والمحرومة بوجه ورقة السلطة البرجوازية الفاسدة البيضاء، وسبق ان طرحها بالرد على انخفاض اسعار النفط ومحاولات تقليل اجور ورواتب العمال والموظفين الذي تبنته العديد من الاتحادات والمنظمات العمالية وهي اولا:

ترشيح الأجهزة الإدارية للحكومة من رئاساتها، برلمانها، وزاراتها، مجالسها، ومؤسساتها التي تضخمت بشكل خرافي جراء سياسات المحاصصة والفساد والطفيلية وغيرها. تقليص عدد الوزارات ودمجها مع بعض، حل الهيئات والمؤسسات واللجان الواسعة والمتشعبة لرئاسة الحكومة ومجلس الوزراء والبرلمان المتضخمة التي بنيت على أساس الفساد والمحاصصة.

جعل رواتب مسؤولي الدولة واعضاء مجالس المحافظات معادلة لراتب عامل ماهر وإلغاء امتيازاتهم كافة.

الاعلان العلني بشكل منتظم عن مداخل المنافذ الحدودية التي تقدر بأكثر من 10 مليار دولار حسب الارقام الاخيرة التي اعلنتها هيئة المنافذ الحدودية بعد سيطرة الجيش عليها وطرد الميليشيات منها.

الإلغاء الفوري للرواتب التقاعدية الدائمة للبرلمانيين ومسؤولي الدولة وأعضاء مجالس المحافظات التي حلت بقرار وزاري في العام المنصرم.

الإلغاء الفوري لتعدد الرواتب.

الغاء جميع المناصب الخاصة التي تقدر بأكثر من ثلاثة الاف وظيفة وتستحصل على رواتب وامتيازات برتبة وزير.

حل طيف واسع من الاجهزة التي اصبحت عبئاً على المجتمع وفي مقدمتها الحشد الشعبي والعشائري والمليشيات كافة.

■ انها ورقة افكار مجتمع غارق اساساً، ..

الغاء كل التعيينات التي جرت في مؤسسات الجيش والشرطة وغيرها بناءً على "الدمج".

حذف التخصيصات المالية لدواوين الأوقاف و هيئة الحج والعمرة والمسائل والعدالة وغيرها و شمولها بقوانين وأنظمة التمويل الذاتي والتي تقدر بأكثر من مليارين دولار من الموازنة.

جعل العتبات و المزارات الدينية من ضمن السياحة الدينية ومن ضمن مسؤوليات الدولة ومتابعتها والإشراف عليها والرقابة عليها، وان تعود إيراداتها إلى الخزينة العامة. وعلى المؤسسات الدينية كافة ان تكشف ذممها المالية وتقوم بدفع الضريبة سنوياً.

غلق المكاتب واللجان الاقتصادية للأحزاب والمليشيات ومصادرة أموالهم المنقولة وغير المنقولة وإنهاء كل أشكال تدخل المليشيات والأحزاب الحاكمة في الحياة الاقتصادية للمجتمع من مشاريع تجارية او اقتصادية.

سن قانون "من أين لك هذا؟" ومصادرة جميع الأموال المنقولة وغير المنقولة للمسؤولين السابقين والموجودين حالياً في الحكومة والبرلمان والقضاء بعد التحقيق والتأكد من ثرواتهم خلال فترة تيوئهم للمناصب الحكومية.

ان الحزب الشيوعي العمالي العراقي يدعو جماهير العراق للالتفات حول ورقته، ورقة (العمال والموظفين والمحرومين) ورفض الورقة البيضاء غير الشرعية لحكومة الكاظمي المنبثقة من رحم المحاصصة والعملية السياسية الفاسدة. ان التوزيع العادل للثروات هو الحل والبدل وليس احتكار حفنة طفيلية وفاسدة لأموال و ثروات الجماهير.

وفي الوقت ذاته، ان اية حكومة منبثقة من العملية السياسية ليس في جعبتها الا ادارة ازمة السلطة السياسية لاستمرار فسادها ونهبها، وان الحل الوحيد هي بإنهاء عمر العملية السياسية في العراق وتأسيس حكومة غير قومية وغير دينية منبثقة من الجماهير عبر ارادتها الحرة وقادرة على تنفيذ ورقة (العمال والموظفين والمحرومين)، التي هي ورقة تحقق مصالح جماهير العراق من اجل حياة حرة وكرامة.

الحزب الشيوعي العمالي العراقي

2020-10-30

حول جريمة الاسلام السياسي في باريس وتداعياتها!

لم تمض ايام من جريمة قطع راس مدرس التاريخ "صمويل باتي" في إحدى ضواحي باريس، على يد شاب اسلامي بذريعة عرض المدرس رسوم مجلة "شارلي إيبدو" الكاريكاتورية لنبي الإسلام محمد، في فصل دراسي عن حرية التعبير، وخير الطلاب من اصول "اسلامية" البقاء او الخروج من الصف احتراماً لمشاعرهم، حتى تلتها جريمة ابشع منها ليهاجم اسلامي اخر ٣ اشخاص ويقتلهم ويذبح احدهم، بينهم اثنان من النساء في كنيسة في مدينة نيس، لتضاف الى سلسلة الجرائم التي ترتكبها قوى الاسلام السياسي من اجل فرض هيمنتها.

وكان بين احداث الجريمة البشعتين وتداعياتها، تصاعد حدة الخطاب الاعلامي بين الرئيسين الفرنسي والتركي، حيث شن امانويل ماكرون هجوماً على الارهاب الاسلامي ودفاعاً عن "تقاليد الجمهورية" وعن حرية التعبير، في حين، وكعادته، لم تفت قوى الاسلام السياسي، وفي مقدمتها الرئيس اردوغان، الفرصة لشن هجوم مضاد على فرنسا وماكرون بحجة "الاساءة لمشاعر مليار ونصف مسلم"! ولازال الصراع في تصاعد متعاضم ملبد الاجواء بصراعات رجعية مريرة اخرى وذات اثار وخيمة على المدنية والتحرر والتقدم في العالم .

ان استغلال اردوغان لهذه القضية وتأجيجها لا ربط له بمشاعر المسلمين. انه صراع يمينين. اليمين البرجوازي في فرنسا المعادي للعمال واصحاب الستر الصفراء، معادي للاجئين، وداعم لعقود للتيارات الاسلامية والرجعية بشكل فعال سواء في فرنسا نفسها او في المنطقة وسياسات "النسبية الثقافية" العنصرية وغيرها، ويمين اسلام سياسي لم يتورع عن ارتكاب ابشع الجرائم في ارجاء العالم المختلفة وبالأخص في الشرق الاوسط وشمال افريقيا واشاعة اجواء الرجعية ومناهضة المدنية ومعاداة المرأة والحريات. يتصارعان كل منهما من اجل مصالحهما الخاصة. ان هذا الصراع هو حلقة من حلقات صراعات اليمينين في ليبيا، سوريا، القوقاز وشرق المتوسط... من اجل الهيمنة.

ان ادعاء الإسلام السياسي بقيادة تركيا الدفاع عن مشاعر "1.5 مليار مسلم" حيث تصاعدت دعوات مقاطعة المنتجات الفرنسية ومطالبة ماكرون بالاعتذار، هو ادعاء مرائي وكاذب. ان وصم كل من يعيش في الدول المبتلات بالإسلام بـ"مسلم" هو عمل سياسي وورائه اهداف سياسة واضحة وهي "اسلمة" هذه المجتمعات وتعزيز نفوذ الإسلام والإسلام السياسي فيها وتقوية موقع الإسلام السياسي في صراعه مع البرجوازية العالمية على حصته من السلطة والنفوذ.

حول جريمة الاسلام السياسي في باريس وتداعياتها!

المليار والنصف، الذين يتحدثون باسمهم بينهم علمانيون، ملحدون، شيوعيون واناس كثر ليس للدين مكانة في حياتهم اليومية واتباع ديانات أخرى وعددهم مئات الملايين. ان تصوير هذا المجتمعات ككتلة بشرية متجانسة تتأذى مشاعرهم لأي نقد للإسلام، والإسلام السياسي ورموزه هي كذبة صارخة وسياسة مغرفة في الرجعية، اذ تنكر ايسط حقوق الانسان بان تكون له هوية إنسانية، غير دينية. اين هو موقف الإسلام السياسي وحكومة تركيا من مشاعر وكرامة "المسلمين" التي تنتهك بشكل يومي جراء الفقر، الجوع، مصادرة ايسط الحريات الفردية والمدنية في البلدان التي تسمى بـ"الاسلامية"؟ اذ يتم يوميا انتهاك مشاعر الملايين من البشر بمئة طريقة وطريقة في الدول المبتلات بالإسلام دون ان تثور ثائرة تركيا او قوى الإسلام السياسي في المنطقة.

من جهة أخرى، ارتفعت الكثير من الاصوات داعية إلى عدم ربط الإسلام بمثل هذه الأعمال الشنيعة. ان هذه السياسة من قبل بعض اجنحة الإسلام السياسي والبرجوازية الغربية هي مضللة وتهدف الى حماية الإسلام كأيدولوجيا معادية للإنسان، من السخط والازدراء الذي يستحقه.

نحن في الحزب الشيوعي العمالي العراقي نندد بهذه الجريمة البشعة ونقف بقوة مع حرية الرأي والتعبير بدون قيد وشرط. يستخدم الإسلام السياسي الإرهاب لابتزاز البشرية ونشر الرعب ومصادرة ايسط الحقوق والحريات وفرض الرجعية على المجتمع. يجب صد هذا المسعى. يدعو حزبنا، البشرية المتمدنة للتأزر والتضامن ضد إرهاب الإسلام السياسي وضد صراع اردوغان-ماكرون الرجعي الحالي. يجب فصل الصف عن طرفي هذا النزاع الرجعي.

تنظيم الخارج- الحزب الشيوعي العمالي العراقي
29.10.2020

في الذكرى الأولى لانتفاضة أكتوبر 2019 أكتوبر آخر مكلل بالنصر، أمر ممكن!

تمر الذكرى الأولى لاندلاع شرارة انتفاضة تشرين الأول - أكتوبر، الانتفاضة التي فرضت تراجعاً كبيراً على السلطة البرجوازية للإسلام السياسي الشيعي لأول مرة منذ غزو واحتلال العراق.

القوى الاجتماعية المشاركة في الانتفاضة:

لقد أسس لانتفاضة أكتوبر العارمة - التي هزت كل أركان النظام السياسي الفاسد في العراق - جيش العاطلين عن العمل، الجيش الذي يقدر عدده أكثر من 12 مليون من الشباب والشباب، من خريج المعاهد والجامعات، ومن الذين لم يحالفهم الحظ في إتمام دراستهم بسبب أوضاعهم المعيشية، وانخرط في صفوفهم "أصحاب البسطات" الذين هاجمتهم القوات الامنية القمعية تحت ذريعة "إعادة الجمال إلى الشوارع" دون تقديم أي بديل للحصول على لقمة عيش لهم ولعوائلهم، كما انضم إليهم من الذين شردتهم القوات ذاتها من بيوتهم تحت ذريعة إشغالهم عقارات حكومية في الوقت الذي يغتصب كل المسؤولون في المؤسسات الحكومية عقارات الدولة ويستغلونها كسكن لهم و لعوائلهم دون أن يرف لهم جفن، كما اشترك أيضا عمال العقود والأجور الذين يتقاضون رواتب لا تسد أجور نقلهم، ناهيك عن حرمانهم من الضمان الاجتماعي وتأخر معاشاتهم لأشهر. كما عمل على تقوية شوكة الانتفاضة مشاركة الآلاف من النساء مطالبات بالحرية والمساواة والحصول على فرصة عمل.

إن انتفاضة أكتوبر كانت مرحلة سياسية واجتماعية مهمة في تاريخ العراق الحديث، وقد دحضت بكل جسارة وجرأة خرافة "طائفية المجتمع"، ونزعت الشرعية عن الديمقراطية الزائفة التي تبجحت بها القوى الإسلامية والقومية كي تجثم على صدور الجماهير عبر صناديق الانتخابات، التي كانت تملئها ميليشياتها بأوراقها، وهي من تفتحها وعند الضرورة تحرقها، وفضحت الانتفاضة تزيق الدين الذي كانت توزعه القوى الإسلامية لتخدير الجماهير وإضفاء القدسية على وجودها المعادي لأبسط تطلعات الإنسان في حياة حرة وكريمة، وداست الانتفاضة على كل تهديدات الرعب والخوف ونشر الخرافات لإبقاء النساء في البيوت وتحويلهم إلى جواري منازل كي لا يتجاسرن على هتك شرعية القوى الإسلامية وسلطتها الجائرة. إن قوى هذه الانتفاضات كانت كل الساخطين على هذه السلطة الميليشيائية الفاسدة والإجرامية وكل دعاة الحرية والمساواة والرفاه.

محطات الانتفاضة:

في كل محطة من محطات الانتفاضة، تكشف للجميع سخط الجماهير المطالبة بالحرية والمساواة على

في الذكرى الأولى لانتفاضة أكتوبر 2019

القوى البرجوازية بإسلاميها بقوميتها، وبعروبيتها وبقوميتها المحليين (الوطنيين)، بشيعيها وسنيها المعادية بشكل سافر لمصالح جماهير العراق. وفي كل محطة من تلك المحطات كشفت حتى القوى الإسلامية التي دخلت إلى الانتفاضة على مضمّن، مثل التيار الصدري وبلطجيته أصحاب القبعات الزرقاء، عن مدى معاداتها للحرية وحق التعبير، ولم تختلف قيد شعرة عن عصابات الطرف الثالث الذي كان يقتل بدم بارد المتظاهرين، عندما رفضت الانتفاضة أن يلوي عنقها والقبول ذلك التيار. ليس هذا فحسب، بل كشف ذلك التيار المليشياتي أيضا عن عدائه السافر للنساء عندما طالب زعيمه بفصل الذكور عن الإناث في التظاهرات.

وفي محطة أخرى من محطات الانتفاضة، حاولت القوى الإسلامية الشيعية ومليشياتها المجرمة خلط الأوراق والعمل على تغيير مسار الانتفاضة والالتفاف عليها من خلال رفع شعارها المستهلك والخالي من المحتوى والمشبوّه وهو رفع لواء (المقاومة والممانعة) والدعوة إلى "طرد القوات الأمريكية"، في الوقت الذي يدرك القاضي والداني أن من سرق جماهير العراق وافقرهم وفرض البؤس عليهم، ومن قتل المتظاهرين ومن حول العراق إلى مزعة للنهب والسلب والفساد هم رافعوا لواء "المقاومة والممانعة" انفسهم، ولم يكونوا ليصلوا إلى هذا الحد من الطغيان بحق جماهير العراق لولا حراب المارينز الأمريكي الذي اطلق العنان لهذه العصابات باحتلال العراق وتحويله إلى بلد فاشل ودون دولة تحافظ على الحد الأدنى من الأمن والأمان. بيد أن الانتفاضة حافظت على مسارها ولم تستطع تلك القوى حرفها، والى جانب ذلك استطاعت إجبار عادل عبد المهدي على التنحي، وواصلت هجمتها على السلطة المليشياتية الحاكمة ورفعت شعار "كلهم يعني كلهم" في رفض تام لكل القوى السياسية والمليشياتية الحاكمة واحبطت بدائل البرجوازية لسلطة الإسلام السياسي من أجل انقاذ سلطتها في ترشيحها لرئيس وزراء جديد مثل الشيعاء والسوداني والعيداني وعلوي.

أين أخفت الانتفاضة:

بالرغم من جميع التضحيات العظيمة التي قدمتها جماهير العراق في انتفاضة أكتوبر، وبالرغم من مئات الضحايا وآلاف من الجرحى وعشرات الاغتيالات والاختطافات، وبالرغم من كسر هيبة وشوكة سلطة الإسلام السياسي الشيعي ومليشياتها وعصابات المجرمة، إلا أن الانتفاضة لم تحقق أهدافها؛ لم تحقق مطالبها العادلة وهي مطالب الملايين العاطلين عن العمل وعمال العقود والأجور والخريجين.

لم تستطع إنهاء العملية السياسية القائمة على أساس المحاصصة القومية والطائفية والتي هي، الأساس للمظالم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الكبيرة. لم تستطع قطع دابر المليشيات وإنهاء وجودها، ولم تستطع تحقيق الأمن والأمان وتقضي على عدم الاستقرار الأمني والسياسي في العراق.

بالرغم الجسارة التي أبدتها الجماهير وخاصة الشباب بمواجهتهم بصدور عارية لقناصي المليشيات والقوات الامنية، لم تتمكن لحد هذه اللحظة من فرض تقديم قتلة المتظاهرين إلى المحاكم العلنية وكذلك فرض. تقديم قتلة المتظاهرين إلى المحاكم العلنية وكذلك فرض تقديم التعويضات المناسبة لذوي الضحايا سواء من فقدوا أرواحهم خلال المحطات النضالية في الانتفاضة أو الذين سقطوا جرحى.

دروس وعبر انتفاضة أكتوبر:

إن انتفاضة أكتوبر هي أول تجربة سياسية نضالية حية وخاصة لجيل الشباب الذي فتح عينيه على الاحتلال، الحرب الأهلية الطائفية، البطالة، الفساد، الجوع، المرض والعوز. وبالرغم من جميع إخفاقاتها والأفاق التي انتهت إليها إلا أنها استنهضت الروح الثورية الكامنة في صفوف الجماهير وعموم المجتمع، وبيّنت قدراتها وإمكاناتها إذا توفرت شروط انتصارها.

لقد دأبت جميع القوى البرجوازية القومية والإسلامية، إما على تجبير الانتفاضة لصالحها أو في تغيير مساراتها أو احتوائها وتفريغها من محتواها. لقد وقعت انتفاضة أكتوبر فريسة السياسات والتصورات البرجوازية لتلك القوى، فريسة نزعة (اللاتنظيم) التي غرستها تلك القوى في صفوف الجماهير، على الرغم من أن تلك القوى البرجوازية ذاتها، منظمة من قمة رأسها حتى أخمص قدميها، في ميليشياتها وتنظيماتها، في خطبها الدينية أيام الجمع، في مؤسساتها ومنابرها الإعلامية، في شركاتها المالية التي كونتها من سلب أموال الجماهير من المحاصصة السياسية، فقد سعت بكل طاقتها لإشاعة نزعة (اللاتنظيم) في المجتمع، وتصوير كل شكل من أشكال التنظيم بأنه معادي لتحقيق مصالحها. لقد كان اللاتنظيم وتقديس العفوية هما (كعب أخيل) الانتفاضة ونقطة ضعفها.

ونحن نرى إن اللاتنظيم وتقديس العفوية قادا إلى أن تكون الانتفاضة أسيرة الأفاق السياسية التي طرحتها تلك القوى السياسية. وفي المطاف الأخير ساد أفق تغيير (رئيس الوزراء) على الانتفاضة، حتى صعود الكاظمي من رحم العملية السياسية إذ جاء على أكتاف الانتفاضة. لم تفشل انتفاضة أكتوبر جراء عمليات القمع الوحشي الذي تعرضت لها من قبل السلطة السياسية الإسلامية الميليشيائية الحاكمة، بل أخفقت بسبب سيادة نزعة (اللاتنظيم) و(تقديس العفوية) وسياسة (اللاتنظيم) البرجوازية وسيادة آفاق التيارات البرجوازية عليها.

بيّنت المحطة النضالية الأخيرة لانتفاضة أكتوبر أن هزيمتها كانت نابعة من أوهامها، أو بعبارة أخرى، انتصار لسيادة آفاق الوطنية أو القومية المحلية عليها، فقد أتت بحكومة الكاظمي التي لم ولن تحمل في جعبتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية أكثر مما حملتها الحكومات السابقة التي تشكلت بعد غزو واحتلال العراق.

ما ينبغي تعلمه من انتفاضة أكتوبر:

وبغض النظر عما آلت إليه الأمور، فتحت انتفاضة أكتوبر صفحة تاريخية من النضال في حياة الجماهير في العراق. إن الدرس المهم الذي ينبغي أن تتعلمه الجماهير، ولطالما تناولنا ذلك في (انتفاضة أكتوبر) وفي جميع أدبيات الحزب الشيوعي العمالي العراقي بإسهاب، هو التنظيم ثم التنظيم ثم التنظيم. إن أول نقد لانتفاضة أكتوبر هو نقد نزعة اللاتنظيم التي سادت في صفوف الجماهير، وخاصة في صفوف الشباب.

أما الدرس الثاني، فهو فصل الأفاق السياسية لأية حركة جماهير مطلبية عن آفاق التيارات البرجوازية وخاصة التيار الذي يسمى نفسه بـ (الوطني) الذي لا يحمل لا في جعبته ولا في برنامجه الاقتصادي والسياسي أكثر من نزعة المعادية للجمهورية الإسلامية في إيران، وكأنه إذا ارتدى في الأحضان الأمريكية ستمطر السماء المن والسلوى على العاطلين عن العمل وعمال العقود والأجور والنساء في العراق.

في الذكرى الأولى لانتفاضة أكتوبر 2019

والدرس الثالث، أن الاقتصار على التجمع واحتلال الساحات العامة ليس قدر أية انتفاضة، بل تكاد تكون مقتلها كما حدث في انتفاضة أكتوبر. إذ أن البرجوازية وقواها السياسية تستفيد من هذا الشكل النضالي، لحصر الاحتجاجات فيها، بينما جميع شركاتها وأعمالها وحركتها التجارية تجري بشكل طبيعي إضافة إلى حياتها اليومية دون أن تتعرض إلى أي تهديد. أي بمعنى آخر يجب التنويع بأشكال نضالية متنوعة ومختلفة منها تشكيل اللجان والتنظيمات المتنوعة في المحلات والأحياء وأماكن العمل والدراسة، وطرده المليشيات منها وغلق مقراتها، السيطرة على المجالس البلدية المحلية والبدء مباشرة بتنظيم أمور المحلات على صعيد الخدمات، انتخاب ممثلي الجماهير في تلك المناطق والمحلات كي يشكلوا سلطة إدارية وسياسية بحيث تفوت الفرصة على تلك القوى من إعادة ترتيب وتنظيم نفسها سياسياً، وذلك بتقديم نموذجاً كبديل سياسي بوجه البدائل التي تطرحها تلك القوى التي تسعى لصب ماء الانتفاضة في طاحونة مصالحها.

الدرس الرابع والجوهري الذي على الجماهير أن تتعلمه والذي أدى إلى نقص واضح في الانتفاضة، هو عدم انخراط العمال في القطاع الإنتاجي فيها، على الرغم من إبدائهم التأييد والدعم عبر تنظيم التظاهرات في أماكن عملهم، أو الاشتراك بشكل أفراد في احتجاجات وتظاهرات الانتفاضة، إلا أن ذلك الدعم لم ينبئهم إلى حركة احتجاجية اجتماعية عبر الاعتصامات وإيقاف دولايب العمل بحيث تتحول إلى جزء أصلي وأساسي ومحوري في الانتفاضة وتوقف تدفق الدم في جسد الطبقة البرجوازية الحاكمة وتعطل حياتها.

الأهداف النضالية النهائية لتفجير انتفاضة أكتوبر أخرى:

لم تحقق انتفاضة أكتوبر 2019 مطالبها، لم تصل إلى محطة الانتصار النهائية، ويجب على جميع القوى الاجتماعية التي شاركت فيها إدراك هذه الحقيقة، وعدم الانجرار في خلق أوهام بأنها مستمرة وما زالت شعلتها متوقدة، وإن تصوير هذه الأوهام بأنها حقيقة هو في جانب منه جراء سيادة الرومانسية الثورية وهو أقرب إلى الأمانى مما هو واقع على صف من الشباب، وفي جانب آخر فإن هذا التصور هو مجرد مساعي لقوى سياسية أخرى خسرت نفوذها في المعادلة السياسية كأحد نتائج الانتفاضة، وهي قوى الإسلام السياسي الشيعي ومليشياتها المدعومة من قبل نظام الجمهورية الإسلامية في إيران. مرة أخرى، تحاول هذه القوى الاستفادة من الذكرى الأولى لانتفاضة أكتوبر وتوظيفها عبر المشاركة في ساحة التحرير اليوم ورفع شعارات (المقاومة والممانعة) كي تسترد مواقعها ونفوذها وامتيازاتها التي خسرتها لصالح القوى البرجوازية المدعومة من أمريكا، من مثل جناح الكاظمي.

أن أكتوبر آخر يأتي عبر المضي بالنضال ودفعه بأفق تحرري ومساواتي من أجل تحقيق المطالب التي هبت الجماهير وقدمت التضحيات العظيمة والجسام من أجلها. أن الاحتجاجات الاجتماعية المستمرة في القطاعات المشاركة إليها هي الشرارات التي تفجر انتفاضة جديدة، فعلينا تنظيمها بأشكال مختلفة وربطها عبر شبكة نضالية واحدة، وتحت شعار إنهاء عمر العملية السياسية وشعار (أمان- حرية - خدمات- لا لأمريكا وإيران في العراق). ينبغي التنظيم ثم التنظيم حول الشعار أعلاه، والمطالبة بجوهر ما سعت إليها انتفاضة أكتوبر لتحقيق الآتي:

- حل العملية السياسية فوراً وتشكيل حكومة غير قومية وغير دينية تستند إلى الإرادة المباشرة للجماهير وممثليها في تجمعاتها ومجالسها في المحلات ومراكز العمل. يتمثل برنامجها الفوري بالتالي:

- إعادة العمل بالبطاقة التموينية بحيث تغطي كل الحاجات الغذائية وغير الغذائية الأساسية اليومية للمواطن.
- دفع بدلات البطالة لكل عاطل عن العمل من الإناث والذكور لمن بلغ من العمر ١٦ عام.
 - إنهاء كل أشكال العنف ضد المرأة وسن قانون فوري لحمايتها على جميع الأصعدة.
 - توفير الخدمات ويكون الكهرباء والماء الصالح للشرب في سلم أولوياتها.
 - حل الميليشيات قاطبة تحت أي مسمى كان، وغلقت جميع مقراتها.
 - محاسبة قتلة المتظاهرين ومنظمي الاغتيالات ومن يقف ورائهم عبر لجان تحقيقية يشترك فيها ممثلو انتفاضة أكتوبر وساحات التظاهرات وذوي ضحايا الانتفاضة.
 - تجميد الأموال المنقولة وغير المنقولة لجميع مسؤولي أحزاب السلطة والتحقيق العلني والشفاف عن مصادر أموالهم.

إن الحزب الشيوعي العمالي العراقي، وفي الوقت الذي يدعو الجماهير والقوى التي تجد نفسها شريكة مع هذه الأهداف الالتفاف حول هذه المطالب السياسية والعملية.

عاشت ذكرى انتفاضة أكتوبر!
عاشت ذكرى المضحين بدمائهم في انتفاضة أكتوبر من اجل عالم أفضل!
عاش نضال جماهير العراق من اجل الحرية والمساواة والأمان!

الحزب الشيوعي العمالي العراقي
نهاية أيلول 2020

نحو حركة عمالية مقتدرة في المجتمع

تصاعدت في الاونة الاخيرة ولا زالت احتجاجات عمالية واسعة في العديد من القطاعات العمالية في عدة مدن من العراق. فمن إضرابات عمال العقود في وزارة الكهرباء، عقود عمال وزارة الصناعة، العاملين في غاز البصرة، المحاضرين في وزارة التربية، عمال عقود واجور دوائر الماء، وعمال الشركات الاهلية و... إلى غيرهم. تتسع موجة الحركات الاحتجاجية هذه ارتباطاً بمطالبين أساسيين هما: تحويل عمال العقود الوقتيين على الملاك الدائم وصرف الرواتب المستحقة منذ اشهر، وعدم التسريح من العمل.

كل المؤشرات والدلائل تشير إلى أن هذه الحركات هي بشارة تصاعد وتنامي حركة احتجاجية مقتدرة تشمل وتضم ميادين وقطاعات عمالية اخرى. أن عمال العراق يمرون في ظروف اقتصادية ومعيشية صعبة للغاية، وقد وضعت تداعيات وباء كورونا ثقلاً جديداً على كاهل العمال. فمن التطاول اليومي على حقوقهم، الى الدوس على الضمانات والحقوق والحريات، و يزرعون تحت اعباء الافقار المتعاظم من جهة، وفي الوقت ذاته يرون ان القسم الاعظم من ثروات المجتمع تمضي لاقلية برجوازية طفيلية حاكمة، غارقة في الفساد والنهب والجريمة المنظمة.

وكالعادة، للرد على هذه الحركات الاحتجاجية المتعاظمة من قبل الطبقة الحاكمة، ثمة سبيلين: المماطلة والتسويف، المناورات والالاعيب، الوعود واشاعة الاوهام وحرف وعي المحتجين وشق صفوفهم الموحدة وغيرها، والآخر اللجوء الى التهديد والوعيد والعنف السافر والمستنر ضد العمال. بيد ان عمال العراق هم اليوم اوعى من هذا بكثير وأكثر ادراكاً لمصالحهم الطبقيه من جهة، وأكثر استعداداً لمقاومة سياسة السلطة الحاكمة التي تحمي الطبقة البرجوازية ممثلة بحثالاتها السياسية وهي سلطة الإسلام السياسي الغارقة بالنهب والسرقة والفساد.

ان سبيل الارتقاء بهذه الاحتجاجات وتحويلها الى حركة عمالية مقتدرة على صعيد المجتمع وان تتحول من خندقها الدفاعي الى خندق الهجوم، ليس من أجل مصالحها فحسب بل من اجل مصالح المجتمع برمته، يكمن بـ:

أولاً: التنظيم وتنظيمها لنفسها. لا يمكن للطبقة العاملة أن تنتصر في احتجاجاتها دون التنظيم، دون الصف الموحد والواعي والمتراص للعمال. ان ادامة هذا الشكل وانتظامه وتواتره، والارتقاء به عبر اشكال تنظيمية مختلفة بدءاً من التنسيقيات واللجان المركزية، والصندوق العمالي، ومروراً باللجان العملية، ولجان العمال في المحلات ومناطقهم السكنية او تشكيل النقابات، وانتهاء بتشكيل المجالس العمالية التي تستند على الاجتماع العام كما نراها على الصعيد العملي في عدة قطاعات ومواقع عمالية، هي خطوات لا غنى لها لفرض التنظيم العمالي الجماهيري والقاعدي الواقعي والمعبر

نحو حركة عمالية مقتدرة في المجتمع

المباشر عن مصالح و ارادة العمال على السلطة والحكومة القائمة التي تسعى بألف طريقة وطريقة لحرمان العمال من كل أشكال التنظيم.

ثانياً: توحيد الاحتجاجات العمالية وتحت لائحة عملية ومطلبية واحدة لحشد كل عمال العقود والاجور المؤقتين في عموم محافظات العراق وانخراطهم في هذه الحركة عبر تشكيل شبكة عمالية على الصعيد القطر كي تتحول الى قوة لا تقهر وإفشال اية محاولة من السلطة للانفراد بقطاعات معينة ومحاولاتها لدق اسفين في صفوف العمال.

ثالثاً: السعي لنشر الوعي العمالي حول مطالب العمال المؤقتين على صعيد المناطق ومحلات السكن لكسب تضامن الجماهير مع هذه الاحتجاجات عبر تشكيل فرق من نشطاء وفعالي هذه الاحتجاجات للترويج والدعاية وشرح مطالب العادلة للعمال المؤقتين.

رابعاً: التحرك الواسع من اجل كسب وضم سائر عمال العراق، أي العمالة الثابتة او ما يسمى بالملاك الدائم. ان تطور هذه الحركة الاحتجاجية مرهون بهذا التحرك ايضاً ليلتحقوا بها ويدافعوا عنها ويمارسوا ضغطهم على السلطة الحاكمة. إن هذه قضية العمال في كل موقع عمل، وليس العمال الوقتيين حصراً. إذ أن مصير العمال، الدائمين أو المؤقتين، واحد!

خامساً: كسب التضامن الاممي للاتحادات والمنظمات العمالية العالمية والأحزاب والقوى السياسية والشخصيات التحررية والتقدمية للضغط على الحكومة من اجل تنفيذ مطالب العمال المؤقتين وعبر آليات مختلفة مثل ايصال النداءات وبيانات وفيديوهات ومقابلات نشطاء وفعالي هذه الحركة الاحتجاجية الى العالم عبر شبكات التواصل الاجتماعي والوسائل الاعلامية المتاحة.

ان الحزب الشيوعي العمالي العراقي يقف في خندق واحد مع هذه الحركة الاحتجاجية، ويعمل بكل ما اوتي من جهد وقوة من اجل انتصارها وتحقيق مطالبها الراهنة والفورية.
عاش نضال عمال العراق!
عاشت الحرية والمساواة!

الحزب الشيوعي العمالي العراقي
١٥ حزيران 2020



خسرو ساية

"الاستقالة من الحزب

لا ترفع احد للفردوس!"

الاستقالة على أساس الشعور بالظلم والحقانية، تعريف نفسك بأنك أكثر ماركسية وشيوعية، أو تعد نفسك أكثر صدقاً وإخلاصاً للطبقة العاملة والشيوعية مقارنة بالباقيين في الحزب، وحتى مدح نفسك بوصفك ذا اختلاف عميق وقديم وذا هدف وآمال اكبر... ان هذا هو الوجه المشترك الذي نجده في نماذج الانشقاق التي جرت في الحزب الشيوعي العمالي. ولكن تبين ان مجمل الأحكام تلك لا تتعدى مساع لصياغة محفل جديد، وبعدها ترك حزب مخطئ وفاشل وبدون دور وغير شيوعي وغير عمالي، ولا يمكن العمل فيه أكثر. بموازاة هذه الحقيقة، نرى انه لم تخضّر نماذج هذا النوع من الاستقالات والابتعاد عن الحزب وحركة الشيوعية العمالية، بعد تكرارها لعدة مرات، ولحد الآن، نموذج أكثر تقدماً وطليعية، بل كانت بضرر الشيوعية واليسار وضرب اعتبارهما وتنامي تشتت وتبعثر أكثر لصف الشيوعيين.

ولكن، من حيث الأسلوب الذي اتبعه، وكذلك من حيث المبررات والأحكام والادعاءات التي أطلقها، تختلف الاستقالة الأخيرة للرفيق سامان كريم عن مثيلاتها السابقة. فلو قدم استقالته بصورة عادية، وودع الحزب ورفاقه، لم يبقى لي ولرفاق آخرين شيء سوى ان نتحدث ونكتب عن أسفنا وعدم ارتياحنا ونعبر عن احترامنا وتقديرنا لسنوات نضاله في الحزب، وتمني السلامة وحياة موفقة له. ولكن للأسف ان المبررات التي طرحها في رسالة استقالته أو الخطوة التي اتخذها لاحقاً على السواء،

" الاستقالة من الحزب لا ترفع احد للفردوس!"

حيث شرع بنشر بعض الأطروحات المناهضة لكلا الحزبين الشيوعي العمالي العراقي والكرديستاني وحركة الشيوعية العمالية والشكوك والغموض والتهيب الكبير الذي نثره في الميدان تحت اسم "ماركسية معاصرة"، وبغض النظر عن حقانيتها وتقاليد الشيوعية، أجبرتني على كتابة هذا الرد.

وأقول هنا، بوصفنا، إنا والرفيق سامان كريم، أمضينا سنوات مديدة من الكدح والتضحية، وبألف أمل وأمل مشرق ومصاعب وذكريات جميلة ومريرة وصعبة من أجل نضال الطبقة العاملة والشيوعية، أن قرار الاستقالة بالنسبة لي مبعث عدم ارتياح وانزعاج أكثر من أي شخص آخر، وذلك لأن استقالته، ورغم كل هذا التاريخ المديد، دون أي خبر أو خلفية وسابقة، ولم يفسح أي مجال للنقاش وتبادل الآراء أو منح فرصة لبعض، حتى إذا يقنعنا بأن الاستقالة سبيل صحيح ومؤثر، يشركني ورفاق آخرين معه ولا يسمح أن نتعقب "مشروع فاشل" ونضيق عمرنا. وللأسف، في الوقت الذي نرى الرفيق سامان لم يألوا جهداً في رسالة الاستقالة في كيل المديح والثناء لرفاقه، ولكنه من جهة أخرى لم يبدي أي مسؤولية لانتقال هؤلاء الرفاق من حفرة الفشل!! حتى ليس سابقاً، ولا إلى اليوم الأخير في الحزب، لم يخبر أي من الرفاق الأعزاء الذين عمل مع بعضهم لأربعة عقود بالسبب والنتيجة إلى بلغها!

انشقاق تحت ستار استقالة!

ينشد الرفيق سامان أن يصور الأمر على أنه قدم استقالة، بيد أن الأسلوب الذي اتخذه هو انشقاق محفلي ودعوة منه لحل الحزب. كيف هذا؟

بدءاً، بدون أي سابقة أو إبلاغ، فاجأ المكتب السياسي للحزب العراقي، في اجتماع له، مبلغاً إياه باستقالته بصورة شفوية من الحزب. بعث بعدها برسالة استقالته وحدد مهلة يومين للمكتب السياسي، وقال لهم أن استقالته ليست للنشر العلني، وسينشرها في وسط محدود. وبالتزامن مع هذا العمل، قدم الرفاق كامل احمد وعامر رسول استقالتهم للحزب، ولم تمضي سوى أيام، أعلن ثلاثتهم تأسيس جماعة ببيان من 12 أطروحة اغلبيتها ضد الحزب وإطلاق الأحكام ضده. إن هذا هو أسلوب شيوعية ماركس الذي أنهى به الرفيق سامان 30 عام من تاريخه بأيام مع رفاق "أعزاء ومبعث فخر!" الأدهى من هذا، وحتى هذه الساعة، بعث برسالة استقالته إلى أي شخص كان، صديق أو عضو حزب أو حركة الشيوعية العمالية. اتخذ أسلوباً أن يرسل رسالته إلى أي من يريد أو تصله أيديته دون أن يبقي فرصة للحزب لإعطاء رده على أولئك الذين وصلتهم رسالته. إن هذا العمل يناقض تماماً تقليد علنية النقاش السياسي والفكري، في الوقت الذي يدعي الرفيق سامان وجود "اختلاف عميق" وعميق إلى أبعد الحدود في رسالته. إن هذا الأسلوب الذي اتخذه لا يوفر فرصة أو مجال لتوضيح الاختلافات، ليس هذا وحسب، بل يكشف عن أسلوب محفلي، يعقبه توجيه ضربة لاعتبار الحزب. إن ما يبعث على الغرابة أكثر أن الرفيق سامان ينتقد بصورة صحيحة أسلوب استقالة الرفيق مؤيد احمد، ويسميها بـ"تقليد محفلي قوي"، ولكنه التجأ هو نفسه إلى العمل بالتقليد ذاته، بأسوأ أشكاله. إذ يورد في مقاله "كان بالوسع أن تقبوا ولا تذهبوا!":

" لا يمكن بعد 20-25 عام عضواً، لا في حزب، بل في نادي تودعه بهذا الشكل وتبلغ الحزب ورفاقك باستقالتك كأى إنسان آخر. إن هذا مؤشر خطر على وجود ثقافة وتقليد محفلي قوي... " (خط التأكيد مني)

ويمضي في المقال ذاته ابعده ويكتب:

" كان على الرفيق مؤيد ان ينصت للرفاق في اللجنة المركزية والمكتب السياسي ويعطيهم مهلة لذلك. بهذا الخصوص ان ينظر إلى طلبه وطلب الرفاق من الرفيق ريبوار احمد حين قدم استقالته. كان طلب مؤيد ورفاق المكتب السياسي واللجنة المركزية هو ان يؤجل إعلان استقالته. لقد اجلها عام كامل تقريباً بناء على عدة طلبات من القيادة. بيد ان الرفيق مؤيد لم يتماسك نفسه يوماً واحداً. زد على ذلك، منذ تشكل هذه الحركة فان أحزاب هذه الحركة في إيران والعراق وكردستان تدخلت دوماً حين بدأت بوادر مشكلات، ماذا جرى هذه المرة بحيث لم يفسح بأي مجال لذلك؟! ان لم يكن عدم الثقة بمبرراتهم وادعاءاتهم، فهل من سبب آخر لذلك؟! " (خطوط التأكيد مني)

ينبغي ان توضع الأسطر أعلاه أمام الرفيق سامان نفسه، كيف انه، في رده على مؤيد، انتفذه لأنه لم يعطي مجال ولا وقت كاف ليتحدث الرفاق بصورة كافية ووافية عن استقالته. حتى انه يذكر مؤيد بأسلوب استقالة ريبوار احمد عن الحزب العراقي، وكيف انه بناء على طلب الرفاق، "ومن بينهم الرفيق سامان نفسه"، عدة مرات وعدة أشهر، وبالتالي، وبناءاً على طلب رفاق المكتب السياسي، أجل الرفيق ريبوار احمد إعلان استقالته كي يهيئ الحزب نفسه ويعد رده بصورة مدروسة، وان لا تتباغت تنظيمات الحزب. هذا ناهيك عن انه، قبل عام من ذلك، لفت انتباه بلينوم اللجنة المركزية إلى: إذا استمر وضع الحزب على حاله، سيقدم استقالته، علماً انه تحدث في عدة رسائل وكتابات مبرراته.. بيد أننا نرى الرفيق سامان الآن وقد لجأ إلى أسلوب تخطى فيه الرفيق مؤيد بخطوات. انه لم يمنح رفاقه وقت كاف، ليس هذا وحسب، بل وضعهم تحت ضغط بتحديد يومين مهلة لهم. حتى انه في اليوم الثاني، وحين كانت هناك مساعي لحثه على سحب الاستقالة، قام بتحديد ساعة لذلك، "انتظر حتى الساعة 8 مساءً، وبعدها أرسل استقالتي لأولئك الذين أرسلها لهم!" يذكر الرفيق سامان مؤيد بأسلوب ريبوار وكيف انه تعامل بمسؤولية، ولكن اي أسلوب اتخذ هو نفسه؟ ورداً على هذا السؤال، لنلقي نظرة على استقالة الرفيق سامان، إذ يقول:

"كنت مستعداً للاستقالة منذ 2014.... كنت انتظر هذه اللحظة في أوقات كثيرة خلال ستة سنوات الماضية. اليوم بعد ان وصلت إلى آخر نقطة من قوتي في البقاء معكم"

يتحدث الرفيق سامان عن تحول الاستقالة من الحزب لعقده في داخله منذ 6 سنوات، ودون ان يتحدث ولو مرة واحدة مع رفاقه القريبين عنها ويتشاور معهم، كما لو ان هذه العقدة ليست ذا صلة بهم! للأسف "انتظر لحظة" اختارها، كانت لحظة كارثة كورونا، لحظة يحاصرنا الموت جميعاً. رأها أنها أكثر اللحظات مناسبة. بدلاً من ان يضع بصورة مسؤولة كل الأشياء جانباً، من اجل مجابهة هذه المصيبة والحيلولة دون عواقبها المخيفة الشاملة على المجتمع البشري، ويختار الانسجام القلبي ووحدة صف رفاق "أعزاء ومبعث فخر"، تراه يختار هذا الوقت لحل عقدة 6 سنوات حملها في قلبه. ان ما يبعث على عدم الارتياح أكثر هو انه في الوقت الذي يتحدث عن انه كان "على وشك الاستقالة خلال 6 سنوات"، كان في هذه الفترة نفسها وبصورة مستمرة احد أعضاء الهيئات القيادية للحزب، هل ان هذه مبدئية وأصولية سياسية وشيوعية ومسؤولة تجاه الحزب ورفاقك، بالأخص إذا شهدت السنوات الستة المذكورة فقدان رفاق لحياتهم جراء الدفع بهذه السياسة والممارسة الحزبية أو تلك والتي كان الرفيق سامان مشاركا في صياغتها وإقرارها؟ أو اي إحساس بالمسؤولية حين يتعرض رفاقك في بغداد والناصرية والبصرة، وفقاً لقرار وسياسة قيادة كان الرفيق سامان احد أعضائها، إلى مخاطر الموت، بيد انه وبدون ان يتحدث مع احد ليس "على وشك الاستقالة وإنما نادم على تأسيس حزبه!!"، ماذا يمكن ان نسمي هذا حقيقة؟ "لا اعرف ماذا اسمي هذا التقليد من التفكير والتعامل،

" الاستقالة من الحزب لا ترفع احد للفردوس!"

حيث عملت مع رفاق لك في حزب واحد لثلاثة عقود، فيما ليس لك قناعة ولسته سنوات بحزبك دون ان تتحدث خلال كل هذا المدة الطويلة أو تتناول بسطر واحد معهم عن هذا الأمر. الم يكن من الممكن، على الأقل، ان تتحدث مع رفاقك في الهيئة حول عدم قناعتك بالحزب، وتسعى لإقناعهم برأيك وتصورك حتى لا يعرضوا أنفسهم لمخاطر من اجل حزب "قد تبين فشله وكان تأسيسه خطأ"؟!

لم يكن الرفيق سامان خلال الستة أعوام مؤمناً بالحزب، وكان ينتظر، حسب قوله، فرصة لتقديم استقالته، لكنه سعى وانتقد رفاق مثل مؤيد بالقول: "لماذا تذهبوا ولا تبغوا!" ان ما يبعث على العجب أكثر ان المرء لا يفهم بأي موقف يعرف سامان. أيمن القول لأخرين "كان عليكم ان لا تذهبوا وتبغوا، ولكني أنا ذاهب"؟!

سبب انفصال الرفيق سامان، عدم إيمانه

بالحزب أم "الاختلافات العميقة جداً"؟

لا يذكر لنا الرفيق سامان النقطة الأساسية لاستقالته، كي يتمكن اي شخص من تقييم أساس قراره بصورة صحيحة؟ ان ما أتى باستقالته هو: من جهة يتحدث عن عدم إيمانه بالحزب لعدة سنوات من عام 2014 إلى يوم استقالته، ومن جهة أخرى، يذكر "خلافاته العميقة" مع الحزب، التي جرت خلال مرحلة عدم قناعته وإيمانه به التي استغرقت 6 أعوام، والتي بلغها، اي الاختلافات، حول جملة من المواضيع، واختلافاته الأخيرة التي جرت في البلينيوم 35 بحيث وصلت إلى نقطة سعوا معها إلى "حذف الطبقة العاملة من نظامنا الفكري"، ولهذا أصبح قرار انفصاله أمراً حتمياً. إذ ها هو يكتب: "كان البلينيوم الأخير مسرحاً لصراع فكري وسياسي جدير بالاهتمام حول الحركة العمالية و الانتفاضة الراهنة أيضاً " التسجيل الصوتي موجود". كان الاجتماع للجنة المركزية هذا مثيرة لجدل كبير في تاريخ حزبنا، حيث تم إخراج الطبقة العاملة ليس من معادلة القوة وهذا أمر طبيعي وفق توازن القوى الطبقيّة، بل حاولوا إخراجها من منظومة تفكيرنا نظراً لعدم حضورها في الميادين والشوارع... (وامتداداً لهذا الكلام) " كنت في خلال كل هذه السنوات، مستعد لهذه اللحظة" ... اي بعد البلينيوم 35 "بلغ إخراج الطبقة العاملة من منظومتنا الفكرية!!" (خطوط التأكيد مني) قبل اي شيء آخر، أسأل: هل انه أسلوب شيوعي ان تحكم على حزب بـ"السعي لإخراج العامل من منظومتنا الفكرية"، حزب يعرف مجمل فلسفة تأسيسه ونشاطه الطبقة العاملة وحركتها، دون ان يقدم برهان ومستمسك واضح لهذا الحكم؟ هل ثمة قرار أو وثيقة أو سياسة مدونة أو معلنة لإثبات هذه التهمة والحكم، كي تستطيع ببساطة ان تبلغ مثل هذا الاستنتاج؟ إذا كان كذلك، لم لم تتخذ موقف مباشرة اثر هذه "المساعي"، ولم تقدم استقالتك؟ أو كيف بعد ان سعي إلى "إخراج العامل من منظومتنا الفكرية"، تسلمت رئاسة لجنة التنظيم المركزي للحزب؟! هل بوسع هذا ان يبين شيئاً ماعدا الدعاية لنفسك وللإستقالة من الحزب، وبأن الحزب لم يبقى نصيراً للعمال، وان تصبغ، عبر هذه الطريقة، خطوتك اللاحقة بصبغة عمالية؟

الأدهى من هذا، ان ما تكشف عنه نقطته غير الصحيحة وغير المنطقية هي ان الرفيق سامان سعى إلى تبرير استقالته بأساس أنها أتت امتداداً لعملية توضيح "اختلافاته العميقة"، في الوقت الذي قبل ان يشرع بهذا العمل، كان لا يؤمن وليس لديه أمل وبلغ قناعة الإستقالة من الحزب، وبقي في الحزب

بصورة مؤقتة جراء تكليف الآخرين وبعض الأمور الأخرى. وان هذا لا يوصله للحديث عن الاختلافات بوصفها سبب الاستقالة هي أمر غير ضروري فحسب، بقدر ما أنها ضرورية لإظهار نفسه أكثر بوصفه شخص منظر ويتحدث لنا عن انه بلغ الاستقالة امتداداً لتبيين اختلافاتنا!!

إذا كانت "مبررات استقالته" هي وجود اختلافات، فان كل الخلافات التي يذكرها لا تكفي ان تكون مبرراً للاستقالة والانفصال من الحزب، بل بوسعه، بكل اختلافاته، ان يبقى في الحزب، ويقوم بدفعها بصورة حرة، بل حتى بوسعه ان يشمر عن ساعديه ويتسلم مسؤولية، ويرشح نفسه لأعلى منصب حزبي، ويكافح من اجل نيل هذا المنصب وي طرح "خلافاته العميقة" كي يحولها إلى سياسة رسمية لمجمل الحزب، أو ان يبلغ بصورة أصولية وواقعية للاستقالة على غرار نموذج الرفيق ريبوار ومواجهته لمؤيد. ورغم هذا، علي ان أقول ان الرفيق سامان في مهلة اليومين التي منحها للحزب، وضع شرطاً لسحب استقالته ليس له اي صلة بهذه الأسباب التي ذكرها كدليل لاستقالته. ولكن لنلقي نظرة ونرى ما هي هذه "الاختلافات العميقة" للرفيق سامان؟

هل أن "الاختلافات العميقة" تمنح حقانية لهذا الانشقاق؟

لا، دون شك... في رسالة استقالته، وردت قائمة من المواضيع التي وفق روايته، بعضها "اعتبر موضوعاً حزبياً" ويبرز بعضها الآخر بوصفها "اختلافات عميقة" كي يقول لنا ان وراء "الاختلافات العميقة" أمور فكرية وسياسية، وعليها، عمق ورسخ مجموعة من المواضيع الماركسية في الحركة، دون أدنى ذكر لذلك النقد والمجادلات التي جرت حول قسم كبير من هذه المواضيع، سواء الداخلية أو على الصعيد العلني التي واجهها الرفاق.

كان للرفيق سامان دون شك اختلافات في تصورات ومواقف سياسية مع الحزب والعديد من الرفاق الآخرين، الذين هم على صعيد حركة الشيوعية العمالية، وكذلك، والأدهى من هذا، كان له "خلافات عميقة جداً" مع نفسه، بحد كان له أمام موضوع واحد رأيين وموقفين يناقضان بعض تماماً. ولكن دون ان تتخذ هذه الاختلافات مكانة ايجابية في حزبنا وحركتنا، وعبر تلك القضايا التي كان له فيها رأيين مختلفين بصمت ولم ينتقدها بصراحة. ولأقلب هنا صفحات بعض المسائل كنماذج على هذه المواضيع حتى تتبين الحقائق أكثر:

1/ حملة أمريكا على الموصل. حول هذا الموضوع، بالبداية نشر كلا الرفيقان مؤيد وسامان (كانوا في وقتها سكرتير الحزب وعضو المكتب السياسي على التوالي) مقاليتين بصورة مستقلة ودون الرجوع لهيئاتهم، وطرح كلاهما سياستهم الشيوعية تجاه هذه الحرب برفع شعار "ينبغي إيقاف الحرب!!" وبعدها، واستناداً إلى هذه الشعار، أعلن الحزب العراقي موقفه في بيان. قدس الرفيق سامان هذا الشعار بحيث تحدث:

"ان السياسية الماركسية في هذه المرحلة هي: "ينبغي إيقاف الحرب". بالنسبة لقوة شيوعية وماركسية، تمر الثورة العمالية في هذه المرحلة التاريخية المحددة عبر هذه القناة. عبر هذا السبيل، ينفذ التكتيك الشيوعي في هذا المقطع" (مقال ينبغي إيقاف هذه الحرب/ سامان كريم/ خطوط التأكيد مني).

وبهذه الطريقة، أصبح شعار "ينبغي إيقاف الحرب" إستراتيجية عملية للثورة العمالية وتكتيك شيوعي على السواء! في الوقت الذي لا يتعدى تاريخ هذا الشعار في الحركة الشيوعية ان يكون تكتيكاً لإيقاف

" الاستقالة من الحزب لا ترفع احد للفردوس!"

الحرب ودرء عواقبها الضارة على نضال واحتجاج الجماهير العمالية والكادحة (هذا في حالة كان الشعار صحيحاً تجاه اي حرب محددة). ولكن من أين أتت هذه السياسة المختلفة للرفيق سامان؟

في حرب الموصل، تمثلت سياسة كلا الحزبان بإدانة الحرب والتصدي القوي لهذه الحرب. إن محتوى هذا الموقف قد تم تبيانه هناك في البيان بأننا لا نعتبر حرب الموصل حرباً من اجل القضاء على داعش، ونعتبرها حرباً تضع مدينة من ملايين الناس في محرقة حرب وبهدف إبراز تفوق الأقطاب البرجوازية العالمية والقوى التابعة لها في المنطقة. بيد أننا نعتبر حرب تدمير وإلحاق الهزيمة بداعش في تلك المناطق التي يسيطر عليها، حرباً وعملاً ثورياً للجماهير. في الوقت الذي يعني شعار "ينبغي إيقاف الحرب" إيقاف جميع الحروب، ومن ضمنها الحرب على داعش.

بعبارة أخرى، وان كنا نتشاطر والرفيق سامان بنقطة مشتركة إلا وهي كوننا ضد حرب الموصل وأدان كلانا الحرب، ولكننا نعتقد انه ليس صحيحاً إيقاف الحرب بالشكل الذي يطلبه الرفيق سامان، تاركين ملايين المواطنين فريسة حكم سيف داعش، يرسفون في أوضاع كارثية وتبقى داعش خطراً على حياة الجماهير وأمانها. ينبغي تدمير داعش والخلاص منها، وليس هناك شك ان مثل هذا العمل لا يمكن ان يتم دون عمل عسكري. فيما يخص شعار "ينبغي إيقاف الحرب"، يعني الرضا ببقاء وضع وبقاء حكم داعش لمدينة الموصل. وبهذه الطريقة، ينكر الرفيق سامان اي نوع من الحرب على داعش، في الوقت الذي تؤكد فيه ان حرب تحطيم داعش هو عمل الجماهير المضطهدة والتحررية. وفيما يخص مكانة سياسات الدول أيضاً، تؤكد على ان عقدهم للصفقات مع داعش هو أمر مدان، وليس معاداة وضرب داعش. حتى ان اي قوة أو طرف يشن الحرب على داعش فعلاً لا يمكن إدانته. كان هذا جوهر الاختلاف ما بيننا.

2/ موضوع الاستفتاء. وجه مسعود البارزاني مرتين نداءً نحو استفتاء الاكراد. الأولى في عام 2014، عبر الاستفتاء من وجود داعش، طرح مسألة الاستفتاء في أفواه وسائل الإعلام، وكان هذا على أساس التفوق العسكري للبيشمركة مقارنة بالجيش العراقي، واستغلالاً لفرصة مهاجمة داعش للموصل ومدن عراقية أخرى وعجز الجيش العراقي عن المقاومة وهزيمته. كان استفتاء ذلك الوقت يفتقد إلى اي شروط استفتاء، وبقي عملياً في إطار الدعاية فقط. في ذلك الاستفتاء، كان الرفيق سامان يعتقد بان الاستفتاء سيقام، وأكد بشكل قوي على ان الشيوعية ان تدعم وتساند الاستفتاء.

الثانية في عام 2017، طالب مسعود البارزاني مرة أخرى بالاستفتاء، وكان هذا في أوضاع اهدأ بعد هزيمة داعش. بيد ان الرفيق سامان لم يكن يعتقد ان يقام الاستفتاء، وراهن على عدم إمكانية إجرائه. كان يستند تصوره هذا إلى تقييمه للمسارات السياسية والعسكرية للمنطقة والعالم، إذ بلغ نتيجة مفادها عدم إمكانية عقده وانه لا يتعدى دعاية إعلامية، وان مسعود البارزاني سينسحب في الأيام الأخيرة! حتى انه كان يعتقد إذا اجري الاستفتاء، فانه لن يقام في المناطق المتنازع عليها، وراهن على ان في غضون أسابيع قليلة سيثبت مسار الأحداث صحة تصوره. بينت مجمل تلك التنبؤات التي قام بها الرفيق سامان عن عدم صحتها، وبعدها، لم يجعل نفسه صاحباً لكلامه هذا، ولم يقل شيء عنها. ولكن طالما انه لحد اليوم مثل ما كان يفكر إبان مناقشة موضوع الاستفتاء ويعتبر هذه السياسة "توجهاً قومياً"، لا يضر ان نفضّل بالموضوع:

لا اعرف إلى اي حد يقر الرفيق سامان بهذا الخطأ والتناقض الذي ارتكبه فيما يخص موضوع الاستفتاء، وبالأخص انه لم يختلف مع سياسة الأحزاب الشيوعية العمالية فحسب، بل اتخذ نفسه موقفاً

متناقضاً وبعدهما كلاهما سياسة شيوعية، سياستان مناقضتان ومعارضتان لبعض: في الاستفتاء الأول في عام 2014، حينما سعت القومية الكردية استغلال فرصة الهزيمة العسكرية للحكومة المركزية أمام داعش، ونوعاً ما بالتنسيق مع داعش، تعقبت هدف نيل حصة اكبر. في ذلك الوقت، كان البارزاني يقول "ليس لداعش صلة بنا وليس لنا صلة بداعش. الموصل وسكان تلك المنطقة التي سقطت بيد داعش، لنكن بيد داعش، وكركوك والمناطق المتنازع عليها لنا". في حينه، قلنا ان في وضعية مثل هذه لا يعد الاستفتاء أمراً صحيحاً وحقيقياً، بل سيكون استعراضاً ومسرحية فقط لعمل قد حسم بالسلاح سابقاً. لكن الرفيق سامان كان يصر في مقالة له باسم "انفصال كردستان والسياسة الشيوعية" بصدد استفتاء هذه المرة، على ان حتى لو كان الاستفتاء سياسة القوميين والحزب الديمقراطي نفسه ويرسي دولة قومية، فان هذه نقطة مشتركة بين سياسة الشيوعيين والبرجوازية، ومبعث دفاع الشيوعيين. إذ كتب:

" في الختام أود ان اكتب كم سطر حول كون هذا الانفصال والاستفتاء سياسة القوميين أو الحزب الديمقراطي!! من الممكن ان يكون الأمر كذلك، ولكنني، ولحد الآن، لا أرى الأمر كذلك، الحزب الديمقراطي منهمك بتشكيل الحكومة في بغداد، ومنذ 15 من الشهر اتفقت القوى الإسلامية والقومية على تشكيل حكومة بغداد. ولكن لو افترضنا ذلك. أنها ليست المرة الأولى في التاريخ التي تتفق سياسة شيوعية وسياسة برجوازية في نقطة" (خطوط التأكيد مني).

في الاستفتاء الثاني في عام 2017، حين لم يبقى خطر داعش، دعا مسعود البارزاني مرة أخرى إلى استفتاء، ولكن الرفيق سامان وقف 180 درجة بصورة مختلفة عن موقفه الشيوعي الأول، بالضد من الاستفتاء:

"موضوعة هذا الاستفتاء المحدد في أسسه الأساسية، موضوعة الحزب الديمقراطي والبارزاني وتاريخ هذه القوة، ان اي طرف أو قوة لا تضع تاريخ هذه القوة والسياسة والممارسة بوصفها قوة برجوازية كردية، يرتكب خطأ كبيراً تجاه الأغلبية الساحقة لجماهير كردستان..."

ان السؤال المطروح هو: اي من الموقعين الذين صاغ كلاهما باسم سياسة شيوعية هو موقف شيوعي؟! في الوقت الذي يقول هو نفسه ان الاختلافات بينهما هي "اختلاف عميق جداً؟! فيما يتعلق باستفتاء 2014، كيف ان الرفيق سامان لا يتحدث حينها عن "الحزب الديمقراطي والبارزاني وتاريخ هذه القوة، ان اي طرف أو قوة لا تضع تاريخ هذه القوة والسياسة والممارسة بوصفها قوة برجوازية كردية، يرتكب خطأ كبيراً، بالضد من الأغلبية الساحقة لجماهير كردستان"... ولا يعطي اي قيمة وأهمية لهذا التصور، ولكن فيما يخص استفتاء 2017 يجعل منه أساس لرفض الاستفتاء ويعتبر تأييد حزبه للاستفتاء سياسة قومية؟! هل جرى تغيير جوهرى إلى هذا الحد على ماهية وتاريخ الحزب الديمقراطي والبارزاني خلال السنوات الثلاثة؟! اترك جواب هذا السؤال للرفيق سامان.

3/ فيما يخص حرب كوباني، حين كان الوضع على أعتاب سقوط كوباني، وان تتكرر تلك الكارثة التي جرت في سنجار، وان تجري عملية قتل جماعية للناس المدنيين وسبي النساء كغنيمة حرب، يقول الرفيق سامان:

" في المطاف الأخير، ثمة سؤال بسيط: إذا انتصرت كوباني، ماذا يجني الشيوعيين وماذا يحصلوا؟! وإذا احتلت كوباني، ستكتب الشجاعة والشجاعة للقوميين، سواء أكان حزب الاتحاد الديمقراطي أو اي حزب آخر لهم" سامان كريم/ مقال داعش وكوباني وتنامي القومية!

" الاستقالة من الحزب لا ترفع احد للفردوس!"

ان المعنى الضمني للتصور أعلاه هو سواء سقطت كوباني أم لم تسقط ليس له صلة بالشيوعية. وان يكن بصورة لفظية تحدث عن دعم جماهير كوباني، ولكن من زاوية شيوعيته، انه طالما لقوة قومية مثل حزب الاتحاد الديمقراطي له دور وليس الشيوعيين، ليس للقتل الجماعي للجماهير العزلاء ولا سبي النساء كغنيمه حرب قيمة وليس لها صلة بالشيوعية، وليس هناك ضرورة لحرب مقاومة لكارثة مثل هذه. والآن يريد في رسالة استقالته ان يدون اسمه بفخر، إذ يقول:

فيما يخص حدث "الدفاع عن كوباني... اتخذنا سياسة مختلفة على صعيد الشيوعية العمالية، ليس على صعيد حزبنا، بيد ان انعكاس هذه الاختلافات كان واضحاً على قيادة حزبنا".

لا اعرف التأثير الايجابي لهذا الاختلاف على قيادة الحزب العراقي، لأنه لا يورد اي شيء ملموس بهذا الصدد، ولا يقدم هو نفسه اي إثبات أو وثيقة، ولكن ما اعرفه ان الرفيق سامان جعل من المسؤولية الاجتماعية للشيوعية قربان وضحية موافقه الإيديولوجية، والتجأ إلى: طالما ان مقاومة كوباني ليس بقيادة الشيوعيين، فان السياسة الشيوعية تتلخص بـ "ماذا يجني الشيوعيين إذا انتصرت وماذا يضعوا في جيوبهم؟! وإذا احتلت كوباني فان الشجاعة والجسارة ستكتب مرة أخرى للقوميين". ان تصور مثل هذا لا يترك مكاناً لدعمه لكوباني، ولا يعتقد ان تكرار كارثة سنجار له ربط بالشيوعية. من المناسب هنا ان اذكر بهذا الخصوص تصوراً يسعى من وراء دعم كوباني والدفاع عنها، إضفاء سمة يسارية على حزب الاتحاد الديمقراطي وتشبيه كانتونات تلك المنطقة بالكومونات وحرب كوباني بكومونة باريس. يتعارض هذا الموقف والتقييم كلياً مع موقف وسياسة أحزاب حركتنا. ان حرب الدفاع عن كوباني كانت مبعث دعم كبير من زاوية التصدي لبربرية داعش والدفاع عن الملامح والمعايير المدنية ومن زاوية عدم السماح لتكرار كارثة أخرى مثل سنجار هناك. لم يكن مهما اي طرف نظم لهذه الحرب وقادها.

4/ فيما يخص قضية كركوك. كتب الرفيق سامان في رسالة استقالته:

بعد هذا أنت قضية كركوك، وان كانت هذه القضية داخلية في الحزب، لهذا نشرت انتقادي على صعيد اللجنة المركزية. نيهت الحزب إلى التوجه القومي لهذا القرار الذي تقرره. وهو القرار الذي كان قد طرحه الحزب الشيوعي العمالي الكردستاني..."

بدءاً، وفق اي رؤية، اصدر الرفيق سامان حكمه بـ"التوجه القومي" لهذا القرار؟ في بداية رسالته التي أرسلها للجنة المركزية للحزب العراقي، يقر ان مشكلته مع "أسس ومنطلق" القرار، وليس الخطوات اللاحقة في القرار. لنرى ماذا يقول حول "أسس ومنطلق" القرار:

"الأول: أسس الأول. السطر الأول من القرار هو: "ان السبيل الحل النهائي لقضية كركوك مرتبط بسبيل الحل النهائي لقضية الكرد." بمعنى ليس هناك حل آخر وسبيل أخرى غير حل قضية الكرد لحل قضية كركوك، وهذا منطلق قومي بالأساس. مثلاً لماذا لن يرتبط بإسقاط الحكومة العراقية وارساء حكومة بإمكانها ان تحل هذه القضية عبر إخراج كركوك و العراق كله من الدستور القومي والائتي و الديني... للمثال فقط، وايضا للمثال، لماذا لن يرتبط بالحكومة العمالية..."

الثاني: الاسس الثاني: القرار في مقطعه الثاني يقول " ان الخطوة التالية لعملية حل قضية الكرد في العراق، بعد اجراء استفتاء 2016 وتصويت أغلبية جماهير كردستان بالانفصال، يتمثل بإرساء دولة مستقلة. بعد إرساء دولة كردستان المستقلة، من الضروري اجراء استفتاء خاص لإبداء مجمل قاطني

كر كوك برأيه... "" خط التأكيد مني/سامان".
هنا أصبح استفتاء 2016 الذي قاده بارزاني مقدسا، أصبح مقطعا تاريخيا علينا نحن نستند عليه.
لماذا مثلا ما نقول تم اجراء الاستفتاء في ظروف غير مواتية ونحن كحزب لا نقبل بنتائجه مثل ما
نقول مرات كثيرة حول اجراء الانتخابات البرلمانية..". (خطوط التأكيد مني، خسرو).

في كلامه أعلاه يعتقد الرفيق سامان، أولا، طالما ان القرار يرهن المصير النهائي لقضية كركوك
بالحل النهائي لقضية الكرد، ولا يرى اي سبيل آخر، فانه يطلق بصورة تلقائية حكم قومية منطلق
القرار؟ بيد ان حكماً من هذا القبيل ليس فيه صحة أو حقانية حتى ولو ذرة. وذلك لان اي إنسان بسيط
يعرف جيداً ان قضية كركوك هي نتيجة بروز المعضلة القومية، وان لها مكانة مركزية في تاريخ
الصراع ما بين الحكومة العراقية والأحزاب القومية الكردية، بحد بحيث يستحيل فصل كلا المعضلتين
عن بعض، وينبغي إيجاد سبيل حل لكلا القضيتين ارتباطاً ببعض. لم نخلق، نحن الشيوعيون، هذا
الواقع، ولا نحب ان تكون الأمور كذلك. ما هو ذنبنا ان لا يرى الرفيق سامان هذا الواقع، وي طرح لنا
سبيل حل لقضية كركوك لأصلة لها قط بقضية الكرد.

ثانياً، يسأل لماذا ان حل قضية كركوك مرتبط فقط بقضية الكرد. وعلى سبيل المثال، لماذا ليس
مرتبط بإسقاط النظام وإرساء دستور علماني وحكومة عمالية. يبدو ان الرفيق سامان لا يؤمن ان
هناك قضية قومية في العراق باسم قضية الكرد، أو انه ينظر لها كأمر بسيط جدا، وإلا فان مهمة
الشيوعيين تتمثل في جميع الأحوال بوجود إيجاد سبيل حل سياسي لهذه القضية. حتى في حالة
إسقاط النظام والإتيان بحكومة علمانية وغير قومية، ينبغي مرة أخرى حل قضية الكرد عبر سبيل
سياسي، اي حلها عبر الاحتكام إلى رأي الجماهير، وإلا فان سقوط النظام وإرساء العلمانية لا تحل
من ذاتها وتلقائياً القضية. أما فيما يخص رهن حل قضية كركوك بالحكومة العمالية، وبالإضافة إلى
كونه افتراض غير صحيح ويعقبه إشكالات جدية من الناحية النظرية، ولكن مرة أخرى حين ينتزع
العمال السلطة وإحلال حكومة عمالية، ينبغي مرة أخرى طرح سبيل حل لهذه القضية. وبهذا
الخصوص، يعد حل لينين والحكومة العمالية في روسيا للمعضلة القومية في هذا البلد نموذج ومثال
واضح. ان ما يعتبره الرفيق سامان بربط قضية كركوك بقضية الكرد توجهاً قومياً، ويدعو إلى:
لماذا لا تربط حل هذه القضية بالحكومة العمالية، في الوقت الذي هو مطلب غير صحيح وغير
منطقي، فانه تصور ينظر إلى حل القضية القومية عبر الاشتراكية فقط ... (انظر إلى مقالة الاستفتاء
والاستقلال، اي سياسة شيوعية! رد على الرفيق سامان).

ثالثاً، في النقطة الثانية، يرى الرفيق سامان "توجهاً قومياً" في قرار كركوك لان القرار ربط الحل
بموضوعه استقلال كردستان والاستفتاء الذي صوتت فيه أغلبية جماهير كردستان لصالح انفصال
كردستان. بيد انه يعتقد ان الاستفتاء وتصويت الجماهير للاستقلال، هو "استفتاء الحزب الديمقراطي
الكردستاني والبارزاني"، وان هذا لا يتعدى تكرار حكم وتصوير إيديولوجي، كتبنا العديد من المقالات
سابقاً بالصد من هذا التصور، ولهذا لا نرى ضرورة تناولها مرة أخرى.

ولكن بغض النظر عن النقاط أعلاه، ان المعضلة الأساسية للرفيق سامان هو ذهنيته الإيديولوجية
التي لا تسمح له بالنظر للوضعية التي تناولها القرار. ان الوضعية التي أعقبت أحداث 16 أكتوبر
والهجوم العسكري للجيش العراقي والسيطرة على كركوك عبر السلاح وتشرد وهجرة أهالي
كركوك، وضعية تصاعدت معها النعرات القومية ودعاوى الأحزاب القومية لا عادة سلطتهم للمدينة،

" الاستقالة من الحزب لا ترفع احد للفردوس!"

وضعت مصير جماهير مدينة كركوك أسرى قلق وانعدام أمان ومخاوف. كان القرار مسعى ل طرح سبيل حل سياسي لهذه الوضعية، سبيل يستند إلى مبدأ إحالة حياة وأمان المدينة وإدارتها إلى الجماهير نفسها، إقامة ممثلات مجالس المدينة واستلام القضية الامنية والمسلحة للأحزاب وتأمين الحريات و... العسكرتارية وعدم فسح المجال لتواجد القوى الامنية والمسلحة للأحزاب وتأمين الحريات و... خطوات أخرى.. وهذه تمثل الخطوط الأساسية للقرار. وبدلاً من ان ينظر الرفيق سامان للمسؤولية الإنسانية تجاه الوضع، وي طرح سبيل تدخل شيوعي أمام الحزب، كان منهمكاً بحسم معضلاته الذهنية على شاكلة "قضية الكرد وانفصال واستفتاء البارزاني"، لقد تناولت حركتنا هذه القضايا بكثرة. ليس مهما بالنسبة له الضائقات التي تمر بها المدينة بقدر إضافة نقطة إلى قائمة اختلافاته، ويتحفنا بان " لهم توجه قومي!" في الحقيقة اي تعامل مسؤول وشيوعي هذا؟! ليس لك بديلاً لقضية يرسف في ظلها مئات آلاف من الناس، وتأتي رغم هذا وتنتصب بوجه مساعي رفاقك بوصفك معارض منتقد، وتكتب هذا بعد عدة سنوات بفخر؟

5/ حول انتفاضة مدن العراق. يتحدث الرفيق سامان:
"ان تعامل قيادة الحزب مع الانتفاضة، من الناحية العملية، كثورة، ولكن في بيانات ومواضيع الحزب، نادراً جداً ما نسمع أو نقرأ أنها ثورة"

في الحقيقة ان هذا التعبير هو اقرب لعتب منه لـ"اختلاف عميق" بهذا الصدد. حتى انه أدرج هذا الموضوع في قائمة اختلافاته دون ان يدلي برأيه حوله، ولكنه، وبوضوح، يتحدث عن هذا في مقال تحت عنوان "مطالب الجماهير، تشيات إلى حركة سياسية مضادة لهم". يقيم هذه الاحتجاجات بوصفها "لعبة برجوازية"، وأعلن ان لأصله لها قط بمطالب الجماهير العاطلة والمحرومة، إذ ها هو يقول:

"الحركة السياسية الحالية لا علاقة لها بمطالب الناس بأية صورة من الصور. تقودها شبح، تنظمها شبح آخر، تمولها شبح عبر فيسبوك وتويتر ... هذه الأشباح التي تصنعها البرجوازية، أو أطرف من أطرافها تكسر أو تدمر الطاقة المعنوية للجماهير، خصوصاً ان تلك الاحتجاجات أصبحت متكررة...ولا يتحقق شيئاً.

هذه حركة سياسية لا علاقة لها بمطالب الناس و الجماهير، لا علاقة لها بتوفير فرص العمل و لا ضمان البطالة و لا ولا. الجماهير تموضعت فيها اي في هذا القالب الذي رسمتها البرجوازية. بهذا المعنى تشيات الحركة باسم الاحتجاجات و هذه هي لعبة برجوازية ذكية خلال العقدين الماضيين، حيث الساحة خالية من قوة ثورية عمالية تنشد لتغيير الجذري".

ان تصورات الرفيق سامان تتحمل حديثاً كثيراً، لا يستطيع هنا للأسف تناولها. ولكن أرى من الضروري ذكر بعض النقاط باختصار: أولاً، ان كلامه أعلاه هو منظور وتعامل إيديولوجي تجاه حركة جماهيرية محقة، حتى انه لا يقول بصراحة ان هذه حركة رجعية ولا تستحق دعم ومساندة الشيوعيين وتدخلهم. ثانياً، ان إطلاق حكم ان هذه الحركة صنيعة ولعبة برجوازية، اي بمعنى إنكار وعدم رؤية الأرضية الطبقية والاجتماعية للحركة التي انبثقت من رحم اللامساواة الاقتصادية من اجل الخبز والعمل والخدمات، بوجه منظومة وسلطة رجعية وإسلامية، فاسدة وطائفية. ثالثاً، ان معيار الرفيق سامان لتصوراته هي ان "الساحة خالية من قوة عمالية ثورية"، خلف هذا المعيار تكمن منشفية صرفة في السياسة. اي حين يكون التحرك صنيعة البرجوازية، وليس هناك قوة ثورية

عمالية، عندها على الشيوعيين ان يبقوا في انتظار ودون تدخل إلى ان تأتي الساعة التي على مرامهم!! ان الرفيق سامان لا يأخذ بنظر الاعتبار الآليات والقدرات التطبيقية للتحرك وجماهيره، وطالما لا تتطابق مع الصورة التي في ذهنه ومقاساته للحركات الجماهيرية، وان اي أمر لا يماثل هذه اللوحة، ولا تأتي وفق مقاساته، يعدها لعبة وصنيعة البرجوازية.

6/ ان آخر المواضيع التي يردها الرفيق سامان حول اختلافاته العميقة هو موضوع فيروس كورونا. إذ يقول:

"بهذا الخصوص، لم يصدر الحزب بيان رسمي يدعو الجماهير المنتفضة إلى إنهاء تجمعاتهم درءاً لانتشار المرض. من زاويتي كان تعامل الحزب مع هذا الحدث تعاملًا شعوبياً تماماً" في هذه النقطة أؤيد الرفيق سامان في رأيه يكون على المكتب السياسي للحزب العراقي في وقته ان يصدر بيان على هذه الشاكلة جراء مخاوف الإصابة بالفيروس. وهو الأمر الذي قامت به القيادة لاحقاً. ولكن هناك مسالتين تبعث على العجب في نقطة الرفيق سامان هذه: أولاً، ان الرفيق سامان، وبعد ترك الحزب مباشرة وجه نداءً مناقضاً لموقفه في مقال دعا فيه إلى "اخرجوا من بيوتكم!"، وذلك استناداً إلى ان التصور الداعي إلى "ابقوا في بيوتكم" هو برجوازي! وبعدها، باسم جماعته الجديدة، اصدر بيان "الطبقة العاملة وكورونا"، وتحت ضغط الانتقاد الذي تعرض له مقاله السابق، سحب شعار "اخرجوا من بيوتكم"، ولم يقل شيئاً حول مبرر خطوته هذه! (للاطلاع على حقيقة الأمر، بوسع القارئ ان يعود لكلا المقاليتين). ثانياً، في الوقت الذي يعتبر الرفيق سامان هذه الحركة الاحتجاجية "لعبة برجوازية" ويرى ان من يقف خلفها "أشباح"، لماذا إذن يعتقد ان إصدار الحزب لبيان هو مهم لهذا الحد حتى يقول للجماهير اذهبوا لبيوتكم؟ إذا كانت لعبة برجوازية وان أشباح تقف من خلفها، لن يكون لبيان الحزب اي دور، ولماذا يجعل منها قضية لا أهمية لها ولا دور في ان تكون مبرر لاستقالته؟!

إذا نستنتج من كل النقاط المطروحة أعلاه التالي:

أولاً، نحن والرفيق سامان على اختلاف دون شك في المواضيع التي ذكرها في استقالته، بيد ان التصور والسياسة التي عبر عنها في هذه الاختلافات لم تتخذ مكاناً في الحركة الشيوعية والنضال العمالي بوصفها تقدماً سياسياً وفكرياً، بل ان ما خلقته هو إشاعة انعدام الوضوح والنتية وبالتالي إلى إلحاق الضرر بالانسجام السياسي والفكري والروحية المتدخلة والمسؤولة للشيوعيين. وفي الحقيقة، مهما سعى الرفيق سامان إلى تغطية استقالته بورقة "الاختلاف العميق" ليس بوسعه إخفاء مساعي انشاقه في الحزب الشيوعي العمالي العراقي. ان هذا خطئه ويقع على عاتقه للأبد.

ثانياً، ما أود قوله هو ان رغم كل هذه الاختلافات التي تحدثنا عنها، فان بقاءه في الحزب كان ممكناً، حتى ان ليس هناك أمراً أكثر طبيعية من وجود مثل هذه الاختلافات في الأحزاب الشيوعية الملتزمة بالتقليد العمالي والاجتماعي، وان اي شخص لا يقبل بهذا، يعجز دون شك عن عبور حلقة محفل إيديولوجي وفرقة مذهبية.

عبور الشيوعية العمالية

ان رسالة استقالة الرفيق سامان تحمل حقيقة لا يمكن تغاضيها ونسيانها، انه يقول "طرأت عام بعد عام على آرائي وفهمي الفكري والسياسي تغيرات". ان حقيقة الأمر هي هذه، وهي ان الرفيق

" الاستقالة من الحزب لا ترفع احد للفردوس!"

سامان، واستناداً لعدم إيمانه بالحزب واليأس من الشيوعية العمالية والتجربة التي وصمها بـ"الفشل"، رمته في عملية تغيير فكري وسياسي، اي ما يطلق عليه في الأدبيات الشيوعية اسم "إعادة نظر". ان لجوئه لمصطلحات من مثل "شيوعية ماركس"، "حزب ماركس"، "ماركسية معاصرة"، حزب شيوعية ماركس" والتهرب من استخدام الشيوعية العمالية ومنصور حكمت وحتى عدم ذكر "لينين واللينينية"، في كتاباته الأخيرة، يدل على انه في آخر محطات "تغييراته السياسية والفكرية"، وهو ما أوصله إلى إعادة النظر وعبور الشيوعية العمالية. ان إعادة النظر وتغيير احد وسحب اليد عن اي فكر وسياسة هو حق بديهي لأي فرد وليس فيه اي مؤاخذة، لكن ان ما يلفت الانتباه ومبعث نقد هو ان الرفيق سامان لم يعبر عن هذا بصراحة ووضوح قط، ويريد الآن ان يفلت منه خلسة ويتصل.

من الواضح ان الرفيق سامان سعى كثيراً لتبيان خلافاته وعمقها عبر استخدام عبارات "عميق وأعمق جداً"، حول بعض المواضيع من مثل حرب الموصل، الاستفتاء، وكوباني و... كي ينسل بصمت عابراً الشيوعية العمالية، ولكنه لم يفلح قط، لان "الاختلاف العميق" في هذه المواضيع لا توصله مراده، بل يبدأ حول صياغة نسخة شيوعية أطلق عليها "ماركسية معاصرة". نسخة ليس واضحاً من أين تبدأ، من لينين وتجربة ثورة أكتوبر أم من ماركس والقرن التاسع عشر؟! في كلا الحالتين، عبور الشيوعية العمالية ليس بعمل بسيط، وينبغي عليه عبور عالم من التغييرات والأحداث التاريخية الكبيرة، بعبارة ما، ان تكرر وإعادة تكرر ولمائة مرة عبارة "شيوعية ماركس"، "شيوعية معاصرة، وتسميات من هذا القبيل لا تبلغ بشخص بصورة تلقائية إلى نسخة محددة من الماركسية والشيوعية، بالأخص إذا لم يكن هدف شخص ما إرساء محفل، وينظر بضمير علمي لمكتسبات الحركة الشيوعية العالمية، التي تعد الشيوعية العمالية زاوية منها. بالنسبة للرفيق سامان ليس الأمر بهذه البساطة، اي ان يبلغ انفصاله من "اختلافاته العميقة" الداخلية لأحزاب الشيوعية العمالية وحتى حركتهما، لأنه ستطرح أمام إعادة النظر وصياغة شيوعية بالنسبة له أحداث وقضايا ما يقارب 150 عام بعد ماركس و100 عام بعد لينين. وللرد عليها، سنتبثق آلاف الأسئلة والتقييمات لعشرات التجارب الشيوعية واستنتاجات للتيارات الفكرية والسياسية للشيوعية. وفيما يتعلق بهذه الحقائق، من حق الرفيق سامان دون شك ان يتخلى عن الشيوعية العمالية، ولكن ماذا يضع مكان ذلك التاريخ الذي صاغه منصور حكمت والشيوعية العمالية؟ أيمكن القيام بهذا العمل بالشروع بـ 12 أطروحة كتب اغلبها بوجه الحزب الشيوعي العمالي العراقي والكرديستاني؟ ... ان هذا هو اختلافه العميق معنا...

لأذكر بان الشيوعية العمالية ومنهجها، بوصفها تيار فكري مختلف داخل الحركة الشيوعية، ومنذ عملية تشكلها والى الآن، هي نوعاً ما ذا قراءة ورؤية للماركسية والشيوعية. بيد ان هذا العمل استلزم عملية وصيرورة علنية وصريحة وشفافة لنضال سياسي وفكري ذا صلة بالنضال الطبقي والرد على مستلزمات الثورة العمالية في عصر محدد، وليس ذا صلة بقطيعة فردية وجمعية في حزب محدد، بشكل ينظر غير المؤمنين به بعوينات الإخفاق و"الفشل". وحيث ان الرفيق سامان يعيد النظر بناءً على عدم قناعته وفشل تجربة الحزب، يعجز عن فصل الشيوعية العمالية بوصفها فكر ونظرية عن تجربة أحزاب حركتها. ولهذا، فانه يرى ان فشل الأحزاب هو فشل الأفكار والنظريات التي تقف وراء التجربة وأحزابها. ولهذا، فان الانشقاق من الحزب، يوصله إلى ترك الشيوعية العمالية وعبورها!! هذا في الوقت الذي إذا امتلك اي شيوعي اقل معلومة عن الحركة، يفهم ان تجربة اتحاد الشيوعيين والأممية الأولى قد اخفقا وانحلا دون ان يبلغا أهدافهما النهائية، بيد ان هذا لا يصل بأحد إلى استنتاج أن إخفاق وفشل هذه التجارب التنظيمية لا يعني فشل وانسداد أفق فائض القيمة ونقد

ماركس للرأسمال وغيره!

يتعامل الرفيق سامان بانعدام مسؤولية للأسف تجاه قضية كبيرة تمثل الأساس الفكري والسياسي لما لا يقل عن 30 عام من نضال جيل عريض من الشيوعيين. ان من حقه ان يبلغ نتيجة ان لا فائدة من الشيوعية وأنها فشلت، أو أنها خاطئة، ولكن ليس من المفترض ان يخرج بصمت وبساطة؟ الم تكن ثمة إمكانية ان ينظم، بصورة مخلصه مع رفاق له على امتداد 30 عام سوية على النهج والراية ذاتهما وتلك التصحيحات، نقاش وجدل صريح وواضح كي يوعيه بالفشل وخطأ أفكارهم ومن اجل هدف لاحق مشترك يدفع بإعادة نظره للأمام؟ لا اعرف كم ان الرفاق كامل احمد وعامر رسول شركاء في إعادة نظر الرفيق سامان هذه، وعبر اي عملية سياسية وفكرية، بلغوا عبور الشيوعية العمالية بصورة مشتركة. وأود ان اعرف هل ان توجيه النقد وعبور الشيوعية العمالية وبلوغ "الماركسية المعاصرة" هو في الحقيقة أمر ممكن بجماعة من هذا القبيل؟ لا ينتهي الوضع بهذا الحد، بل عليه ان يظهر "خلافاته العميقة" مع عالم من موضوعات الشيوعية العمالية، وان يقول كلامه من زاوية ماركسية معاصرة. إني على ثقة انه بدون هذا العمل، فان اي شكل من أشكال تعليق النفس بعبارات من مثل "شيوعية ماركس"، "حزب ماركس"، "ماركسية معاصرة" هو أمر عديم الفائدة، وان كل التقاف حول "نقد تاريخ من اجل إرساء تاريخ" لن يتعدى فقاعة لن يبقى منها شيء.

ثمة حقيقة ينبغي ان اقر بها هنا إلا وهي ان تجربتنا بوصفنا أحزاب الشيوعية العمالية في هذه المرحلة لم يحالفها النجاح ولا الموقفية، وان هذا حال اي حركات وأحزاب واقعية ذات صعود وهبوط وانتصار. بالنسبة لنا، لا نعتبر هذه المرحلة نهاية التاريخ. إذا لم يبلغ الرفيق سامان موقفه الراهن جراء انعدام قناعاته ويأسه، فان حتى إذا رادته فكرة اللجوء إلى "ماركسية معاصرة"، كان بوسعنا ان يبقى معنا ببحثه وانتقاده ومقترحاته، ونضع على عاتقنا سوية وزر رفع هذا الإخفاق وتصحيح اعوجاج حركتنا. ولكن، للأسف، بدلاً من هذه الصراحة والتعامل المسؤول، سعى بصورة غير مسؤولة، وبإدراك مشوش وغير واضح وبدائي (خام) فرض انشقاق وفصل حسابيه وأثقل كاهل رفاقه "الأعضاء ومبعث فخره"، وتملص من وزر هذا الإخفاق. يعتبر نفسه الآن بطلاً ورفاقه يرسفون بالفشل. ان هذا بلاغ محطته الأخيرة، ولكن أين هي الروح الرفاقية واين هو إحساس المسؤولية؟!

انفصال العامل عن الشيوعية

ان انفصال العامل والشيوعية هي احد المعضلات الرئيسية لهذه المرحلة للشيوعية والنضال الطبقة العاملة بوجه الرأسمال دون شك. في البدء، في منتصف الثمانينات، أشار تيارنا إلى هذه المعضلة، فيما ان الرفيق سامان كما لو انه اكتشف هذه المعضلة توأ جعل منها سبباً رئيسياً لاستقالته وندمه على تأسيس الحزب الشيوعي العمالي العراقي. في الوقت الذي كان هذا الموضوع قبل تأسيس الحزب، على الأقل طرحه منصور حكمت بوضوح في المؤتمر الثاني للحزب الشيوعي الإيراني (عام 1985)، ووضح ان هذه القضية هي معضلة تاريخية وعالمية أيضاً، ولا تقتصر على حزب إيران ولا حزب العراق أو كردستان. ان التأكيد على العامل والارتباط بالحركة العمالية، وحتى السعي لتأسيس خلية عمالية ودخول صفوف العمال هي أعمال مهمة وأساسية ودائمة ولا تتوقف للشيوعية وأي حزب شيوعي، بيد ان ملاءمة هذه الانفصال والهوة عمل ليس ببسيط، ولا يُرد عليه بتغليب وتقديس كلمة عامل واللهج باسم العامل.

" الاستقالة من الحزب لا ترفع احد للفردوس!"

نحن مع الترحيب بأي نقاش للتركيز والتأكيد على حل هذه المشكلة، في الوقت ذاته لا يمكن الرد على هذه القضية وردم هذه الهوة ما بين الشيوعية والعامل بالشكل الذي يتحدث عنه سامان، اي لا يمكن ذلك عبر تشكيل خليتين عماليتين ولا عبر جماعته الماركسية المعاصرة. يطرح سؤال نفسه هنا: هل ان الدفع بهذا الموضوع للامام، كما لو ان الرفيق سامان قد تم اكتشاف ذلك توأ، وجعل منه مبرر نفض اليد عن الشيوعية العمالية والاستقالة من أحزابها، هو موقف ضروري وصحيح؟ أو لنقل إذا كانت مشكلة الرفيق سامان هي هذه، ما الذي استلزم ان يؤخر استقالته لحد الآن؟! الم يحدث أمام أنظار الرفيق سامان ولا يعرف لحد الآن ان هناك محفل وجماعة أخرى فرضوا انشقاقاً على الحزب الشيوعي الإيراني تحت هذا المبرر وانفصلوا، وبعدها تضاعف مدى انفصالهم عن الطبقة العاملة أضعاف؟! انفصل رضا مقدم و"جماعة المستقلين" قبل 22 عاماً عن الحزب الشيوعي العمالي الإيراني تحت هذا المبرر، دون ان يحققوا نتيجة أفضل بهذا الخصوص. وبالتالي، إذا الرفيق سامان، مثلما يقول ماركس ببساطة "الاغواتية على الطبقة العاملة مرفوضة"، ويعتقد ان الشيوعيين لا يستطيعون بدون العمال ان يؤسسوا حزباً، عندها كيف أعطى الحق لنفسه ان يشكل جماعته الجديدة؟! ان ما أسسه، سواء شاء أم أبى، هو، في المطاف الأخير، نوع من "حزب ماركسي" لهو من البدء بعيد ومنفصل عن العمال ولا صلة له قط بالحركة العمالية. في الوقت الذي يلوم التحزب الشيوعي العمالي ويقول:

"التحزب الشيوعي من الجانب العملي، يعني بناء الحزب. وان نمط تأسيس الحزب في تيار الشيوعية العمالية، ليس له أدنى ربط بالحركة العمالية وطلبتها الواعية. لذلك ان عملية تأسيس الحزب في البداية خارج الطبقة العاملة وبعدها تطرح خطوطها السياسية" الارتباط بالطبقة العاملة!!! و"تحويل الحزب إلى حزب عمالي" أو "إضافة الطابع العمالي على الحزب" لا تمثل نظرية التحزب الطبقي للعامل والثورة العمالية، وإنما تمثل تيار فكري، لا يمكنه ان يتحول إلى حزب شيوعي سياسي ابداً. ربما يتحول إلى حزب سياسي في ركب أحزاب برجوازية رئيسية." (نقد التاريخ، لبناء تاريخ جديد خطوة نحو بناء حزب ماركسي) (خطوط التأكيد مني)

لندع جانباً كيف فسر الرفيق سامان واستخدم لمشروعه هذه الأسطر أعلاه تحت اسم "تحزب الشيوعية العمالية"، لكن تعالوا نقارن تصورات جماعته هذه بأي معيار كان: إذا كان "التحزب الشيوعي من الناحية العملية" "ذا صلة بالحركة العمالية وقسمها الطليعي"، عندها ما هي صلة جماعة الماركسية المعاصرة بالحركة العمالية وقسمها الطليعي؟ وفق اي معيار محلي، إقليمي أو عالمي حدد موقعها ومكانتها على صعيد الحركة العمالية وقسمها الطليعي؟! بعد ذلك، ماذا ستعمل جماعة المعاصر؟ أولاً: أ ستتهمك بحسم نظرية الماركسية المعاصرة أم يمضون داخل صفوف العمال أولاً؟ أم يقوموا بذلك سوية؟! بأي سبيل كان إلا يعني هذا عملنة! الم تشكلوا مقدماً قيادتكم دون اطلاع القسم الطليعي للحركة العمالية وبعدها تؤسسون حزباً؟! ان مختصر كلام الرفيق سامان وعمله هو انه يقول: عبر الاستقالة وتشكيل محفل وكتابة 12 أطروحة، حل مشكلة انفصال العامل عن الشيوعية!! للأسف، ان ها يساعد فقط تضبيب الأجواء الفكرية وتنامي الشكوك والتردد واليأس بين الشيوعيين. ينتهي هذا الأمر، بحده الأقصى، بانفصال أناس من كلا الحزبين الشيوعي العمالي العرقي والكرديستاني، تنفصل بمبرر "اللا عمالية" بصورة تلقائية. ان برنامج مثل هذا لا يساعد، دون شك، ذرة في الدفع بإعمالنا صوب الثورة العمالية، ليس هذا وحسب، بل ألا يكون له، من ناحيته، تأثير في ضرب الانسجام الفكري وجعل العمل الشيوعي أكثر صعوبة؟

لا اعرف ماذا يقول الرفيق سامان الآن تجاه كلامه الذي وجهه للرفيق مؤيد: " ما هي صلة الاستقالة من الحزب بـ"حزب ماركسي عمالي"!! لقد كان الرفيق مؤيد سكرتير اللجنة المركزية في السنوات الستة الأخيرة. بهذا الصدد، اي عمل قام به أو اقترحه لإرساء أهداف وسياسات كهذه؟! خلال الستة سنوات المنصرمة، كم عضو زاد الحزب، كم كادر تمت تربيته بوصفه كادر ماركسي؟! علما انه كان رئيس مكتب التنظيم المركزي لسنوات دون اي تدخل من المكتب السياسي في أعماله وكان مطلق الصلاحية؟!... أبوسع الرفيق مؤيد على امتداد عمله كسكرتير ان يقول لنا كم اقترب الحزب من الحركة العمالية والقادة العماليين؟! هل بوسع احد ان يكبل أيدي سكرتير لجنة مركزية؟! " (كان بالوسع ان تبقوا ولا تذهبوا! سامان كريم وفارس محمود) (خط التأكيد مني)

ان هذا الكلام الذي وجهه الرفيق سامان يوما للرفيق مؤيد احمد، الآن يمسك بخناقك هو نفسه. حيث كان لدورة سكرتير لجنة مركزية وأخرى نائب سكرتير، وفي جميع الأوقات عضو مكتب سياسي، وان آخر منصب له كان مسؤول مكتب تنظيم الحزب. كما انه في المراحل الأخيرة من عمله داخل الحزب، اقترح عليه ان يكون رئيس تحرير جريدة عمالية، ولكن رفض هذا المقترح. في هذه الحالة على عضو الحزب ان يمسك بخناق من وذلك لان ليس للحزب "خلية عمالية"!!

نقد التاريخ أم الندم على التاريخ!

غَلف الرفيق سامان قرار استقالته بموضوعة تاريخ شاركنا فيه جميعاً، بحسناته وسيئاته. مثلما استلزم من الرفيق مؤيد لتأسيس جماعته الجديدة وصياغة تاريخ جديد ان يعود لتاريخ التيار الشيوعي، لتأسيس تاريخ جديد، عاد الرفيق سامان أيضاً إلى مسار فكري وتنظيمي يعود لما يقارب 29 عام خلت. وهي منظمة "سرنجي كريكار" (رؤية العامل). من هذه الناحية، ان فرق الرفيق مؤيد هو ان مؤيد احمد رجع بصراحة إلى تاريخ كان فيه التيار الشيوعي محوراً، بيد ان الرفيق سامان لم يكن صريحاً في هذا الأمر. ان الرفيق مؤيد لم يخفي تيرمه من حل "التيار الشيوعي" في عملية تأسيس الحزب، بيد ان الرفيق سامان لم يكن لديه اي انتقاد أو تبرم من انضمام "سرنجي كريكار" للحزب...

في وقتها كانت لدينا، أنا والرفيق سامان سوية في "سرنجي كريكار"، فكرة بان تأسيس الحزب الشيوعي العمالي هو عمل العمال أنفسهم، وأصدرنا برناسة تحريره وبمشاركة الناشطين العماليين جريدة "سرنجي كريكار"، وعبر ذلك السبيل إعداد الطبقة العاملة لتأسيس حزبها. اي الأطروحة ذاتها التي يذكرها: "حزب ماركسي ثوري وجسور ومؤسس داخل قسم من طليعيي الحركة العمالية". ثمة سؤال يطرح نفسه هنا: من هو هذا "القسم من الطليعيين" وكم ينبغي ان يكون عددهم كي يتم إقرار تأسيس حزب ماركسي ثوري؟ في تجربة تأسيس الحزب الشيوعي العمالي العراقي، ألم يحضر هذا "القسم الطليعي من الحركة العمالية"؟ إذا كان الأمر ليس كذلك، ماذا يعتبر الرفيق سامان نفسه، والى اي قسم من الطليعيين ينتمي؟ للأسف ان الرفيق سامان يتناسى حقيقة ان المادة الإنسانية المؤسسة للحزب، في قسم منها، هم أولئك "الناشطين العماليين والقسم الطليعي" قد جمعها في داخله والذين نظموا أنفسهم حول "سرنجي كريكار". لا أود هنا ان أخوض في الرد على انعدام الوضوح والتشويش الذي حل به حول "العمالية ونظرية الصلة"، "المجتمع أو العامل"، "اللاكسيون أم الشارع"، "التحزب وتنظيم الطبقة العاملة".... وكيف ان هذه المفاهيم قد استنتجت من الحالة الملموسة للحركة الشيوعية. ولكن أود ان أؤكد على ان الشيوعية العمالية ومنصور حكمت قد

" الاستقالة من الحزب لا ترفع احد للفردوس!"

وضحت رأيها بجلاء في نضالها الفكري والسياسي المديد "الصلة ما بين الحزب والطبقة"، "النظرية والممارسة"، "الاكسيون والخلايا"، "التحزب والتنظيم العمالي"، "الحزب والمجتمع"، "الحزب والسلطة السياسية" إلى موضوعات الشيوعية العمالية،... أعطت تصوراتها الشيوعية والعمالية حول هذه الموضوعات. داس الرفيق سامان للأسف على كل هذه المكتسبات وقفز عليها عبر إطلاق بعض الأسطر والعبارات العامة واللفظية عليها. كل هذا من اجل يعطي صورة عن الشيوعية بوصف العامل فيها صنف، مقدس، والتقديس العفوي للعامل بوصفه مصدر وأساس تأسيس حزب عمالي، ومنه، يفرض حكماً على الحزب الشيوعي العمالي بأنه يفقد إلى أساس طبقي وتأسس وبقي في الفراغ ما بين الطبقات!!

وبهدف "إقامة تاريخ جديد لتأسيس حزب ماركسي"، ان الرفيق سامان بحاجة إلى اجراء انفصال في تاريخه، كي يبين ان جماعته الجديد تبدأ من تاريخ جديد! ولكن، وبوصفي مشاركاً معه في هذا التاريخ، حين القي نظرة على هذا التاريخ المشترك وانظر إلى الصفحات الأساسية لعملنا التنظيمي، أرى عملية ندم أكثر مما هي نقد للتاريخ. إذا مضينا من جانب عملية ندم الرفيق سامان صوب ذلك الجانب من تاريخنا المشترك، من البداية من ناحية الندم على تأسيس الحزب لأنه "لم يتأسس الحزب الشيوعي العمالي العراقي من البداية ارتباطاً بالعامل"! زد على هذا، وإذ يؤمن الآن بتأسيس حزب ماركسي جديد استناداً إلى أساس "قسم من طليعيي الحركة العمالية"، ومن هنا، عاد إلى الرؤى الفكرية لـ"سرنجى كريكار"، بلغ نتيجة منطقية مفادها انه نادم على انضمام "سرنجى كريكار" للحزب. وان خطوة ابعد من هذا التاريخ توصلنا إلى صفحة "نواة العمال الاشتراكيين". فمع انتشار مقالة ايرج انرين التي كتبها حول انتفاضة آذار 1991، حلت أزمة بـ"النواة"، وحليناها. وبهذا الخصوص، ألقى الرفيق سامان مسؤولية هذا الخطأ في مكان ما على النزعة السلبية لموضوعة ايرج انرين، ولهذا فهو نادم على تأسيس النواة وعلى حلها على السواء. وإذا نترك هذا ونعود لأقدم من هذا، نصل إلى "جماعة طليعيي البروليتاريا" التي أسسناها أنا وسامان وبعض الرفاق وحليناها بعد ذلك، يقول الرفيق سامان في مكان ما سارداً هذا التاريخ هو انه مرة أخرى نادم على حل "الجماعة" ويقول أنها لا يسامح نفسه على هذا!... وبهذه الطريقة، نراه ناقداً وفاضلاً نفسه عن تاريخه هذا، نادماً على كل تاريخه التنظيمي لحد الآن، عندها هل يستطيع ان يقنعنا انه بعد عدة سنوات لا يكون نادماً على عمل اليوم؟!!

ليس هنا، دون شك، مكان لتقييم واستنتاج اي من التجارب التي ذكرتها، بل وبوصفي شخص شارك بأغلب حياته السياسية مع الرفيق سامان، أود ان أقول إنني، على عكس الرفيق سامان، لست نادماً على اي من تجاربي التنظيمية، لان نقد التاريخ بالنسبة لنا هو ليس القولية وفق الألفاظ والمفاهيم والأحكام الفكرية العامة، ونندم على اي شيء لا يتماثل معها. لا نعتبر التاريخ جهة خطنا الفكري وان تقييمنا لمجمل ذلك التاريخ والمنظمات والمراحل التي مررنا بها، على ان فيها جوانب حسنة وسينة، ولكننا لسنا نادمين على شيء، بل نفخر به. ان مجمل هذه هي عملية نضوجنا الفكري والسياسي والتنظيمي، وفي كل مرحلة سعينا، بفهمنا في وقتها وبالأدوات التي تمكنا من إرسائها، لان نهب دفاعاً عن الشيوعية والماركسية والطبقة العاملة. حتى إذا القينا نظرة على مسار التاريخ الذي قطعته حركتنا من مرحلة "سهند" (أول حلقة أسسها منصور حكمت)، وبعدها منظمة "اتحاد المناضلين الشيوعيين"، ولاحقاً "الحزب الشيوعي الإيراني"، ومن ثم "الحزب الشيوعي العمالي الإيراني"، لم يتم الحديث ابداً عن الندم من اي من صفحاته، على النقيض من ذلك، تم النظر لهذه المنظمات بوصفها خطوات عملية من تبلور خط ماركسي وتكامله. إذ يحمل اي مقطع تختاره، في

طياته، نقاط قوة ومشقة، وفي الوقت ذاته، لم يكن خالياً من نقاط ضعف وأخطاء. ونقوم دوماً بتقييم لهذا التاريخ، ولكننا لسنا نادمين.

لو توفرت فرصة ان نعيد التاريخ للوراء، فان بوسعنا القيام بالكثير من الأعمال التي لم نقم بها دون شك، وان بوسعنا القيام بأعمال أكثر لم نقم بها. وكذلك كان من الممكن ان يمضي حزبنا وحركتنا صوب جهة أخرى بحيث يجعلنا في مكان آخر اليوم، بيد أننا الذين شرعنا بعقيدة إنسانية وشيوعية، كيف لنا ان نعرف أين يبلغ بعد 27 عام؟ للأسف ان هذا التصور الذي ينظر للتاريخ السابق من زاوية مقولاته ومفاهيمه الفكرية الانتقائية، ويعتقد ان هذا المصير الذي كان نصيب أحرابنا الآن هو نتيجة حتمية ولا فرار منها، عليه حسم حسابيه بصورة علمية وماركسية مع الاسس والأطر الفكرية والسياسية ونظرية تحزب الشيوعية العمالية بإثباتات وبراهين. وإلا، فبالنسبة لشخص مثل الرفيق سامان كريم النادم على أكثر من 40 عام مضت من تاريخه، لا يستطيع إطلاقاً تحت اسم نقد ان يرسي "تاريخ جديد" دون ندم. وبوصفي كرفيق قديم له، أتمنى للرفيق سامان العمر المديد والسلامة، ولكن كارثة 40 عام من نضاله ونضال رفاقه يحيلها إلى ندم يطلق عليه "نقد تاريخ لإرساء تاريخ".

خاتمة:

الرفيق العزيز سامان كريم...
"الاستقالة من الحزب لا ترفع احد ما للفردوس"، لا يبلغ بأي امرؤ تغيير مكانته الطبقيّة، ولا ينجيه هكذا بسهولة من "فشل" تجربته الحزبية. ان الاستقالة من الحزب ليست جواز سفر للانتقال بحزب يقف على "رمل الصحراء" إلى "حزب ماركسي" يبني على أساس "كونكريت" العامل!، وحتى لا يخلق اي اختلاف في موقعية ومكانة الأشخاص، وليس بوسعه إضفاء هوية سياسية جديدة على احد... اعذرني رفيقي العزيز ان أقول ان الاستقالة من الحزب، لا لك ولا للذين من قبلك، لم ولا يكون سبيل تأسيس "حزب ماركسي جديد". إنني على ثقة انه لم تبقى لك فرصة تأسيس حزب، لأنه ليس معلوماً من هو هذا القسم من "طليعيي الطبقة العاملة" وابن وبأي عدد وكيف تعده؟

رفيقي العزيز سامان اقر كلياً بالاحترام لقرار استقالتك، بيد ان ما قمت به ليست استقالة عادية، بل كان اختياراً سياسياً الحق ضرراً بالحزب والحركة الشيوعية العمالية. للأسف لم توفر اي سبيل، كأني شخص آخر، لإبلاغي قرارك الأخير. وعليه، بإرسال رسالة استقالتك، لم أسعى للاتصال بك والحديث معك بهذا الخصوص. من الواضح عليك ان تعرف ان من حقي ان لا أتقيد بالسكوت على المآل الضار لهذا القرار وهذا الاختيار السياسي، بالأخص حين اعرف ان هذا ينتهي بضررك وضرر حركتنا التي أنفقنا مجمل عمرنا فيها. وددت ان أقول عبر هذه المقالة، دفاعاً عن الحزب والشيوعية العمالية، ان ما قمت به والمبررات التي ذكرتها لا تعطيك اي حقانية ولا تنير درب اي شيوعي... أود ان تعرف ان مقالتي هذه لا تعني أبداً إنني لا أقر بقيمة ومكانة والسبيل السامي لرفيق مثلك شارك في التاريخ الذي أتينا به جميعاً إلى هنا، ولكن من حقي ان أقول انك مسؤول عن ابتعادك وإبعاد رفاق أعزاء من مثلك من الحزب...

2020 /25/4

عنوان الموضوع منقول من مقال لمنصور حكمت "مع السلامة رفيق"

AL-Mad

**A POLITICAL INTELLECTUAL QUARTERLY ISSUED
BY WORKER - COMMUNIST PARTY OF IRAQ
TENTH ISSUE NOVEMBER 2020**